الشعر والتحول العقدي في صدر الإسلام

« أصداء العقيدة »

دكتور
محمد أبو المجد على
مدرس بكلية الدراسات العربية والإسلامية
جامعة القاهرة - فرع الفيوم

الناشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
١ شارع عدلى باشا بالقاهرة

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الجمع التصويرى والإخراج الفنى

دار المروة حى الجامعة - الفيوم ت : ٣٣٧٧٠١

الشعر والتحول العقدى
فى صدر الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

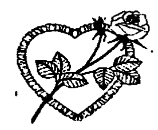
الإهداء

إلى أستاذى الجليل :

الأستاذ الدكتور / سعيد حسين منصور

هرما صغيرا - أضعه على استحياء - بجانب هرميه العظيمين : « حركة الحياة الأدبية بين الجاهلية والإسلام»، و« رؤية جديدة فى دراسة الأدب العربى فى عصر صدر الإسلام » .

وجهدا متواضعا جدا ، يخجل من ضآلته حين يطمح إلى أن ينال شرف الانتماء - تلمذة وتوجيها - إليه .





مقدمة

لا يختلف الدارسون للعصر الإسلامى الأول فى الأثر الكبير الذى أحدثه الإسلام فى الحياة العربية ، لكنهم - فيما يتعلق بالشعر خاصة ، والحياة الأدبية بصفة عامة - تتضارب آراؤهم وتتعدد وجهات النظر إلى حد بعيد ، حتى ليذهب بعضهم إلى إنكار هذا العصر - عصراً أدبياً - وهو يمثل من عمر الزمان وقتاً قصيراً - بالقياس إلى غيره - ولا يختلف الأدب فيه كبير اختلاف - فيما يرون - عن العصر الذى يسبقه ، فيضمونه إليه ضماً ، ويعتبرونه جزءاً لا يتجزأ منه .

وقد شغلتنى هذه القضية - كما شغل بها غيرى - زمناً طويلاً ، منذ أن تقدمت لأدرس - فى « الماجستير » - شعر العبيد فى الجاهلية وصدر الإسلام ، وقد تمخض لى وقتها رأى - كان لأستاذى الجليل الأستاذ الدكتور سعيد منصور فضل كبير فى بلورته وتكوينه - ثم ازداد هذا الرأى - ولم تكن الدراسات التالية التى قمت بها فى «الدكتوراه» وما بعدها إلا لتؤكده وتزيده مع الأيام رسوخاً ووضوحاً - حتى بلغ فى نفسى حداً يتجاوز الشك ، ويقترب - شدما يكون القرب - من اليقين ، فكان « شعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى فى صدر الإسلام والعصر الأموى » ، و« مراثى النبى ﷺ » ، و « الإسلام والشعر » و . . هذا البحث الجديد .

وهو يحاول أن يتلمس العلاقة بين الشعر وما جاء به الإسلام من مفاهيم وتصورات عقدية تشكل - فى تصورى - واحداً من أهم التحولات التى شهدها المجتمع العربى فى تلك الحقبة ؛ فيسجل - مكتفياً فى الحدود التى رسمها لنفسه - أصداء العقيدة فيما أبدعه الشعراء - المشهورون منهم كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة والنابغة الجعدى وكعب بن زهير والحطيئة ولبيد والمغمورون على السواء - متتبعاً فى الوقت نفسه - ما يمكن أن يسمى بـ « شعرالعقيدة » ، وهو - فيما يزعم - اتجاه جديد - وإن وجدت بذور له قبل الإسلام عند الحنفاء وغيرهم - من الاتجاهات التى ازدهرت - ولم يتنبه له على أهميته كثير من الدارسين ، وخلت المكتبة العلمية فيما أعلم من دراسة متخصصة فيه - فى عصر صدر الإسلام .

الدين نفسه - وقد شكل محوراً من محاور الرؤية العقدية بين المسلمين واليهود والنصارى والوثنيين - والغيبيات ؛ الله ذاتاً وصفات ، والرسل والأنبياء ، والموت وما بعده ، ثم القضاء والقدر والملائكة والجان ، فشغل كل موضوع من هذه الموضوعات مبحثاً - من مباحث الكتاب - ووقف المبحث الأخير عند ثلاثة ، يرى أنهم - ولم ينل بعضهم حظاً من الشهرة - أبرز شعراء هذا الاتجاه ؛ النعمان بن بشير الأنصارى ، والنابغة الجعدى ، وصرمة بن أبى أنس الأنصارى .

وتلخص الخاتمة - فى نهاية المطاف - أهم النتائج التى أمكن الوصول إليها ، يعقبها ثبت المصادر والمراجع - وهو يحوى قائمة مفصلة بالكتب التى أعانت على الوصول إلى تلك النتائج - والله المستعان .

المبحث الأول

الدين

- الإسلام

في عقيدة أصحابه

عند غير المسلمين

الردة عنه

- اليهودية والنصرانية

- الوثنية والثورة على الأوثان

فى عقيدة أصحابه :

١ - إن الدين عند الله الإسلام ؛ ﴿ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١) . منطلق رئيس ، ينطلق منه شعراء صدر الإسلام ، فى التعبير عما اعتقدوه وآمنوا به حيال دينهم ؛ فهو وإن جاء فى ترتيب الزمان متأخراً عن غيره من الأديان - كاليهودية والنصرانية - إلا أنه لم يعد لأصحاب تلك الديانات إلا اتباع شريعته ، والتصديق بما جاء به ، أو على حد تعبير بعضهم :

قَـد نُسِـخَ الدِّيـنُ بدِينِ أَحْمَـدِ. (٢)

فهو ناسخ لما قبله من الأديان . وهو دين الحق واليقين والهدى والرشاد ؛ يقول ابن الزبعرى فى مدحه للنبى ﷺ ، واعتذاره عما كان منه قبل الإسلام :

إنَّ مـا جِـئْـتَنـا به حَقٌّ صِـدْقٍ ... سـاطِعٌ نُـورُهُ مُـضِيءٌ مُـنِيـرُ

جِـئْـتَـنا باليَـقِينِ والبِـرِّ والصِّـدْقِ ... وفى الصِّـدْقِ واليـقـينِ سُـرُورُ

أَذْهَبَ الـلهُ ضُـلَّةَ الجَـهْلِ عَـنَّا ... وأتانا الـرَّخـاءُ والمَيْـسُـورُ. (٣)

وهو اعتراف صريح بما يمثله هذا الدين فى نفسه ، بعدما تحول من الوثنية إليه ، عن رضا واقتناع ، وكان لايزال إذ ذاك فى بداية إسلامه ولم يتوغل بعد فيه ، إلا أنه قد آمن به - على حد قوله - بعظمه ولحمه :

فـاليـومَ آمَنَ بـعـدَ قَـسْـوَتِهِ ... عَظْمِى وآمَـنَ بعـده لَحْـمِى. (٤)

---

(١) آل عمران ٨٥ .

(٢) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى - ت . عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض - ط١ (دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م) جـ١ ص ٦٥٤ ، وشعر الدعوة الإسلامية فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين - ت . عبد الله بن حامد الحامد (الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية - الرياض سنة ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م) ص ٣٢ .

(٣) شعر عبد الله بن الزبعرى - ت . د . يحيى الجبورى (مؤسسة الرسالة - قطر - بدون تاريخ) ص ٣٦ .

(٤) المصدر نفسه ص ٥١ .

أو بروحه وجوارحه ، وكل ما فيه، خلافاً لما كانت عليه حاله فى الوثنية والشرك؛ حيث كانت تقوده - مجرد قيادة ليس فيها ما يدل على الاقتناع - بنو جمح وسهم :

حَيْرانَ يَعْمَهُ فى ضَلالتِه مُسْتَوْرِداً لشرائعِ الظُّلَمِ
عَمَهٌ يُزَيِّنُهُ بنو جُمَحٍ وتَوازَرَتْ فيه بنو سَهْمِ .

وتأمره به سادة مخزوم :

أيّامَ تأمُرُنى بأغْوَى خُطَّةٍ سَهْمٌ وتأمُرُنى به مَخْزومُ. (٥)

لقد كانوا - كما يقول عبد الله بن رواحة - فى « عمى » ، فهدى به الله القلوب، وملأها نور اليقين :

أتَى بالهُدَى بَعْدَ العَمَى فقُلُوبُنا به مُوقِناتٌ أنَّ ما قالَ واقعُ. (٦)

وسطع مع ظهوره نور جديد ، فهو « دين صدق » ، ينجى من آمن به :

وذلك أنَّ دِينَكَ دِينُ صِدْقٍ وذو حَقٍّ أتَيْتَ به وعَدْلِ
يُنَجِّى المؤمنونَ به ويخْزى به الكُفَّارُ عندَ مَقامِ مَهْلِ. (٧)

وهو « الحق » الذى لا مراء فيه ؛ فقد تبينت الشريعة ، واتضحت - فى ضوئه - معالم الطريق . يقول رافع بن عميرة الطائى ، وكان لصاً فى الجاهلية ثم هُدِى إلى الإسلام :

سَعَيْتُ إليه قد شَمَّرْتُ ثَوْبِى عن الكَعْبَيْنِ مُعْتَمِداً ركُوبِى

---

(٥) المصدر نفسه ص ٤٥ .

(٦) أسد الغابة فى معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير أبى الحسن على بن محمد الجزرى (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م) جـ ٥ ص ٤٤٦ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (مكتبة دار التراث - القاهرة - بدون تاريخ) جـ٣ ص ٤٥٩ .

(٧) السيرة النبوية لابن هشام - ت . مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى - ط٢ (مكتبة مصطفى البابى الحلبى -القاهرة سنة ١٩٥٥م) م١ ص ٥٩٥ ، والبداية والنهاية لابن كثير - ت . محمد عبد العزيز النجار - ط١ (دار الغد العربى - القاهرة سنة ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م) م٢ ص ٢٨٤ ، وشعر الدعوة الإسلامية فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين - ص ٢٧٧ .

فـألفَـيْتُ النَّبِىَّ يقـولُ قَـولاً … صَـدُوقـاً ليسَ بالقـولِ الكَذُوبِ
يُبَـشِّـرُنى بـدِينِ الحَقِّ حَـتَّى … تَبَـيَّنَتِ الشَّـريعـةُ للمُنِيبِ
وأبْصـرتُ الضِّـياءَ يُضِىءُ حَـوْلِى … أمامِى إنْ سَعَيْتُ ومِن جَنُوبِى. (٨)

فدعا من ثم قومه إلى الدخول فيه ، ليشملهم ما شمله من نوره وفضله :

ألا أبلغْ بنـى عَـمْـرِو بـنِ عَـوْفٍ … وأخْـتَـهُمُ جـذيلةَ أنْ أجِـيبِى
دعـاءَ المُصْطَفَى لا شَـكَّ فيـه … فـإنَّكِ إنْ تُجِـيبِى لا تَخِـيبِى .

ومثل هذه الدعوة التى يؤثر بهـا رافع قومه ، كيلا يفوتهم ما قـد أصابه من خير ، نجدها عند عمـرو بن سعيد ، وإن توجـه بها هذه المرة إلى أخيه ، وكان أخـوه قد لامه على تركه لدين أبيه . يقول عمرو :

فدَعْ عنك مَـيْتاً قـد مَضَى لسَـبِيلِهِ … وأَقْبِلْ على الحـقِّ الذى هو أَظْهَرُ. (٩)

والميت الذى يعنيه هو أبوهما ، وكان قد مات - على ما مات عليه أهل الجاهلية - قبل الإسـلام ، فدعاه إلى كف البكاء عليه ، والالتـفات إلى « الحق » متمـثلاً فى دينه الذى ارتضاه لنفسه ، وتمنى أن يشرح الله صدر أخيه إليه .

٢ - هذا الدين هو دين الله عز وجل :

لـنُظْـهِـــرَ دِيـنَكَ الـلـهمَّ إنَّـا … بكَفِّكَ فـاهْدِنا سُبُلَ الرَّشـادِ. (١٠)

وقد تكفل بنصره وإظهاره على سائر الأديان ، فجاهد فى سبيل ذلك فتية :

ويُنْصَـرُ دِينُ اللهِ فى كلِّ مَـشْـهَـدٍ … بفِتْيانِ صِـدْقٍ من كِرامِ الأعارِبِ. (١١)

---

(٨) المحاسن والمساوئ للبيهـقى (دار صادر - بيروت سنة ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م) جـ١ ص ٢٢ ، ونهاية الأرب فى فنون الأدب لشهـاب الدين النويرى (دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٢٤م) جـ ١٨ ص ٣٢٥ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ١٠٧ . والبيت الثانى - مع آخر - بالإصابة جـ ٢ ص ٣٦٧ .

(٩) الإصابة جـ ٤ ص ٥٢٧ .

(١٠) السيرة النبوية لابن هشـام م٢ ص ٢٦٦ ، وشعر الدعوة الإسلامية - مع اختلاف الشطرة الثانية - ص ٢٠٣ .

(١١) فتوح الشام للواقدى (القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ) ج٢ ص ٨٩ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ١٦٦ .

قاتلوا لنصرته ، والذود عنه :

قَـومٌ همُ نَصَـرُوا الرحمنَ واتَّـبَعُـوا ... دِينَ الرَّسُولِ وأَمْرُ النَّاسِ مُـشْتَجِرُ.[١٢]

واستصغروا الموت فى سبيل تلك الغايات :

إنْ تَقْـتُلُونا فـدِينُ الحقِّ فِطْـرَتُنا ... والقَتْلُ فى الحَقِّ عندَ اللهِ تَفْـضِيلُ.[١٣]

وسطهم نبى الله ، يضرب لهم - بثباته على الحق - أروع الأمثلة فى الجهاد :

تُقَـاتِلُ عن دِينِـهـا وَسْطَـهـا ... نَبِـيٌّ عن الحَـقِّ لم يَـنْكُـلِ.[١٤]

ونماذج أخرى كثيرة ؛كحمزة بن عبد المطلب ، عمه ﷺ :

على أَسَـدِ الإلهِ الذى كان مِـدْرَهاً ... يَذُودُ عن الإسلامِ كلَّ كَـفُورِ.[١٥]

فكان النصر حليـفهم - فى مواطن كـثيرة - أعزهم اللـه به ، كما أعزهم بطاعـته وحسن عبادته :

واللـهُ أَكْـرَمَنا وأَظْـهَـرَ دِينَـنا ... وأَعَـزَّنا بعـبـادةِ الرحـمنِ.[١٦]

وحقق لهم ما وعدهم به ، فأظهره على غيره من الأديان الحائدة ، التى يعمه أهلها فى الضلال :

ألـم تَرَ أنَّ الـلهَ أَظْـهَـرَ دِينَـهُ ... على كلِّ دِينٍ قَـبْلَ ذلك حـائدِ ؟[١٧]

وغلبت خيله - وهى « أحق بالشبات » - خيول الكفر ، من عبـدة اللات وغيرها من الأوثان :

---

(١٢) السيرة النبوية لابن هشام م٢ ص ٤٦٦ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٣٠٣ .

(١٣) السيرة النبوية لابن هشام م٢ ص ١٤٧ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٢٨٦ .

(١٤) السيرة النبوية لابن هشام م٢ ص ١٦٣ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٢٧٥ .

(١٥) ديوان حسان بن ثابت -ت . د . سيد حنفى حسنين - ط٢ (دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٣م) ص ٢١٩ .

(١٦) السيرة النبوية لابن هشام م٢ ص ٤٥٩ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٢٦٦ .

(١٧) زهر الآداب للحصرى القيروانى - ت . د . زكى مبارك (المطبعة الرحمانية - القاهرة سنة ١٩٢٥م) جـ١ ص ٤٢ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٢٦٤ .

غَلَبتْ خَيْلُ اللهِ خَيْلَ اللاَّتِ وخَيْلُهُ أَحَقُّ بالثَّبَاتِ.(١٨)

فليسوا سواء ؛ المؤمنون بالله - وهم المسلمون بطبيعة الحال - والمشركون به ؛ كأهل مكة وسائر العرب قبل الإسلام :

لَيْسا سواءً وشَتَّى بينَ أَمْرِهما حِزْبُ الإلهِ وأَهْلُ الشِّرْكِ والنُّصُبِ.(١٩)

هؤلاء الذين عكفوا على الأوثان يعبدونها ، فعميت بصائرهم ، ولم يهتدوا إلى الإيمان :

عُكُوفاً على الأوثانِ لا يَتْرُكُونها وقد أَمَّ دِينَ اللهِ أهلُ البصائرِ.(٢٠)

ودين الله هو الإسلام - كما ذكرت بداية - وهو التعبير الذى يتكرر عند كثير من شعرائهم عندما يتحدثون عن الإسلام ، أو يشيرون إليه ؛ ومنه - غير ما مر - قول العباس بن مرداس :

بنا عَزَّ دينُ اللهِ غيرَ تَنَحُّلٍ وزِدْنا على الحَقِّ الذى معه ضِعْفا.(٢١)

وفى هذا التعبير دلالة ، لا على الإيمان بكونه ديناً سماوياً فحسب ، وإنما على التسليم كذلك بكونه « الحق » الذى قد لا يكون هناك سواه ، فلا يسع الآخرين من ثم إلا اتباعه ، خاصة حين نتبين أنهم كانوا يرمون غيرهم من أهل الأديان السماوية الأخرى بالضلال والانحراف ، وهو كذلك تأكيد على « سماوية » هذا الدين ، فى مواجهة دعاوى النفى ، التى كان يرددها أحبار يهود ، وغيرهم ممن لم يعترفوا به ديناً من عند الله كدينهم ، وملة كتلك التى اتبعوها من قبل .

ويعبر عنه بعضهم بـ « ملة الرحمن » ؛ كحسان بن ثابت ؛ حيث يقول فى رثائه لسعد بن معاذ :

---

(١٨) السيرة النبوية لابن هشام م٢ ص ٤٤٩ ، والبداية والنهاية م٢ ص٧٩٦ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٢٦٧ .

(١٩) السيرة النبوية لابن هشام م٢ ص ١٦٢ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٣٦٤ .

(٢٠) الإصابة جـ ٥ ص ٢٧١ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٣٣٥ .

(٢١) السيرة النبوية لابن هشام م ٢ ص ٤٦٥ . والبداية والنهاية م ٢ ص ٨٠٤ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٢٩٤ .

علـى مِلَّةِ الـرحــــمنِ وارثِ جَـنَّةٍ   معَ الشُّهَداءِ وَفْدُها أكْرَمُ الوَفْدِ.(٢٢)

وحمل أمانته ؛ نجد ذلك على سبيل المثال عند العباس بن مرداس فى قوله - وقد جمع بين التعبيرين ؛ « دين الله » و « دين محمد » - :

ولكنَّ دِيـنَ اللهِ دينُ مُـحـــمَّـدٍ   رَضِينا به فيـه الهُدَى والشَّرائعُ.(٢٣)

وعند عبد الله بن أنيس :

وقلتُ له خُـذْها بضَـرْبَةِ مـاجِـدٍ   حَنِيفٍ على دِينِ النَّبِىِّ مُحـمَّدِ.(٢٤)

وعند قيس بن نشبة :

تابعتُ دِينَ مُـحـمَّـدٍ ورَضِـيتُـهُ   كلَّ الرِّضـا لأمـانـتى ولدِينى.(٢٥)

وأيّاً ما كـان الأمر ، فهى تعبيرات مختلفة لحقيقة واحدة ؛ « الإسلام » ، ذلك الدين الذى اختاره الله لهم وهداهم إليه :

هَدانا لـدِينِ الحَقِّ واخـتـارَه لنا   وللهِ فَـوْقَ الصَّـانِـعينَ صَنائعُ.(٢٦)

وارتضوه لأنفسهم ، ولم يؤثروا ديناً آخر عليه :

وقُلْـنا قـد رَضِـيـنا اللـهَ ربّاً   وبالإسـلامِ دِيناً قـد رَضِـينا.(٢٧)

وطالما افتخروا بالانتماء إليه :

واذكـرْ بلاءَ سُلَيمٍ فى مَـواطِنِهـا   وفى سُلَيمٍ لأهْلِ الـفَخْـرِ مُـفْـتَـخَـرُ
قَـوْمٌ همُ نَصَـرُوا الرحمنَ واتَّـبَعُـوا   دِينَ الرَّسُولِ وأمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرُ.(٢٨)

(٢٢) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ١١٤ .

(٢٣) السيرة النبوية لابن هشام م٢ ص ٤٦٤ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٥٠٢ .

(٢٤) السيرة النبوية لابن هشام م٢ ص ٦٢١ . ونهاية الأرب جـ ١٧ ص ١٢٩ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٢٢٨ .

(٢٥) الإصابة جـ ٥ ص ٣٨٢ .

(٢٦) السيرة النبوية لابن هشام م٢ ص ٢٦٣ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٢٢٣ .

(٢٧) الإصابة جـ ٥ ص ٦٥ .

(٢٨) السيرة النبوية م٢ ص ٤٦٦ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٨٠٥ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

ولا غرو ، فهو - فى معتقدهم - « الدين القويم » :

نُحامِى عن الدِّينِ القَويمِ بِنُصْرَةٍ ... ونُرْغِمُ آنافَ العِدَى ونَذُودُها.(٢٩)

فإن يبتغ الآخرون - ولو كانوا أقرب الأقربين - الكفر فإنهم لا يعدلون به شيئاً ؛ يقول ضرار بن الأزور فى حبيبته جنوب ، وكانت قد تابعت قومها فى ردتهم ، فحيل بينه وبينها ، ولم يؤثرها على ما هداه الله إليه من نعمة الإسلام :

فإنْ تبتغى الكُفَّارَ غيرَ مُلِيمةٍ ... جَنوبُ فإنِّى تابِعُ الدِّينِ مُسْلِمُ.(٣٠)

وهو ما نجد له نظيراً عند العباس بن مرداس ، وإن اختلفت المناسبة ؛ يقول فى بلاء قومه بنى سليم يوم فتح مكة :

فإنْ تَتْبَعِ الكُفَّارَ أمُّ مُؤَمَّلٍ ... فقد زَوَّدتْ قلبى على نَأيِها شَغْفا

وسوفَ يُنَبِّيها الخَبيرُ بأنَّنا ... أَبَيْنا ولم نَطْلُبْ سِوَى رَبِّنا حِلْفا.(٣١)

فرضا الله - لا رضا الناس - يبتغون :

رِضا اللهِ نَنْوِى لا رِضا النَّاسِ نَبْتَغِى ... ولله ما يَبْدُو جَميعاً وما يَخْفَى .

وما جدوى قرابتهم من هؤلاء الكفار ولا قيمة فى عقيدتهم للقرابة إلا فيما يعين على طاعة الله ؟

ما يَرْتَجُونَ من القَريبِ قَرابةً ... إلا لِطاعَةِ رَبِّهم وهَواكا.(٣٢)

٣ - والإسلام - فيما يستشف من شعرهم - دين بسيط ، لا غموض فيه ولا تعقيد؛ فهو يقوم أول ما يقوم على التوحيد ، والتصديق بنبوته ﷺ ، كما تشير العبارة القصيرة

---

(٢٩) فتوح الشام جـ٢ ص ٧٣ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٢٨٨ .

(٣٠) تاريخ الرسل والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - ت . د . محمد أبو الفضل إبراهيم - ط٤ (دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٩ م) جـ٣ ص ٢٩٧ ، والبداية والنهاية م٣ ص ٨٧٤ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٢٧٩ ، ٥١٠ .

(٣١) السيرة النبوية م٢ ص ٤٦٥ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٨٠٤ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٣٢) السيرة النبوية م٢ ص ٤٦١ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٨٠٣ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٣٠٠ .

الموجزة ، التى تعد مفتاحاً للدخول فيه : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله » ، وعليهما - كما يقال - مدار الأمر كله . نجد ذلك واضحاً - شد ما يكون الوضوح - فى قول الفضل بن العباس ، من أبيات له قالها فى حركة الفتح :

يا أهلَ أهناسَ الكلابَ الطَّواغيا أتتكُم لُيُوثُ الحربِ فاصْغوا مَقاليا
أقِرُّوا بأنَّ اللهَ لا ربَّ غيرُهُ وإلاَّ ترَوْا أمْراً عَظيماً مُداجيا
أقِرُّوا بأنَّ اللهَ أرْسَلَ أحْمَدا نَبيّاً كَريماً للخَلائقِ هادِيا. (٣٣)

وفى قول الأسود بن مسعود الثقفى :

أصبحتُ أعبدُ ربِّى لا شريكَ له ربَّ العِبادِ إذا ما حُصِّلَ اليَسَرُ
أنتَ الرَّسُولُ الذى تُرْجَى فَواضِلُهُ عند القُحُوطِ إذا ما أخطأَ المَطَرُ. (٣٤)

وهو إقرار منه بعبوديته لله ، وتنزيهه عز وجل عن الند والشريك ، وتصديقه بأن محمداً ﷺ رسول الله ومصطفاه . ومثل هذا الإقرار نجده فى قول بكر بن جبلة :

أتيتُ رسولَ اللهِ إذ جاءَ بالهُدَى فأصبحتُ بعد الجُحْدِ للهِ مُؤْمنا. (٣٥)

كما نجده فى قول الحرث بن هشام المخزومى :

إنِّى بربِّى والنَّبِىِّ مُؤْمِنٌ والبَعْثِ من بعدِ المَماتِ مُوقِنُ. (٣٦)

وهو يضيف - فى الشطرة الثانية - الإيمان بالبعث بعد الموت ، وما يستتبعه من الحساب والجزاء ، وأنَّ الموت ليس نهاية - كما يظن الدهريون - للحياة .

ويشير حميد بن ثور الهلالى إلى الكتاب الذى جاء به محمد ﷺ ، وهو القرآن المتضمن للشريعة ؛ من زكاة وصلاة - وهما ركنان أساسيان من أركان الإسلام - ونحوهما :

---

(٣٣) شعر الدعوة الإسلامية - ص ٣٥ .
(٣٤) الإصابة جـ١، ص ٢٢٨ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٥٥ .
(٣٥) الإصابة جـ١ ص ٤٥١ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٥٣ .
(٣٦) الإصابة جـ١ ص ٦٩٩ .

حَـتَّـى أرانا رَبُّنا مُـحـمَّـدا | يَتْلُـو من اللهِ كـتـابـاً مُـرْشـداً
فلم نُـكَذِّبْ وخَـرَرْنا سُـجَّـدا | نُعْطِي الزَّكـاةَ ونُقِيمُ المَسْجِدا. (٣٧)

وإن كانت الطاعة لازمة - كما يفـهم من البيت الثانى - فى الصلاة والزكاة ، فإن الدين كله إنما هو فى حقيقة الأمر « طاعة لله » والتزام بمنهجه :

ألا إنَّ هذا الـدِّينَ لـلـهِ طـاعـةٌ | فَألْقوا على مَـنْ شاءَكم بالجَرائمِ. (٣٨)

و « اتباع » للرسول :

إنَّا تَبِـعْنا رَسُـولَ اللهِ واطَّرَحُـوا | قَوْلَ النَّبِيِّ وغـالَوا فى المَوازِينِ. (٣٩)

ويتمثل هذا الاتباع ، أول ما يتمثل ، فى الانتـهاء عما نهى عنه ، والائتمار بما أمر به ؛ فيحرمون ما حرم ، ويحلون ما قد أحل :

ونحنُ عـلى دِينِ النَّبِـيِّ نَرَى الذى | نَهانا حَراماً منه والأمْرُ ما أمَرْ. (٤٠)

فالشريعـة إذن غير منفصلة عن العـقيدة ، بل هى التطبيق العـملى الذى يتضح فى ضوئه صدق الإيمان ، وهى منزلة من السماء ؛ يقول كعب بن مالك الأنصارى :

اللـهُ أكْـرَمَـنا بنَـصْـرِ نَـبِـيِّـنا | وبنـا أقَـامَ دعـائمَ الإسـلامِ
دِينـاً أعَـزَّ نَبِـيَّـهُ ووَلِـيَّـهُ | وأعَـزَّنَا بالـنَّصْـرِ والإقْـدامِ

. . . .

يَنْتـابُنـا جِـبْـرِيلُ فى آبائـنا | بفـرائضِ الإسـلامِ والأحْكامِ. (٤١)

---

(٣٧) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب - لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر - ت . على محمد البجاوى - ط١ (دار الجيل - بيروت سنة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م) ص ٣٧٧ .

(٣٨) كتاب الردة لأبى عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدى - ت . د . محمود عبد الله أبو الخير (دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع - عَمَّان سنة ١٤١١ هـ ١٩٩١ م) ص ١٠٤ .

(٣٩) الإصابة جـ ٤ ص ٤٤ .

(٤٠) الإصابة جـ ٤ ص ٢٣٦ ، وشعر الدعوة ص ١١٤ .

(٤١) أنساب الأشراف للبلاذرى - جـ١ - ت . محمد حميد الله - ط٣ (دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٧م) ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

ويقول فى موضع آخر :

وأشْـيـاعُ أَحْـمَـدَ إذ شـايَعُـوا على الحقِّ ذِى النُّورِ والمَنْـهَجِ.(٤٢)

فالإسلام ، وهو دين الحق ، دين الشريعة و « المنهج » .

٤ – وطالما تردد على ألسنتهم وصف الإسلام بأنه « دين الحنيفية » وأصحابه بـ «الحنفاء » ؛ والحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ، وقد ذكر الله عز وجل اختلاف اليهود والنصارى فيه ؛ فقد زعمت كل طائفة أنه منهم ، وأنهم إنما ينتمون إليه ، فقال : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾(٤٣). فحسم الخلاف فيه ، ووصفه بأنه « كان حنيفاً مسلماً » ، ومهما اختلف فى معنى الإسلام ههنا فإن بقية الآيات تؤكد انتماء المسلمين إلى إبراهيم؛ فهم ونبيهم أولى الناس به ، تماماً كالذين اتبعوه : ﴿ **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(٤٤). فوجدنا من ثم إشارات كثيرة فى شعرهم تبرز هذا المفهوم ؛ منها قول جعونة بن مرثد الأسدى فى ردة قومه :

فـإنِّى وإنْ عِـبْتُـهُم علىَّ سَـفـاهَـةً حَنِيفٌ على دِينِ النَّبِىِّ ومُسْلِمُ.(٤٥)

وقول آخر ، فى الردة كـذلك ، ناصحاً لمن ارتد من قومه بالعـودة مرة أخرى إلى حظيرة الدين :

---

(٤٢) السيرة النبوية م٢ ص ١٣٩ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٧١ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٤٦٠ .

(٤٣) آل عمران ٦٥ : ٦٧ . وفى السيرة م٢ ص ٥٥٣ : « وقال أحبار يهود ونصارى نجران ، حين اجتمعوا عند رسول الله ﷺ فتنازعوا ، فقالت الأحبار : ما كان إبراهيم إلا يهودياً ، وقالت النصارى من أهل نجران : ما كان إبراهيم إلا نصرانياً . فانزل الله عز وجل فيهم ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم . . . ﴾ الآيات .

(٤٤) آل عمران ٦٨ .

(٤٥) كتاب الردة ص ١١٦ .

فارجعوا لله عن كفركم ۝ واتبعوا ديناً حنيفاً قيّماً.[46]

وقول الجارود بن المعلى فى إسلامه على عهد النبى :

شهدتُ بأنّ اللهَ حقٌّ وسامحتْ ۝ بناتُ فؤادى بالشهادةِ والنّهضِ

فأبلغْ رسولَ اللهِ عنّى رسالةً ۝ بأنّى حنيفٌ حيثُ كنتُ من الأرضِ.[47]

ويصف أويس بن حبيش النخعى الإسلام بأنه « دين الحنيفة » ؛ فيقول مخاطباً النبى ﷺ :

ألا يا رسولَ اللهِ أنتَ مُصدَّقٌ ۝ فبُورِكْتَ مَهْدياً وبُورِكْتَ هاديا

شرَعْتَ لنا دينَ الحنيفةِ بعدَما ۝ عبَدْنا - كأمثالِ الحَميرِ - طَواغيا.[48]

وينسب إلى حمزة بن عبد المطلب - من أبيات - :

حمِدْتُ اللهَ حينَ هَدَى فُؤادِى ۝ إلى الإسلامِ والدِّينِ الحَنيفِ.[49]

ويردد مجهول يوم بدر :

أزارَ الحَنيفيُّونَ بَدْراً وَقيعةً ۝ سينقض منها رُكْنُ كِسْرَى وقَيْصَرا.[50]

ولا يمكن أن يكون هذا الوصف - مع كثرة تردده وتكراره - لمجرد المعنى اللغوى الذى يفسر « الحنف » بالميل ، ويخصه ، فيما يتعلق بالجاهلية ، بتلك الطائفة التى مالت عن عبادة الأوثان ، وبحثت عن الإله الحق ؛ كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة الإيادى وأمية بن أبى الصلت ؛ فهؤلاء - وإن اهتدوا بعقولهم إلى رفض الوثنية وطقوسها - لم يكونوا على شريعة يتبعونها كسائر أهل الإسلام ، فشريعة محمد ﷺ ، كما يفهم من تلك الإشارات ، هى امتداد لشريعة إبراهيم عليه السلام [51] ، أو هكذا كان يفهم هؤلاء الشعراء معنى الإسلام .

(٤٦) المصدر نفسه ص ٢٧٩ .

(٤٧) الإصابة جـ١ ص ٥٣٣ .

(٤٨) المصدر نفسه ص ٦٢٥ .

(٤٩) الروض الأنف جـ ١ ص ١٨٦ ، شعر الدعوة ص ٥٧ .

(٥٠) البداية والنهاية م٢ ص ٣٦٠ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٢٤٤ .

(٥١) وفى السيرة م٢ ص ٥٥٢ : « . . . ودخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له النعمان بن عمرو والحرث بن زيد : على أى دين أنت يا محمد ؟ قال : على ملة إبراهيم ودينه » .

٥ - والإسلام ، فى عقيدة أهله ، يحول بين صاحبه وبين الرذائل والنقائص ؛ كالخنا والجهل :

وإنِّى لَتَثْنِينى عن الجَهْلِ والخَنا ... وعن شَتْمِ ذى القُرْبَى خلائقُ أَرْبَعُ

حَيَاءٌ وإِسْلامٌ وتقيا وأَنَّنى ... كَرِيمٌ ومِثْلى قد يَضُرُّ ويَنْفَعُ. (٥٢)

وينهى عن الغى ؛ فيقول نصر بن حجاج ، فيما كان بينه وبين عمر بن الخطاب ، حين نفاه عن المدينة ، سداً لذرائع الفتنة ، وكانت إحدى النساء قد هامت به :

ويَمْنَعُنِى مما تَظُنُّ تَكَرُّمى ... وآباءُ صِدْقٍ سالِفُونَ كِرامُ

ويَمْنَعُها مما تَظُنُّ صَلاتُها ... وحالٌ لها فى قَوْمِها وصِيامُ. (٥٣)

فالدين ممثلاً فى الصلاة والصيام ، وحالها فى قومها ، هما اللذان يحولان بينها وبين الوقوع فيما ظنها عمر بن الخطاب قد وقعت فيه وهى تهتف بنصر وتقول :

هلْ من سبيلٍ إلى خَمْرٍ فأَشْرَبَها ... أمْ هلْ سَبِيلٍ إلى نَصْرِ بنِ حَجَّاجِ ؟

والإسلام كذلك هو الذى حال بين راشد بن عبد الله السلمى - حسب قوله - وبين التمادى فيما كان فيه من الفساد مع إحدى النساء ، قبل أن يمن الله عليه بالدخول فيه :

قالتْ هَلُمَّ إلى الحَديثِ فقلتُ لا ... يأبَى عليكِ اللهُ والإسلامُ. (٥٤)

---

(٥٢) ديوان أبى الأسود الدؤلى - ت . عبد الكريم الدجيلى - ط١ (شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة - بغداد سنة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤م) ص ٥٦ .

(٥٣) سيرة ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزى - ت . د . حمزة النشرتى وعبد الحفيظ شلبى وعبد الحميد مصطفى (المكتبة القيمة - القاهرة سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م) ص ١١٤ ، ١١٥ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٣٧٧ .

(٥٤) الأصنام لهشام بن محمد بن السائب الكلبى - ت . د . محمد عبد القادر أحمد وأحمد محمد عبيد (مكتبة النهضة المصرية - القاهرة سنة ١٩٩٣م) ص ٤٧ ، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقى الدين محمد الفاسى المكى (مكتبة النهضة الحديثة - مكة سنة ١٩٦٥م) جـ٢ ص ١٢٣ ، ١٥٩ ، ٢٨٠ ، والسيرة النبوية م٢ ص ٤١٧ ، وأسد الغابة جـ٢ ص ٣٤ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٧٦٤ ، وشعر الدعوة ص٥٠٩ .

فكفى به على حد قول سحيم عبد بنى الحسحساس - على رقة دينه - زاجراً وواعظاً ، وناهياً عن الوقوع - فضلاً عن التمادى - فى الآثام :

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّزتَ غاديا   كَفَى الشَّيْبُ والإسلامُ للمَرْءِ ناهيا.(٥٥)

بل هو - على حد قول عبيدة بن الحرث رضى الله عنه - ثوب ، غطى به الله ما كانوا عليه فى جاهليتهم من الضلال ، وسترهم به :

فأكْرَمَنى الرَّحْمنُ من فَضْلِ مَنِّهِ   بثوبٍ من الإسلامِ غَطَّى المَساويا.(٥٦)

وهو دين للناس كافة ، لا لأمة دون أمة ، ولا لشعب دون شعب ، وقد اقتضت عالميته الجهاد فى سبيل نشره ، فكانت من ثم حركة الفتوحات . وقد واكب هذه الحركة شعر كثير ، فيه - وهو ما يعنينا ههنا - تصور واضح لعمومية الإسلام . وقد مرت بنا أبيات الفضل بن العباس التى يخاطب فيها أهل أهناسية ، ويحثهم على الدخول فى هذا الدين ، ويبين لهم فى إيجاز شديد أسسه وأركانه ؛ من الإيمان بالله ورسوله ، واتباع منهجه . ومن قصيدة للعباس بن مرداس ، قالها فى يوم حنين ، نجد هذين البيتين :

فإنْ يُهْدَوا إلى الإسلامِ يُلْفَوْا   أُنوفَ النَّاسِ ما سَمَرَ السَّمِيرُ

وإنْ لم يُسْلِمُوا فَهُمُ أذانٌ   بحَرْبِ اللهِ ليسَ لهم نَصِيرُ.(٥٧)

وفيهما يحدد مناط الجهاد بدخول هؤلاء الكفار فى دين الله ؛ فإن دخلوه فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، وعصموا دماءهم وأموالهم ، وإن أبوا فهم «أذان» كما يقول « بحرب الله » ؛ يعنى أنهم يصيرون فى عرف الإسلام « أهل حرب»، ليس بينهم وبين أهله غير الدماء . وللمثنى بن حارثة الشيبانى :

---

(٥٥) ديوان سحيم - ت . عبد العزيز الميمنى - ط٢ (الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م) ص ١٧ .

(٥٦) السيرة النبوية م٢ ص ٢٤ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٣٩٣ ، وشعر الدعوة ص ٢٧٤ .

(٥٧) السيرة النبوية م٢ ص ٤٥٢ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٧٩٧ .

أَسْلِمُـــوا للهِ تُـعْطَوا سُـــؤْلَكُم   إنَّ مَـنْ أَشْــــرَكَ بـاللـهِ ظَلَـمْ
اقْبَـلُوها من أَخِــيكم نُصْــحَـةً   لا تَقُـــولوا لا وقُـــولوا لـى نَعَمْ
إنَّ للهِ سُــــيُــوفــــاً جَــمَّـــةً   ورِجـالاً مِـثْلَ آسـادِ الأَجَمْ.(٥٨)

وهى مما نصح به قومه من بنى بكر بن وائل ، فى عهد أبى بكر ، وكانوا قد ارتدوا عن الدين فيمن ارتد .

ويعتبر المسلمون أنفسـهم جنود الله ؛ لأنهم حملوا على عاتقهم عبء نشر دينه فى الآفاق ، وارتطمـوامن أجله بأهل الملل والأهواء ،من سائر الأجناس . يقـول كعب بن مالك فى بداية الدعوة :

لِـنُظْـهِـــــــرَ دِيْـنَكَ الـلـهمَّ إنَّـا   بكَفِّكَ فـاهْدِنا سُـبُلَ الرَّشَـادِ. (٥٩)

فـإظهـار الدين ، وقـد تكفل الله به ، إنما يتم بأيـدى جنوده ، وهم بعض هؤلاء الجنود . يصرح بذلك أبو مفرز الأسود بن قطبة فى قوله :

يا دِجْـلَ إنَّ اللهَ قــد أَشْــجـاكِ
هـذى جُنُـودُ اللـهِ فـى قُـــــراكِ
فَلْتَــشْكُرِى الـذى بِنـا حـــاباكِ
ولا تَرُوعِـى مُـسْلِمــــاً أتاكِ.(٦٠)

وهى مما قيل فى فتح العراق . ويقول أبضعة بن مالك فى ردة أهل اليمامة :

وقد رجـعتْ حَنِيفَـةُ فاستـباحتْ   جُنُودُ اللهِ أَجْـنادَ اليَـمـامـهْ.(٦١)

(٥٨) كتاب الردة ص ٢٢٩ .
(٥٩) السيرة النبوية م٢ ص ٢٦٦ ، وشعر الدعوة ص ٢٠٣ .
(٦٠) شعراء إسلاميون - د . نورى حمودى القيسى - ط٢ (مكتبة النهضة العربية - بيروت سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤م) ص ١٢٤ .
(٦١) كتاب الردة ص ٢٧٠ .

وهو تعبير قديم ، تردد على عهد رسول الله ﷺ ، فى شعر كعب بن مالك [٦٢]، والعباس بن مرداس[٦٣].

ويرى المسلمون كذلك أنهم خير فريق ، لا لعصبية جنسية ،ولا لأنهم - كما زعم اليهود فى أنفسهم - شعب الله المختار ، وإنما لاتباعهم لهذا الدين - دين الحق - الذى هو خاتم الأديان ، والمهيمن - فى عقيدتهم - على ما سبقه منها ، والذى هو - فى معتقدهم أيضاً أعظمها على الإطلاق .

وفى التعبير عن تلك الخيرية يقول أحد المسلمين :

ارْحَلْ على اسمِ الله والتَّوْفيقِ
رِحْلَةَ لا وَانٍ ولا مَشِيقِ
إلى فريقٍ خَيْرِ ما فريقِ
إلى النَّبيِّ الصَّادقِ المَصْدُوقِ.[٦٤]

وعمل أهله مقبول عند الله ، إن كان خالصاً صحيحاً . يقول حسان بن ثابت :

شَهِدْتُ بإذنِ اللهِ أنَّ مُحَمَّداً ... رَسُولُ الذى فوقَ السَّمَواتِ من عَلُ
وأنَّ أبا يَحْيَى ويحيى كلاهُما ... له عَمَلٌ فى دِينِهِ مُتَقَبَّلُ.[٦٥]

وقد لا يقبل عمل الآخرين - خاصة الكفار - مهما اجتهدوا وبدا عملهم فى ظاهره صالحاً ؛ فهم « فِلٌّ من الخير » أى لا خير فيهم على الإطلاق .

وأنَّ التى بالسُّدِّ من بَطْنِ نَخْلَةٍ ... ومَنْ دانَها فِلٌّ من الخَيْرِ مَعْزِلُ .

و « التى بالسد . . . » هى العزى ، وكانوا يعبدونها من دون الله .

٦ - وللمسلم على المسلم حقوق يوجبها الإسلام ؛ منها المودة والإخاء . وقد فهم

---

(٦٢) السيرة النبوية م٢ ص ١٣٢ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٤٦٨ .

(٦٣) السيرة النبوية م٢ ص ٤٥١ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٧٩٧ .

(٦٤) شعر الدعوة الإسلامية ص ٣١ .

(٦٥) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ٣٥٠ .

هذا الحطيئة - على رقة إسلامه وما عرف به من سوء خلق - فقال فى تقريع آل الزبرقان :

أَلَمْ أَكُ مُسْلِماً فيكونَ بَيْنِى وبَيْنَكُمُ المَوَدَّةُ والإخاءُ ؟(٦٦)

وحرمة العرض ، وعصمة المال والدماء ؛ عملاً بقول المصطفى ﷺ : « أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إلَهَ إلاَّ الله ، فمَنْ قالَ لا إلهَ إلاَّ اللَّهَ فقد عَصَمَ مِنِّى مالَهُ ونَفْسَهُ إلاَّ بحَقِّهِ وحِسابُهُ على الله » (٦٧) . وفيما قيل فى مقتل الزبير بن العوام رضى الله عنه يوم الجمل - على سبيل المثال - ما يكفى للاستدلال ؛ فها هو ذا قاتله يذهب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه - وكان فى جيشه - ليبشره بقتله ،وهو يظن أنه سوف يجد لديه حظوة بهذا الصنيع ، لما بينه وبين الزبير ، إذا بعلىّ يبشره هو الآخر بالنار ؛ لأنه إنما قتل مسلماً ، لم يرتد عن دينه ، ولم يشرك بالله . وكان رضى الله عنه قد قُتِلَ غيلة ، بعد ما ترك القتال وآثر العودة من حيث أتى كفاً للدماء . يقول ابن جرموز :

أَتَيْتُ عَلِيّاً برأسِ الزُّبَيْرِ أَبْغِى بهِ عِنْدَهُ الزُّلْفَهْ
فبَشَّرَ بالنَّارِ يومَ الحِسابِ فبئستْ بِشارَةُ ذى التُّحْفَهْ. (٦٨)

وتقول عاتكة بنت زيد فى رثائه من أبيات تبشر فيها ابن جرموز بما بشره به على :

واللهِ ربِّكَ إنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِماً حَلَّتْ عليكَ عُقُوبةُ المُتَعَمِّدِ. (٦٩)

(٦٦) ديوان الحطيئة - ت . نعمان محمد أمين طه - ط١ (مكتبة الخانجى - القاهرة سنة ١٩٨٧م) ص ٩٨ .

(٦٧) صحيح مسلم بشرح النووى - بإشراف على عبد الحميد أبو الخير - ط٣ (دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م) جـ١ ص ١٦٨ ، ١٦٩ . حديث رقم (٢٠) .

(٦٨) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد - ت . د . محمد أبو الفضل إبراهيم - ط٢ (دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥م) جـ١ ص ٢٣٦ ، ومروج الذهب للمسعودى - ت . محمد محيى الدين عبد الحميد (المكتبة الإسلامية - بيروت سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٨م) جـ٢ ص ٣٧٣ ، والاستيعاب ص ٥١٦ .

(٦٩) الاستيعاب ص ١٨٧٩ ، ومروج الذهب جـ٢ ص ٣٧٣ ، وشرح ديوان الخنساء بالإضافة إلى مراثى ستين شاعرة من شواعر العرب (دار التراث - بيروت سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م) ص ١٦٥ .

تعنى ما جاء فى سورة النساء : ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ (٧٠) . وتقول أخته زينب بنت العوام :

قَتَلْتُمْ حَوارِىَّ النَّبِىِّ وصِهْرَهُ ... وصاحِبَهُ فاستَبْشِرُوا بِجَحِيم. (٧١)

ويفسد الدين - فيما يفسده - الغدر ؛ يقول الزبرقان :

وَفَيْتُ بأذْوادِ النبىِّ مُحمَّدٍ ... وكنتُ امْرَأً لا أُفْسِدُ الدِّينَ بالغَدْرِ. (٧٢)

كما يفسده النفاق ؛ يقول أبو خيثمة مالك بن قيس :

لَمَّا رأيتُ النَّاسَ فى الدِّينِ نافَقُوا ... أتيتُ التى كانت أعَفَّ وأكْرَما

وبايعتُ باليُمْنَى يدى لمُحمَّدٍ ... فلم أكْتَسِبْ إثْماً ولم أغْشَ مَحْرَما

تركتُ خَضِيباً فى العَرِيشِ وصِرْمَةً ... صَفَايا كِراماً بُسْرُها قد تَحَمَّما

وكنتُ إذا شَكَّ المُنافِقُ أسْمَحَتْ ... إلى الدِّينِ نَفْسِى شَطْرَهُ حيثُ يَمَّما. (٧٣)

ومن دلائله حب أعداء الإسلام وموالاتهم ؛ كاليهود الذين ناصبوا النبىَّ وأتباعه العداء . يقول حسان بن ثابت فى هجاء الضحاك بن خليفة الأشهلى ، وكان معروفاً بالنفاق :

ألا أبْلِغِ الضَّحَّاكَ أنَّ عُرُوقَهُ ... أعيتْ على الإسلامِ أنْ تَتَمَجَّدا

أتُحِبُّ يُهْدانَ الحِجازِ ودِينَهم ... كَبِدَ الحِمارِ ولا تُحِبُّ مُحَمَّدا

وإذا نَشا لك ناشِئٌ ذو غِرَّةٍ ... فَهُ الفُؤادِ أمَرْتَهُ فَتَهَوَّدا

---

(٧٠) الآية ٩٣ .

(٧١) نسب قريش - لأبى عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيرى - ت . ليڤى بروڤنسال - ط٣ (دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٢ م) ص ٢٣٢ .

(٧٢) شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم - ت . د . سعود محمود عبد الجابر - ط١ (مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م) ص ٤٢ .

(٧٣) السيرة النبوية م٢ ص ٥٢١ ، والبداية والنهاية م٣ ص ١٢ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ١١١ ، ١١٢ .

لو كنتَ مِنَّا لم تخالفْ دِينَنا   وتَبِعْتَ دِينَ عَتِيد حينَ تَشَهَّدا. (٧٤)

أما الردة عنه فلها وقفة خاصة ؛ لأهميتها ، وكثرة ما جاء فيها من أشعار . فإذا كان هذا كله صدى لما يعتقده المسلمون فى دينهم ، فماذا عن خصومهم من الوثنيين والمجوس وأهل الأديان السماوية كالنصارى واليهود ؟ كيف نظروا إلى الإسلام ؟ وما الذى كانوا يعتقدونه فى هذا الدين ؟ وما صدى تلك العقيدة فى شعرهم ؟ وكيف اصطبغ بها ، وتشكلت وفقها مضامينه ومحتواه ؟

* * * *

عند غير المسلمين :

١ - تواجهنا فى شعر الخصوم ، خاصة ما تعلق منه بالجانب العقدى ، مشكلة ؛ تتمثل فى قلة ما بأيدينا من شعر يبلور هذا الاتجاه . ومرجع هذه القلة - أو الندرة بتعبير أدق - تعرضه - فى تصورى - للضياع ؛ فكيف يحتفظ المسلمون بشعر ينال فيه خصومهم منهم ، ويمسون فيه الدين ؟ لقد نهى النبى ﷺ عن رواية قصيدة لأمية بن أبى الصلت بكى فيها قتلى بدر وأخرى للأعشى هجا فيها علقمة بن علاثة العامرى [١]. وأعرض ابن هشام - على سبيل المثال - فى غير ما موضع من السيرة عن ذكر أبيات قالها بعض المشركين ، ينالون فيها من النبى أو صحابته أو نساء المسلمين [٢]، كما أعرض عن شعر آخر - وبعضه لشعراء من المسلمين - بسبب الفحش أو الإقذاع فى الهجاء [٣] . وما صنعه ابن هشام لم يكن خاصاً به وحده ، وتلك حقيقة يعرفها كل من تعرض لشعر تلك الفترة بالدراسة ، خاصة ما يتصل بالكفار والمرتدين .

---

(٧٤) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ٣٠٢ . وعتيد - كما جاء فيه - رجل من الأنصار .

(١) مجمع الزوائد جـ٨ ص ١٢٣ ، والشعر فى الإسلام - د . أحمد فؤاد الغول - ط١ (دار لوران للطباعة والنشر - الإسكندرية سنة ١٩٧٩م) ص ٢٠ .

(٢) م١ ص ٦٤٨ ؛ م٢ ص ١١ ، ٣٢ .

(٣) م١ ص ٢٦٨ ، ٤١٣ ؛ م٢ ص ٢٠ ، ٨١ ، ٩٢ .

وعلى الرغم من هذا فإنَّ ما وصلنا من شعر لهؤلاء الخصوم - كفاراً أو يهوداً أو نصارى - يحمل فى بعض جوانبه - على قلته - فكراً عقدياً ، يعنينا منه هنا ما اتصل بدين المسلمين ؛ فهو عند كعب بن الأشرف الطائى - وكان سيداً من سادات يهود - دين لا حقيقة له ، ولذلك يعد أصحابه مجرد غواة ؛ يقول فى رثائه لقتلى بدر :

ويقولُ أقْوامٌ غَوِيٌّ أَمْرُهم　　　إنَّ ابنَ الاشْرَفِ ظَلَّ كَعْباً يَجْزَعُ. (٤)

وإن كان هذا رأى فئة من اليهود ، فإن رأى وثنيى مكة لم يكن يختلف عنه ؛ فقد ركب المسلمون فى رأى ضرار بن الخطاب - قبل إسلامه - الغى ، وتمادوا فيه :

ما يَنْتَهُونَ عن الغَيِّ الذى رَكِبُوا　　　ومالهم من لُؤَيٍّ وَيْحهم عَضُدُ. (٥)

ويضيف فى موضع آخر إلى غوايتهم كونهم - فى رأيه - « خاطئين » ؛ أى ليسوا على صواب ، ولو كان دينهم صحيحاً لما كانوا كذلك فى تصوره :

وجُرْداً كالقِداحِ مُسَوَّماتٍ　　　نَؤُمُّ بها الغُواةَ الخاطئينا. (٦)

وفيها على سبيل التهكم والاستهزاء :

أُناسٌ لا نَرَى فيهم رَشِيداً　　　وقد قالوا : أَلَسْنا راشِدِينا ؟

وهم صابئة عند هند بنت عتبة ؛ لأنهم خالفوا دين الآباء ؛ تقول فى إسلام رملة بنت شيبة بن ربيعة وهجرتها مع زوجها عثمان بن عفان :

لَحَى الرحمنُ صابِئَةً بِوَجٍّ　　　ومكَّةَ عند أطرافِ الحَجُونِ

تَدِينُ لَمعْشَرٍ قتلوا أباها　　　أَقَتْلُ أبيكِ جاءَكِ باليَقِينِ ؟ (٧)

وفى مخالفة ما وجدوا عليه آباءهم - وهى النغمة التى تتردد كثيراً فى شعرهم - نجد أبا هبيرة بن أبى وهب يقول لأم هانئ بنت أبى طالب ، وكانت تحته :

---

(٤) السيرة النبوية م٢ ص ٥٢ ، وأنساب الأشراف جـ١ ص ٢٨٤ .

(٥) السيرة النبوية م٢ ص ١٦٤ .

(٦) المصدر نفسه ص ٢٥٤ .

(٧) الاستيعاب ص ١٨٤٦ ، ونسب قريش ص ١٠٥ ، ١٥٦ .

فإنْ كنتِ قد تابعتِ دينَ مُحَمَّدٍ ... وقَطَّعَتِ الأرحامَ منكِ حِبالُها

فكوني على أعلى سَحِيقٍ بهَضْبَةٍ ... مُلَمْلَمَةٍ غَبْراءَ يَبْسٍ بِلالُها.[8]

ويرميها فى بداياتها بالضلال ، ويعجب من لومها له وعذله على ما هو فيه من الكفر ، وزعمها أنه إن تابع قومه على ما هم فيه فسوف يردى ، ولن يرديه فى تصوره إلا الفراق :

وعاذلَةٍ هَبَّتْ بِليلٍ تَلُومُنِى ... وتَعْذِلُنى بالليلِ ضَلَّ ضَلالُها

وتَزْعُمُ أنّى إنْ أطَعْتُ عَشِيرتى ... سأرْدَى وهل يُرْدِينِ إلاَّ زِيالُها ؟

ويعزف على الوتر نفسه أبو جهل - فى أبيات يشك ابن هشام فى صحة نسبتها إليه[9] - وسلمة- أبو الأصيد - فى إسلام ابنه على يد النبى ، ومما قاله وكتب به إليه :

مَنْ راكبٌ نحو المدينةِ سالمًا ... حَتَّى يُبَلِّغَ ما أقولُ الأصْيَدا

إنَّ البَنِينَ شِرارُهم أمثالُهم ... مَنْ عَقَّ والِدَهُ وبَرَّ الأبْعَدا

أتركتَ دِينَ أبِيكَ والشُّمَّ العُلَى ... أوْدَوا وتابعتَ الغَداةَ مُحَمَّدًا ؟[10]

ولم يكن سلمة قد أسلم بعد .

٢ - وعلى سبيل السخرية بالمعتقدات الإسلامية ، ومنها عقيدة البعث ، نجد أبا بكر ابن الأسود بن شعوب الليثى يقول فى قتلى بدر - فيما أنشده أبو عبيدة النحوى لابن هشام - :

يُخَبِّرُنا الرَّسُولُ بأنْ سَنَحْيا ... وكيفَ حَياةُ أصْداءٍ وهامٍ ؟ ![11]

---

(٨) السيرة النبوية م٢ ص ٤٢١ ، والاستيعاب ص ١٩٦٤ ، وأسد الغابة جـ٥ ص ٤٢١ ، والاشتقاق لابن دريد - ت . د . عبد السلام محمد هارون - ط٣ (مكتبة الخانجى - القاهرة - بدون تاريخ) جـ١ ص ١٥٢ ، وتاريخ الإسلام للذهبى (دار الغد العربى - القاهرة سنة ١٩٩٦م) جـ٢ ص ٣٩١ ، ونسب قريش ص ٣٩ ، ٣٤٤ .

(٩) السيرة النبوية م١ ص ٥٩٧ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٢٨٦ .

(١٠) أسد الغابة جـ١ ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(١١) السيرة النبوية م٢ ص ٢٩ . وفى رواية ابن إسحق :

يُخَبِّرُنا الرَّسُولُ لسوفَ نَحْيا ... وكيفَ لِقاءُ أصْداءٍ وهامٍ ؟

وكان أبو بكر بن الأسود قد أسلم - كما يقول ابن هشام - ثم ارتد عن الإسلام .
وتشبه مقطوعته تلك مقطوعة أخرى ، ينسبها الأبشيهى للأسود بن يعفر - نهشلى تميمى - فى يوم بدر كذلك ، ولعلهما من قصيدة واحدة ، اختلفت فى نسبتها وبعض ألفاظها وترتيب أبياتها الروايات . ومنها - على ما جاء فى المستطرف - :

أيُوعِدُنى ابنُ كَبْشَةَ أنْ سنحيا ... وكيفَ حياةُ أصْداءٍ وهامِ
أيَعْجَزُ أنْ يَرُدَّ الموتَ عنى ... ويَنْشُرُنى إذا بَلِيتْ عِظامى؟ (١٢)

وفيهما تفصيل عما جاء فى رواية ابن هشام ، خاصة البيت الثانى ؛ فكيف ينشر - وقد بليت العظام - من يعجز عن رد الموت ؟ ثم يجىء بعدهما - وفيهما استهزاء بفريضة الصيام - :

ألا مَنْ مُبْلِغُ الرَّحْمنَ عَنِّى ... بأنِّى تاركٌ شَهْرَ الصِّيامِ
فقلْ للهِ يَمْنَعُنى شَرابى ... وقَلْ للهِ يَمْنَعُنى طَعامى .

ويسخر من الشريعة جملة ، وما تتضمنه من الأوامر والنواهى أو « الحلال والحرام» ، أبو عفك - أحد من قتل على النفاق - فيقول فى النبى ومن تابعه :

فصَدَّعَهُمْ راكِبٌ جاءَهم ... حَلالٌ حَرامٌ لِشَتَّى مَعا. (١٣)

وتقول عصماء بنت مروان :

أطَعْتُمْ أتاوِىَّ من غَيْرِكم ... فلا من مُرادٍ ولا مَذْحِجِ
تُرَجُّونَهُ بعدَ قَتْلِ الرءوسِ ... كما يُرْتَجى مَرَقُ المُنْضَجِ. (١٤)

وفيهما تحريض واضح على رسول الله ، وحث - يعزف فى مهارة واقتدار على وتر العصبية القبلية - للارتداد عن دينه والخروج - أو التفلت - من دائرة الإسلام ، وإلهاب للمشاعر بتذكيرها لهم بما سال على يد المسلمين من دماء ذويهم قبل دخولهم الإسلام وقتل « الرءوس » والزعماء .

(١٢) المستطرف فى كل فن مستظرف - لشهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الأبشيهى - شرحه ووضع هوامشه د . مفيد محمد قميحة - ط١ (دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م) ص ٥٢٦ .
(١٣) السيرة النبوية م٢ ص ٦٣٦ .
(١٤) المصدر نفسه ص ٦٣٧ .

ويرى فى الإسلام تبعية - وهم قوم قد اعتادوا الإباء وأنفوا من التبعية بكل أشكالها وصورها - أسيد بن أبى أناس بن زنيم ، فيقول محرضاً :

لـلهِ دَرُّكُـمُ أَلَـمَّـــــا تُـنْكِـروا ... قـد يُنْكِرُ الحيُّ الـكريمُ ويَسْـتَـحِى
ها ابـنُ فـاطمــــةَ الذى أفنـاكمُ ... ذَبْحـاً وقـتْلَةَ قِــعْـصَـةٍ لم تُذْبَحِ
أَعْطوه خَـرْجـاً واتَّـقُـوا بضَـرِيبَـةٍ ... فِـعْلَ الذَّليلِ وبَيْعَـةً لم تَرْبَحِ.[15]

ولا يرى ابن بقيلة - فى خضم عـصبيته للمناذرة وولائه الشديد لعـهدهم الغابر - فى الإسلام إلا مجرد تبعية لقبائل معد و « خرج » - على حد تعبيره - أو خراج :

أَبَعْــدَ المُنْذِرَينِ أرى سَــوامـاً ... تُرَوَّحُ بـالخَــورْنَقِ والسَّــدِيرِ
وبعـدَ فَــوارسِ النُّعْـمــانِ أَرْعَى ... قَلُوصــاً بينَ مُــرَّةَ والحَــفِيــرِ
فـصِـرْنا بعـدَ هُـلْكِ أبى قُـبَـيْسٍ ... كـجُـرْبِ المَعْـزِ فى اليـومِ المَطِيـرِ
تَقَـسَّــمُنا القـبـائلُ من مَـعَـدٍّ ... عــلانِيــةً كـأيســارِ الجَــزُورِ
وكُـنَّا لا يُـرامُ لـنا حَــــــرِيمٌ ... فنحنُ كـضَـرَّةِ الضَّـرْعِ الفَـخُـورِ
نُؤَدِّى الخَـرْجَ بَعْدَ خَـراجِ كِسْـرَى ... وخَــرْجٍ من قُــرَيْظَـةَ والنَّضِـيــرِ
كــذاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُــهُ سِـجــالٌ ... فيـومٌ من مسـاءةٍ او سرورِ.[16]

ويأتى رفض الدين جملة دونما تفصيل فى قول أم جميل :

مُــــحَــــمَّــــداً قَـلَيْـنا ... ودِيْـــنَـــهُ أَبَـــيْـــنـــا.[17]

وقول آخر من بنى الديل - قتله عمرو بن أمية الضـمرى ، وقد سمعه يرفع عقيرته ويتغنى بهذا البيت -:

---

(١٥) أسد الغابة جـ٣ ص ٥٩٤ ، ويعنى بابن فاطمة على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(١٦) تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٣٦٢ .

(١٧) أنساب الأشراف جـ١ ص ١٢٢ ، والسيرة النبوية م١ ص ٣٥٦ وروايتها :

مُــذَمَّــمــا عَــصَـيْـنا ... وأَمْـــــــــرَهُ أَبَـيْــنا
ودِيْـــنَـــهُ قَـــلَـــيْـــنـــا

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مـا دُمْتُ حَيّـاً ... ولستُ أَدِينُ دِينَ المُسْلِمينا.[18]

وفى شعر المسلمين ما يجسم كذلك عقيدة هؤلاء الخصوم فى دينهم ، ويبرز رأيهم فيهم ؛ فهم عند كعب بن مالك يقولون عن رسول الله ﷺ إنه « ساحر » ، ولا يجىء الساحر بدين صحيح ، إنما يجىء بالباطل والزور . يقول كعب :

وكـانَ رَسُولُ اللهِ قـد قال أَقْبِلُوا ... فَوَلَّوا وقالوا إنمـا أنتَ ساحرُ.[19]

وليس الإسلام فى رأيهم - عند كعب كذلك - إلا نوعاً من السفه والضلال ؛ يقول مخاطباً كفار قريش :

إنْ تَقْتُلُونا فـدينُ الحقِّ فِطْرَتُنا ... والقَتْلُ فـى الحَقِّ عند الله تَفْضِيلُ

وإنْ تَرَوْا أَمْرَنـا فى رأيكم سَفَهاً ... فرأىُ مَنْ خالَفَ الإسلامَ تَضْليلُ.[20]

والمسلم فى معتقدهم - كما يقول عثمان بن مظعون ، متخذاً من نفسه نموذجاً - غواة مضللون ، قد غُرِّرَ بهم ، ناقصو عقول أو سفهاء :

فـإنِّى وإنْ قلتم غَـوِىٌّ مُـضَلَّلٌ ... سفيهٌ على دِينِ النَّبِىِّ مُحَمَّدِ.[21]

٣ - ولا نعدم - على الرغم من هذا - فى شعر هؤلاء الخصوم رأياً يقترب إلى حد ما من وجهة نظر المسلمين ، خاصة عند من أسلم منهم ، أو أبدى استعداداً للدخول فى الإسلام ؛ فنجد كليب بن أسد الحضرمى يذكر بشارة التوراة - والسابقين من الرسل عليهم الصلوات والسلام - بالنبى ﷺ :

أنتَ النَّبِىُّ الذى كُنَّا نُخَبَّـرُهُ ... وبَشَّرَتْنا به التَّوْراةُ والرُّسُلُ.[22]

---

(١٨) البداية والنهاية م ٢ ص ٤٨٦ والطبقات الكبرى م٢ ص ١٣٥ . وهو - مع اختلاف طفيف - بالسيرة م٢ ص ٦٣٤ .

(١٩) السيرة النبوية م٢ ص ١٥ ، وشعر الدعوة ص ٢٤١ .

(٢٠) السيرة النبوية م٢ ص ١٤٧ ، وشعر الدعوة ص ٢٨٦ .

(٢١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى - ط١ (مكتبة الخانجى - القاهرة سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م) جـ١ ص ١٠٤ ، وشعر الدعوة ص ٢٧٣ .

(٢٢) الإصابة جـ٥ ص ٤٦٤ ، والطبقات الكبرى م١ ص ٤٨٩ ، وشعر الدعوة ص ١٠٩ .

ويشير مجهول - كان فيما يبدو على دين النصرانية - إلى وصية عيسى عليه السلام بموالاته والتصديق به :

وقُــولُوا له إنَّا لدينِكَ شِــيــعَــةٌ   بذلك أوْصانا المسيحُ ابنُ مَرْيَما.[٢٣]

ويستبطئ ورقة بن نوفل - وقد استشارته خديجة فيما يحدث للنبى قبل الجهر بالدعوة - ظهوره ، ويعد بنصرته واتباعه إن بقى حتى يجهر بالدين ، ويتوقع ارتطام قريش به ومن والاها من الوثنيين . يقول ورقة - وكان كما تذكر الأخبار نصرانياً على دين المسيح - :

لَجِجْتُ وكنتُ فى الذِّكْرَى لَجُوجا   لِهَمٍّ طالما بَعَثَ النَّشِيجا

ووَصْفٍ من خديجةَ بَعْدَ وَصْفٍ   فقد طالَ انتظارِى يا خديجا

ببَطْنِ المكَّتَيْنِ على رجائى   حَديثك أنْ أرَى منه خُرُوجاً.[٢٤]

وعلى ما قد يكون فى هذا الشعر من شك - وإن لم يعقب ابن هشام عليه كعادته حين يشك فيما يسوقه ابن إسحق من الأشعار - إلا أنه يشى بروح معتدلة ، لم تتعصب لدينها - على ما اعترى ذلك الدين من التحريف ، فترى الحق باطلاً ، والرشد ضلالاً. ويشبهه شعر الجارود - ملك عمان - وكان نصرانياً ، ثم اهتدى إلى الإسلام ؛ ومنه - وقد مر بنا - قوله :

شَهِدْتُ بأنَّ اللهَ حَقٌّ وسامَحَتْ   بناتُ فُؤادى بالشَّهادَةِ والنَّهْضِ

فأبلغْ رَسُولَ الله عَنِّى رِسالَةً   بأنِّى حَنِيفٌ حَيْثُ كنتُ من الأرْضِ.[٢٥]

وفى مدح الأعشى - أعشى قيس - للنبى ، وكان قد هم بالدخول فى الإسلام ثم أثنته قريش ، اعتراف بنبوته ﷺ :

---

(٢٣) الإصابة جـ١ ص ٥٨٩ ، وشعر الدعوة ص ٤٨ .

(٢٤) السيرة النبوية م ١ ص ١٩١ .

(٢٥) الإصابة جـ١ ص ٥٣٣ ، وشعر الدعوة ص ٥٢ .

نبىٌّ يرى ما لا ترَوْنَ وذِكْرُهُ ... أغارَ لَعَمْرى فى البلادِ وأَنجدا.[26]

وتقريظ لما يدعو إليه :

أَجِدَّكَ لم تَسْمَعْ وَصاةَ مُحَمَّدٍ ... نَبىِّ الإلهِ حينَ أَوْصَى وأشْهَدا

إذا أنتَ لم تَرْحَلْ بزادٍ من التُّقَى ... ولاقَيْتَ بعدَ الموتِ مَنْ قد تَزَوَّدا

نَدِمْتَ على ألاَّ تكونَ كمثلِهِ ... وأنَّكَ لم تَرْصُدْ لما كان أَرْصَدا .

ومعرفة مبدئية بأصول دعوته وشيئاً من شريعته :

فإيَّاكَ والمَيْتاتِ لا تأكُلَنَّها ... ولا تأخذَنْ سَهْماً حديداً لتُفْصِدا

وذا النُّصُبَ المَنْصُوبَ لا تَنْسُكَنَّهُ ... ولا تَعْبُدِ الأوثانَ واللهَ فاعْبُدا

وصَلِّ على حينِ العَشِيَّاتِ والضُّحَى ... ولا تَحْمَدِ الشَّيْطانَ واللهَ فاحْمَدا

ولا السَّائلَ المحرومَ لا تَتْرُكَنَّهُ ... لعاقِبَةٍ ولا الأسيرَ المُقَيَّدا

ولا تَسْخَرَنْ من بائسٍ ذى ضَرَاوَةٍ ... ولا تَحْسَبَنَّ المرءَ يَوْماً مُخَلَّدا

ولا تَقْرَبَنَّ جارةً إنَّ سِرَّها ... عليك حرامٌ فانْكِحَنْ أو تأبَّدا .

وفى شعر رجل من هوازن تسليم بنصرة الله للمسلمين ، وبعث الملائكة وفيهم جبريل لمؤازرتهم يوم حنين . يقول فى الاعتذار عما حل بهم من هزيمة فى ذلك اليوم، بعدما كاد يتحقق لهم النصر :

فضاربُوا النَّاسَ حتَّى لم يَرَوْا أَحَداً ... حولَ النَّبىِّ وحتى جَنَّهُ الغَسَقُ

ثُمَّت نُزِّلَ جِبْرِيلٌ بنَصْرِهِمِ ... من السَّماءِ فمَهْزُومٌ ومُعْتَنَقُ

مِنَّا ولو غيرُ جِبْرِيلٍ يُقاتِلُنا ... لَمَنَّعَتْنا إذنْ أَسْيافُنا العُتُقُ.[27]

---

(٢٦) ديوان الأعشى – ت . فوزى عطوى (دار صعب – بيروت سنة ١٩٨٠م) ص ١٠٦، وخبرها – مع نصها كاملة – بالسيرة م١ ص ٣٨٦ : ٣٨٨ .

(٢٧) السيرة النبوية م٢ ص ٤٧٥ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى – ت . عبد الستار فراج (دار إحياء الكتب العربية – القاهرة سنة ١٣٨١هـ ١٩٦١م) ص ٢٣١ ، وشعر الدعوة ص ٢٦٧ .

وفى شعر أبى طالب - عم النبى - لمحات كثيرة ، تسير فى هذا الاتجاه ، نكتفى بالإشارة إليها - لما يثار حول شعره من شك ، واحتمال وضع الشيعة لكثير منه - مجرد إشارة ، للتعضيد والاستئناس ؛ فالدين الذى يدعو إليه محمد « من خير أديان البرية ديناً » ، ولولا خشية اللوم ، وحذر السب بمخالفة ما كان عليه الأجداد ، لجاد بالشهادة عن رضا وطيب نفس (٢٨) .

* * * *

الردة عنه :

١ - لم تحتفظ مصادرنا القديمة إلا بالنذر اليسير من شعر المرتدين ، وتبدو على بعضه - خاصة فيما ينسب إلى طليحة ومسيلمة وأضرابهما من الرءوس - سمات الوضع ؛ للسخرية من قائليه ؛ كهذين البيتين :

خُذِى الدُّفَّ يا هذه والْعَبِى وبُثِّى مَحاسِنَ هذا النبى
تَوَلَّى نَبِىُّ بَنِى هاشِمٍ وقامَ نَبِىُّ بَنِى يَعْرُبِ. (١)

وهما ينسبان لمسيلمة ، ويبدو الرجل فيهما مستهترا ، عاكفاً - مع ادعائه للنبوة - على الخمر والرقص والغناء . وكتلك الأبيات التى تنسب إليه كذلك ، وفيها إفحاش - أيما يكون الفحش - بسجاح ، وقد تابعته على دعوته (٢) .

---

(٢٨) تاريخ الإسلام - م١ ص ١٦ . وأبيات له أخرى بالسيرة النبوية م١ ص ٣٥٢ ، م٢ ص ٢٤ ، وتفسير ابن كثير جـ٤ ص ١١٨ .

(١) البداية والنهاية م٣ ص ٨٩٤ .

(٢) الردة للواقدى ص ١٧٢ ، وتاريخ الطبرى جـ٣ ص ٢٧٣ ، ونهاية الأرب جـ ١٩ ص ٧٩ ، والأغانى (ط الشعب) ص ٨١٩٢ ، ومحاضرات الأدباء جـ٤ ص ٤٣١ ، وتاج العروس (خدع) . ومما ينسب إليه كذلك فى التصريح بنبوته (الردة للواقدى ص ١٩٦) :

أنا رَسُولٌ وارْتَضانى الخالِقُ
القابِضُ الباسِطُ ذاك الرَّازِقُ
يا ابن الوليد أنت عندى فاسِقُ
وكافِرٌ بربِّه مُنافِقُ .

والحقيقة أن شعر هؤلاء المرتدين - أو بالأحرى ما وصلنا منه - يعجز عن تصوير عقيدتهم تصويراً كاملاً ، تتضح لنا فيه أبعاد حركتهم وحقيقة تمردهم ، كما يصور شعر المسلمين ، فما هي إلا لمحات تتناثر هنا وهناك - وقد أصبح من العار عليهم بقاء هذا الشعر الذي قالوه في ردتهم ، وقد عادوا مرة أخرى إلى الإسلام ؛ لما قد يكون فيه من نيل من الإسلام والمسلمين ، وحض على الثأر ، وإعلاء للعصبيات ، مما يفسر ضياع كثير منه (٣) - كتلك التي يتراءى لنا فيها مسيلمة - من خلال رثاء رجل من بني حنيفة له ، لم يصرح بذكر اسمه المصدر - وكأنه في معتقد أتباعه نبي :

لَهْفِي عليكَ أبا ثُمامَهْ لَهْفِي على رُكْنَيْ شَمامَهْ
كم آيةٍ لكَ فيهمُ كالشَّمْسِ تَطْلُعُ من غَمامَهْ. (٤)

وهو - بلاشك - واحد من هؤلاء الأتباع ، المؤمنين به وبأكاذيبه وافتراءاته ؛ فقد اعتبر ما كان يموه به عليهم من الأكاذيب والترهات آيات دالة على نبوته وصدق دعوته، وهذه الآيات واضحة - في تصوره - وضوح الشمس . « إلا أن مثل هذه الأبيات التي تعبر عن إيمان هؤلاء المرتدين بما ذهبوا إليه واقتناعهم بما اقترفوه قليل ، وهي كما سبق أن ذكرت قد تعرضت - فيما أتصوره - للإهمال المتعمد من جانب أصحابه ، بعد عودتهم مرة أخرى إلى الإسلام ، ومن الرواة على السواء ، فأصابها الفقد ، وامتدت إليها يد البلى والضياع » (٥) .

وفي أبيات مُجَّاعة بن مرارة الحنفي :

لم نَدَعْ مِلَّةَ النَّبِيِّ ولا نَحْـ ـنُ رجعْنا عنها على الأعقابِ. (٦)

وهو يصور موقف طائفة منهم خاصة ، لم يكن لها - على حد قوله لخالد بن

---

(٣) شعر الرثاء والصراع السياسي والمذهبي ١ - في صدر الإسلام - د. محمد أبو المجد - ط١ (دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع - الإسكندرية سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م) ص ٧٦ ، ٨٢ .

(٤) الروض الأنف للسهيلي (مؤسسة مختار للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٣٩١ هـ ١٩٧١م) جـ٤ ص ٢٢٥ .

(٥) شعر الرثاء والصراع السياسي والمذهبي ص ٨٢ .

(٦) كتاب الردة ص ١٨٤ .

الوليد - بد من مداراة مسيلمة ؛ خوفاً على أنفسهم وأموالهم وأولادهم (٧) ، فلم يكفروا - على الحقيقة - بالله ولا بالنبى .

ولشيخ من تميم :

يا مَعْشَرَ الأشهادِ إنَّ أميرَكم أمَرَ الغَداةَ ببعضِ مالم يُؤْمَرِ
حَرُمَتْ عليه دِماؤنا بصَلاتِنا واللهُ يَعْلَمُ أنَّنا لم نَكْفُرِ . (٨)

وفى مثل هذه الإشارات - على قلتها - ما يدل على أن بعض من سار فى ركاب المرتدين كان يتظاهر بموالاة رءوس الفتنة - خوفاً وتقية - وهو يضمر فى نفسه الإيمان، وبعضهم لم يمنع الصلاة وإن جادل حول الزكاة ، وهو يظن أن الصلاة - وهى عمود الدين - تحرم دمه ، حرمة سائر دماء المسلمين ، ويرى أنه لم يخرج عن الإسلام إلى دائرة الكفر .

٢ - أما سائر أهل الإسلام - ممن ثبتوا على إسلامهم وحارب بعضهم هؤلاء المرتدين - فقد رموهم بالكفر صراحة ، ولولا أن تلك عقيدتهم فيهم ما كان حرب أبى بكر لهم وتتبعهم فى كل مكان ، مع حاجته إلى إنفاذ الجيش الذى أمر النبى ﷺ بإنفاذه لقتال الروم ؛ فإنكار ركن من أركان الدين - معلوم بالضرورة فرضيته - كالزكاة ونحوها كفر ، وهى ردة بعضهم ، فضلاً عن ادعاء النبوة أو التصديق بأنبياء بعد محمد ، وهى ردة آخرين . فهم - على الجملة - كفار فى قول ضرار بن الأزور :

فإنْ تَبْتَغِى الكُفَّارَ غيرَ مُلِيمَةٍ جَنُوبُ فإنِّى تابِعُ الدِّينِ مُسْلِمُ . (٩)

وهو مما قاله يوم اليمامة . وكفار كذلك فى قول عميرة بن بجرة :

ألم تَرَ أنَّ اللهَ يومَ بُزاخَةٍ أحالَ على الكفَّارِ سَوْطَ عذابِ؟ (١٠)

---

(٧) المصدر نفسه ص ١٨٣ .

(٨) المصدر نفسه ص ١٦١ .

(٩) تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٢٩٧ ، والبداية والنهاية م٣ ص ٨٧٤ ، وشعر الدعوة ص ٢٧٩ ، ٥١٠ .

(١٠) الإصابة جـ٥ ص ١٢٦ ، ومن الضائع من معجم الشعراء للمرزبانى - د . إبراهيم السامرائى - ط١ (مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م) ص ١٠٦ .

وقول ابن المطرح الحنفى – وهو ممن ثبت على الإسلام مع آخرين من بنى حنيفة – فيما خاطب به أبا بكر رضى الله عنه :

لَسْنا نَغُرُّكَ من حَنِيفَةَ إنَّهم والرَّاقصاتِ إلى مِنًى كُفَّارُ.(١١)

وقد جاء بالقسم و « إنَّ » المشددة مع الاسمية ؛ لتأكده مما يقول ، وحرصه على تأكيده للآخرين . وعند عفيف بن المنذر فى ردة أهل البحرين :

ألم تَرَ أنَّ اللهَ ذَلَّلَ بَحْرَهُ وأنزلَ بالكفَّارِ إحدى الجلائِلِ؟(١٢)

ومما نصح به عدى بن عوف قومه من كندة :

يا قومُ إنِّى ناصِحٌ لا تَرْجِعُوا فى الكُفْرِ واتَّبِعُوا مَقالَ النَّاصِحِ
لا تَرْجِعُوا عن دِينِكم فى رِدَّةٍ بَغْياً فإنَّ البَغْىَ أمْرٌ فاضِحُ.(١٣)

وهو يضيف إلى الكفر البغي ، والبغى مما لا يليق بهم ، ويخشى عليهم – فى آخرها – حرب أبى بكر ، ومصيراً مثل مصير ثمود . ولآخر فى نصيحة قومه كذلك :

فارْجِعُوا للهِ عن كُفْرِكم واتبعوا ديناً حَنِيفاً قَيِّما.(١٤)

والردة عند بعضهم سبيلِ غى – ومسيلمة كذاب ، وإن جاء بسجع يزعم أنه من عند الله – :

دَعانا إلى تَرْكِ الدِّيانَةِ والهُدَى مُسَيْلَمَةُ الكَذَّابُ إذ جاءَ يَسْجَعُ
فيا عَجَباً من مَعْشَرٍ قد تَتايَعوا له فى سَبِيلِ الغَىِّ والغَىُّ أشْنَعُ.(١٥)

ونكث للعهود :

إنْ تُمْسِ كِنْدَةُ ناكِثِينَ عُهُودَهم فاللهُ يَعْلَمُ أنَّنا لم نَنْكُثِ
واللهُ يَعْلَمُ أنَّنا لم نَأْلُهُمْ نُصْحاً ومَنْ يَحْلِفْ بها لم يَحْنَثِ.(١٦)

---

(١١) الإصابة جـ ٦ ص ٨٣ .

(١٢) البداية والنهاية م٣ ص ٨٧٩ .

(١٣) كتاب الردة ص ٢٦٧ . وفيهما – على اجتهاد محققه لنفى ذلك – إقواء .

(١٤) المصدر نفسه ص ٢٧٩ . وأولها :

يا بَنِى هِنْدٍ لَقِيتُم صَيْلَما إذ كفرتُم بالإلهِ مُنْعِما .

(١٥) الاستيعاب ص ٢١٦ .

(١٦) كتاب الردة ص ٢٧٢ .

ونصب عداوة لله :

بَنِى عامرٍ إنْ تَنصرُوا اللهَ تُنصَرُوا — وإنْ تَنصِبُوا للهِ والدِّينِ تُخذَلُوا
وإنْ تُهزَمُوا لا يُنجِكُم عنه مَهرَبٌ — وإنْ تَثبُتُوا للقَوْمِ واللهِ تُقتَلُوا.[17]

وضلال :

ضَلُّوا وغَرَّهُمُ طُلَيحةُ بالمُنَى — كَذِباً وداعِى رَبِّنا لا يكذِبُ.[18]

وحَيدٌ عن السبيل :

ألا أبلغْ بنى أسَدٍ جَمِيعاً — وهذا الحَىَّ مِن غَطَفانَ قِيلِى
بأنَّ طُلَيحَةَ الكذَّابَ أضحَى — عَدُوَّ اللهِ حادَ عن السَّبيلِ.[19]

وهم « جموع الأخابث » :

فلم تَرَ عَينِى مِثلَ يَوْمٍ رأيتُهُ — بخُبثِ المَخازِى فى جُمُوعِ الأخابِثِ.[20]

دينهم « دين سوء » ممحوق ، سوف يهلكهم كما هلكت من قبل ثمود :

أرْدَتْ ثَمُودَ بوادِى الحِجرِ ناقتُهم — والحَىُّ من قبائلٍ فى ناقَةٍ حُوقِ
والحَىُّ من كِندَةَ صاروا بناقتِهم — مِثلَ الذينَ مَضَوْا بالشُّؤمِ فى النُّوقِ
أبَعْدَ دِينٍ تَوَلَّى اللهُ نُصرَتَهُ — من دِينِ سوءٍ ضَعِيفِ السِّرِّ مَمْحُوقِ؟[21]

وهو كذلك دين لا أصل له :

---

(١٧) الإصابة جـ٢ ص ١٣٧ ، وشعر الدعوة ص ٣٦ .

(١٨) الإصابة جـ٦ ص ١٦٥ ، وشعر الدعوة ص ٢٦٩ . وفى وصفها - ووصف أصحابها - بالضلال نجد كذلك قول زفر بن يزيد بن حنيفة الأسدى :

لَهفِى على أسَدٍ أضَلَّ سَبِيلَهم — بعدَ النَّبىِّ طُلَيحَةُ الكَذَّابُ .

الإصابة جـ٢ ص ٥٢٥ . وقول آخر فى بنى تميم وسجاح :

أضَلَّ اللهُ سَعْىَ بَنِى تَميمٍ — كما ضَلَّتْ بِخطبَتِها سَجاحُ .

مروج الذهب جـ٢ ص ٣١٠ .

(١٩) الإصابة جـ٢ ص ٤٨ .

(٢٠) الإصابة جـ٣ ص ٤١٨ ، وتاريخ الطبرى جـ٣ ص ٣٢١ ، ومن الضائع من معجم الشعراء للمرزبانى ص ٨٠ .

(٢١) الإصابة جـ٥ ص ٦٩ ، وشعر الدعوة ص ٨٤ .

أتوكُمْ بدِينٍ قائمٍ وأُتيتُمُ ... بمُنتَسَخِ الآياتِ فى مُصْحَفِ طَبّ.(٢٢)

٣ – والردة على اختلاف أنواعها – من ادعاء نبوة ، أو منع زكاة أو صلاة ، أو انسلاخ تام عن الإسلام ونبذ يد الطاعة وعدم الاعتراف بالخلافة والتمرد على الولاة – تشترك فى نظرة أهل الإسلام إلى أصحابها ؛ فجميعهم – كما دلت الأبيات فى الفقرة السابقة – خارجون عن الدين ، دونما تمييز بين نوع ونوع أو صنف وآخر ، ولا مصير لهؤلاء الخارجين – إن ماتوا على ما هم عليه – إلا النار :

قلتُ يا مالِ إنَّ ربَّكَ حَيٌّ ... فاعْبُدَنْهُ ودِنْ بدِينِ الرَّسُولِ

إنَّها رِدَّةٌ تقُودُ إلى النَّارِ ... فلا تُولَعَنْ بقالٍ وقِيلِ.(٢٣)

فكثرت – من ثم – فى أشعار العائدين – أيّاً ما كانت ردتهم – التوبة ، يسوقونها مع الاعتذار ، والتأكيد مع كل فرصة سانحة على اتباع الدين والبراءة ممن أغروهم بالضلال . وفى كتاب الردة للواقدى – وهو مما يلخص موقف هؤلاء العائدين ، ويصور اتجاههم هذا أصدق تصوير – تلك الدالية المنسوبة إلى عمرو بن سمرة ، وكان ممن وجه به خالد مع جماعة من وجوه أهل اليمامة إلى أبى بكر ، بعدما ألحق بهم ما ألحقه من الهزيمة ، فلما دخل عليه قال : « يا خليفة رسول الله ، خرج بيننا ، وكان رجلاً مشؤوماً » – يعنى مسيلمة ، وكان أبو بكر قد سألهم عنه وعن أمره وما كان منه – « أصابته فتنة من حديث النفس ، وأمانى الشيطان ، دعا إليه قومه من مثله ، فأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، فلم يبارك الله له ولا لقومه فيه ، وقد كان منا ما كان من غيرنا ممن ارتد من قبائل العرب ، وأنت أولى بالعفو والصفح الجميل ، والسلام . ثم أنشأ يقول :

رَمَتْنا القَبائلُ بالمُنْكَراتِ ... وما نحنُ إلا كمَنْ قد جَحَدْ

ولَسْنا بأكْفَرَ من عامِرٍ ... ولا غَطَفانَ ولا مِنْ أسَدْ.(٢٤)

إلى آخر تلك الأبيات التى ظل يعدد فيها جموع المرتدين من سليم وتميم ووائل

---

(٢٢) تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٢٧٤ .

(٢٣) الإصابة جـ٥ ص ٢٩٢ ، وشعر الدعوة ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢٤) ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

وبعض قبائل اليمن ، على سبيل الاستئناس بموقف هؤلاء ، وأنها - أعنى الردة - لم تكن خاصة بهم وحدهم ، وإنما كانت فتنة عمت بها الجزيرة من جميع أطرافها . ثم قال :

وكُنَّا أُناساً على شُبْهَة ... نَرَى الغَىَّ لاشَكَّ مِثْلَ الرَّشَدْ
نَدِينُ بما دانَ كَذَّابنا ... فيا لَيْتَ والِدَهُ لم يَلِدْ
تَمَنَّى النُّبُوَّةَ فى شِرْكِه ... وما قالها قَبْلَهُ من أحَدْ
فَلَمَّا أناخَ بِنا خالِدٌ ... جَهِدْنا له الحَرْبَ فيمن جَهَدْ .

فهى فتنة إذن ، قامت على اشتباه الأمور وتداخلها بالنسبة لهم ، ومسيلمة كذاب ، ادعى النبوة ، وتخرص على النبى أنه أشركه فى الأمر معه ، وأتى على ذلك بشهداء - شهدوا زوراً وخوفاً - فلما حاربهم خالد حاربوه فيمن حاربه ، ثم نزلوا - كما يجىء فى آخر القصيدة - على شروط قاسية قلدهم بها عار الأبد .

ومما جاء على لسان طليحة بن خويلد ، وكتب به إلى أبى بكر من مهربه فى بلاد الشام ،يستعطفه ويسترضيه :

نَدِمْتُ على ما كانَ من قَتْلِ ثابتٍ ... وعُكَّاشَةَ الغُنْمِىِّ والمَرْءِ مَعْبَد
وأَعْظَمُ من هاتينِ عندى مُصيبةً ... رُجُوعِى عن الإسلامِ فِعْلَ التَّعَمُّد
وتَرْكُ بِلادِى والحوادثُ جَمَّةٌ ... طَرِيداً وقِدْماً كنتُ غيرَ مُطَرَّد
فهل يقبلُ الصِّدِّيقُ أنِّى مُراجِعٌ ... ومُعْطٍ بما أحدثتُ من حَدَث يَدى
وأنِّى من بعدِ الضَّلالَةِ شاهدٌ ... شَهادَةَ حَقٍّ لَسْتُ فيها بمُلْحِد
بأنَّ إلهَ النَّاسِ ربِّى وأنَّنى ... ذَلِيلٌ وأنَّ الدِّينَ دينُ مُحَمَّد. (٢٥)

وثابت وعكاشة ومعبد - المذكورون فى البيت الأول - طليعة جيش خالد ، قتلهم أصحاب طليحة ، فإنْ كان قتلهم أمراً عظيماً - وهم من هم فى الإسلام - فأعظم منه، كما يرى ، ردته عن الإسلام ، عامداً متعمداً - لا عن شبهة أو التباس - وتشرده ذليلاً مهاناً فى البلاد ، فهل يقبل الصديق توبته واعتذاره ، ويصفح عما كان فيه وما وقع منه، كما عفا عن غيره - كقرة بن هبيرة وعيينة بن حصن ، وإن لم يبلغا فى ردتهما

---

(٢٥) كتاب الردة ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

مبلغه ، ولم يقترفا بعض ما اعترف به - ويتوب عليه ؟

وإلاَّ فما بالشَّامِ والرُّومِ مَهْرَبٌ ... من اللهِ في يومي يقيناً وفي غدي

وما كنتُ إلا مشركاً ومنافقاً ... ولستُ بنصراني ولا مُتَهَوِّدِ

ولكنْ رَمَى إبليسُ قلبي بفتنةٍ ... ظللتُ بها أشْقَى وأخْلفتُ مَوْعِدِي .

فما كان فيه من الردة شرك ونفاق ، ورمية أصابَ إبليس بها قلبه ، فشقى بها أيما يكون الشقاء .

ويأتى التأكيد على العهد باتباع دين النبى والالتزام بأوامره ونواهيه - حتى عند من ثبتوا على الإسلام ولم يتابعوا الغوغاء فيما ذهبوا إليه - فى قول ابن أنس الحارثى :

ونحنُ بحمدِ الله هامةُ مَذْحِجٍ ... بنو الحَرثِ الخَيْرِ الذينَ هُمُ مَدَرْ

ونحنُ على دِينِ النَّبِيِّ نَرَى الذى ... نهانا حَراماً منه والأمْرُ ما أمَرْ. (٢٦)

وهو ممن ثبت على إسلامه ، وقام فى قومه - من بنى مذحج - خطيباً ، يحثهم على التمسك بالدين ، ويثبتهم عليه . ومثل هذا التأكيد على العهد نجده فى قول جعونة ابن مرثد الأسدى :

بَنِي أَسَدٍ قد ساءَنِي ما فَعَلْتُمُ ... ولَيْسَ لقومٍ حارَبُوا اللهَ مُحْرَمُ

فإنِّي وإنْ عِبْتُمْ عليَّ سَفَاهَةً ... حَنِيفٌ على الدِّينِ القَوِيمِ ومُسْلِمُ. (٢٧)

يعنى اتباعهم طلحة وفتنتهم به . ويصف نفسه بالحنيفية ، كما وصف آخرون من المسلمين -وقد مر- أنفسهم به ، وهو الدين القويم كما يرى ، وليس عيبهم له بعدم متابعتهم على ما كانوا فيه إلا نوعاً من السفاهة والحمق ؛ لأنهم إنما يحاربون الله ويجترئون - بما صنعوا - عليه . وقول حبيش الأسدى :

شَهِدْتُ بأنَّ اللهَ لا رَبَّ غَيْرُهُ ... طُلَيْحَ وأنَّ الدِّينَ دِينُ مُحَمَّدِ. (٢٨)

فلا دين غير دين النبى ﷺ ، ولا رب غير الله عز وجل . وقول حصن الجذامى فى تمسكه - هو ، وأخواه حصين وسفيان - بالإسلام :

---

(٢٦) الإصابة جـ٤ ص ٢٣٦ ، وشعر الدعوة ص ١١٤ .

(٢٧) الإصابة جـ١ ص ٦٣٧ .

(٢٨) المصدر نفسه جـ٢ ص ١٤١ .

إنَّنى والحُـــصَـيْنُ وابن أبـى بَجْـ ـــرَةَ سُـفْيـــان دِينُنا الإسلامُ.(٢٩)

.وهى أشبه بالشهادة ، يـبرأ بها - ويبرئ أخويه - من اتباع مسيلمـة فيمن اتبعه من بنى حنيفة قومه ،وتأكيد على تمسكهم بالدين،وتجديد- فى الوقت نفسه - للعهد(٣٠).

٤ - ونلمح نوعاً من السخرية فى قـول عطارد بن حاجب - أو قـيس بن عاصم المنقرى - :

أضحتْ نَبِيَّتُنا أُنْثَى نُطيفُ بهـا وأصبحتْ أنْبياءُ الله ذُكْرانا.(٣١)

فالأنبياء جميعاً - وعلى مر تاريخ البشر - من الذكـور ، فكيفَ ساغ لبنى تميم - إن لم تكن العصبية القبلية هى الباعث للالتفاف حول سجاح - أن تقودهم النساء ؟ !

وتعود النقائض - وكـانت قد خفتت حدتها ؛ بدخول مكـة فى الإسلام ، وانتهاء الصراع مع المشـركين ، وانكسار شـوكة اليهـود - إلى الظهور من جـديد ، ويبرز على استحياء فيها جدل المعتـقدات ، فيما يمكن أن يعد - ولو بصورة أولية - بذوراً للنقائض المذهبية على وجـه خاص ، فحين يقول حارثة بـن سراقة رائيته الشـهيرة - التى ينسب بعـضهـا خطـأً إلى الحطيئة فـى بعــض المصادر القـديمة وفى كثـير من دراسـات المحدثين - :

أطَعْنا رَسُـولَ اللـه إذ كـان وَسْطَنا فـيـا عَـجَـباً ممن يُطِيعُ أبا بكرِ

---

(٢٩) المصدر نفسه ص ١٤٩ .

(٣٠) وهناك نماذج أخرى ، نلمح فـيها مثل هذا التأكـيد على التمسك بالديـن والتجديد للعهد ، منـها نونية امرئ القيس بن عابس (كتاب الردة ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، وشعر الدعوة ص٨٥) وفيها :

فلستُ بـمعـــادِلٍ بـاللـه ربّاً ولا مُـتَـبَـدِّلاً بالدِّيـنِ دِينا

ولامية حنيف بن عمير اليشكرى (الإصابة جـ٢ ص١٥٧) وفيها :

إنَّ دِينَ الرَّسُولِ دِينِى وفى القَوْ مِ رِجـالٌ على الهُـدَى أمْثـالِى

(٣١) الأغانى (ط . الشعب) ص ٤٩٦٢ ، ومختار الأغانى فى الأخبار والتهانى لابن منظور محمد بن مكرم - ت . د . طه الحاجرى (الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٦٦م) جـ٦ ص ٧١٤ ، ومروج الذهب جـ٢ ص ٣١٠ . وقد نسب فيها جميعاً إلى قيس بن عاصم .

والتعريف فى الأنساب لأحمـد بن محمد بن إبراهيم الأشعرى القرطبى - ت . د . سعـد عبد المقصود ظلام (دار المنار - القاهرة سنة ١٩٩٠م) ص ٧٠ ، وتاريخ الطبرى جـ٣ ص ٢٧٤ ، والإصابة جـ٤ ص ٤٢٠، والبداية والنهاية م٣ ص ٨٦٧ ، وشعر الدعوة ص ٨٩ ، منسوبة إلى عطارد بن حاجب التميمى .

وفيها :

وإنَّ أُناساً يأخُذُونَ زكاتكم ... أقَلُّ وربِّ البيتِ عندى من الذَّرِّ
وإنَّ الذى تُعطُونَه بجَهالَةٍ ... لكالتَّمْرِ أو أحلَى بفِينا من التَّمْرِ
حَلفتُ يَميناً غير حِنْثٍ مَشُوبَةٍ ... وإنِّى لأهْلٌ أنْ أُوَفِّى بها نَذْرى
على ما يُرَجَّى من قريش ودونَ ما ... يرجونَ طَعْنٌ بالمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ
وضَرْبٌ يُزِيلُ الهامَ عن مُسْتَقَرِّهِ ... كما كانت الأشياخُ فى سالفِ الدَّهْرِ
أنُعْطِى قُريشاً مالنا ؟ إنَّ هذه ... لتلك التى يُجْزَى بها المَرْءُ فى القَبْرِ
فيا قَوْمُ لا تُعْطُوا اللئامَ مَقادَةً ... وقُومُوا وإن كان المقامُ على الجَمْرِ. (٣٢)

يقوم زياد بن لبيد - وكان قد خرج من ليلته يريد المسير إلى أبى بكر - بالرد عليها، وهو على مسيرة يومين من القوم ، بعدما أمن على نفسه ،ويرسل بالرد كتابة إلى حارثة ، وفيه :

نُقاتلُكم فى اللهِ واللهُ غالبٌ ... على أمْرِهِ حَتَّى تُطيعُوا أبا بَكْرِ
وحَتَّى تَقُولُوا بعدَ خِزْىٍ وذِلَّةٍ ... رَضِينا بإعطاءِ الزَّكاةِ على القَسْرِ
وحتَّى تقولوا بعد كُفْرٍ ورِدَّةٍ ... بأنَّا أُناسٌ لا نَعُودُ إلى الكُفْرِ
وليسَ لنا والله بُدٌّ من اخْذِها ... فدُونَكُمُوها مثلَ راغِيَةِ البَكْرِ
فإنْ تَصْبِرُوا للضَّرْبِ والطَّعْنِ بالقَنا ... فإنَّا أُناسٌ مُجْمِعونَ على الصَّبْرِ. (٣٣)

فقتال أمثال هؤلاء ، الذين منعوا الزكاة وخلعوا يد الطاعة ، هو فى معتقده جهاد فى سبيل الله ، والله غالب - كمايقول - على أمره ، وسوف يمتد القتال حتى يؤدوا - على رغم أنوفهم - الزكاة ، ويطيعوا الصديق رضى الله عنه ، ويعترفوا بأن ماهم فيه «كفر وردة » ، ولا يعودوا بعدها مرة أخرى إليه . وعلى حين يرى حارثة فى الزكاة إتاوة - أو ما يشبه أن يكون إتاوة - وفى طاعة الصديق نوعاً من التبعية لقريش ، ينطلق زياد من أنَّ الزكاة - وهو منطلق عقدى - ركن ، وطاعة أبى بكر هى طاعة لخليفة رسول الله ، وفى التنصل منهما « كفر » بالله و « ردة » عن دينه ، فيكون فى قتال

(٣٢) كتاب الردة ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٣٣) المصدر نفسه ص ٢٦٠ . وانظر فيه نقائض أخرى ص ١٧٤ : ١٧٩ .

أمثال هؤلاء تحت راية الخليفة ما يعتبره جهاداً فى الله .

ويفصل بعض المسلمين القول فى أنواع الردة - وإن لم تختلف كما ذكرت النظرة إلى هذه الأنواع ؛ فهى على اختلاف أشكالها خروج عن الدين - فيحدثوننا عن مانعى الزكاة ، كما تحدث زياد بن لبيد فى الأبيات السابقة ، وعن الجاحدين بالزكاة والصلاة معاً - لا بالزكاة وحدها - كما فى قول عبد الله بن قيس فى ردة قومه بنى عامر :

لعَمْرِى لئنْ أجمعتْ عامرٌ ... على كُفْرِها بعدَ إسلامِها
ومنَّاهمُ قُرَّةُ التُّرَّهاتِ ... لقد رُزِئتْ عظمَ أحْلامِها
أضاعَ الصَّلاةَ بنو عامرٍ ... وأهلَكَها مَنْعُ أنعامِها
وفى مَنْعِها الحقَّ سَفْكُ الدِّماءِ ... ووَصْمُ النِّساءِ لأيتامِها. (٣٤)

وقرة هذا هو ابن هبيرة اليشكرى ، وكان زعيماً لهم فى أيام ردتهم . وفى منع بنى عامر للصلاة مع الزكاة يقول عمرو بن قريظ العامرى :

ثَقُلَتْ صَلاةُ المسلمينَ عليكمُ ... بنى عامرٍ والحَقُّ جِدُّ ثَقيلُ
وأتبَعْتُموها بالزَّكاةِ وقلتمُ ... ألا لا تُقِرُّوا منهما بفَتيلِ
فلا يُبْعِدِ اللهُ المُهَيمِنُ غيرَكم ... سبيلكمُ فى كلِّ شرٍّ سَبيلِ. (٣٥)

ويقول آخر من القبيلة نفسها ، وهو معاذ بن يزيد بن الصعق :

بَنِى عامِرٍ أينَ أينَ الفِرارُ ... من اللهِ واللهُ لا يُغْلَبُ
مَنَعْتُم فَرائضَ أمْوالِكم ... وترْكُ صَلاتكمُ أعْجَبُ
وكَذَّبْتُمُ الحقَّ فيما أتَى ... وإنَّ المُكَذِّبَ لَلأكْذَبُ. (٣٦)

بل لا يكاد شاعر يذكر ردة هذه القبيلة إلا ويشير إلى تركهم للصلاة ، مع ما هو معروف من منع الزكاة (٣٧) .

ويشير سارية بن عامر إلى طائفة ثالثة ، شاكة - على حد قوله - فى البعث :

---

(٣٤) الإصابة جـ ٥ ص ٦٧ .

(٣٥) المصدر نفسه ص ١٠٨ ، وشعر الدعوة ص ٣٤٥ .

(٣٦) الإصابة جـ ٦ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(٣٧) وكذا يجىء فى ردة بنى أسد وذبيان . كتاب الردة ص ١٠٢ .

فيا ابنَ الوَليدِ وأنتَ امرُؤٌ   تُقاتِلُ مَنْ شَكَّ فى السَّاعَةِ. (٣٨)

ويذكر عدى بن حاتم طائفة رابعة ، لا تقر - مع منعها للزكاة - بالنبى ﷺ ، ولا بالقرآن :

وإنَّا وإنْ جاشتْ فَزارَةُ كُلُّها   وذُبيانُ فى مَوْجٍ من البَحْرِ مُزبِدِ

وأَجرَى لهم فيها ذُيُولَ غُرُورِهِ   طُلَيحَةُ مَأوَى كلِّ غاوٍ ومُلحدِ

نُغاوِرُهم بالخَيلِ حَتَّى نُقيمَهم   بصُمِّ العَوالى والصَّفيحِ المُهَنَّدِ

وحتَّى يُقِرُّوا بالنُّبوَّةِ أنَّها   من اللهِ حَقٌّ والكتابُ لأحْمَدِ. (٣٩)

فالإقرار بالنبوة على « أنها من الله حق » ، و « الكتاب لأحمد » ، لا يمكن أن يكون مجرد حث على الطاعة ليؤدوا الزكاة ، وإنما هما - فيما أتصور - جانبان مستقلان ، يؤكدان أن منع الزكاة لدى بعضهم لم يكن عن بخل بها مع الرغبة فى البقاء على الإسلام وإقامة سائر شعائره من صلاة ونحوها ، وإنما هى نابعة - لدى هذه الطائفة خاصة - من ارتداد كامل عن الإسلام ، إن كانوا قد دخلوا - على الحقيقة - أصلاً فيه وتعدى اللسان إلى القلب ، وكانوا - كما هو معروف - حديثى عهد به .

ويحدثنا الضحاك بن سفيان - من خلال هجائه للفجاءة بن عبد ياليل ، الذى طلب من أبى بكر سلاحاً ليعينه على قتال المرتدين ، ثم غدر به ، وعاث فى الأرض فساداً ، وقاتل فيمن قاتل جماعة من المسلمين - إلى طائفة خامسة ، لعلها - إن جاز لى التسمية - طائفة « المنتفعين » ؛ الذين يستغلون مثل تلك الظروف فى تحقيق مآرب خاصة ، وليس للإسلام - وإن ادعوا الانتماء إليه - فى قلوبهم نصيب . يقول الضحاك :

ألا يا لَقَوْمى من حَوادثِ ذا الدَّهْرِ   واجْماعِ قَوْمٍ للفَجاةِ على الكُفْرِ

غَوِىٌّ دَعا قَوْماً غُوَاةً لفِتْنَةٍ   وقد يَهْلِكُ الإنسانُ من حيثُ لاَ يَدْرِى. (٤٠)

فهو غوى ، ومن تابعه غواة مثله ، دون أن يحدثنا عن الطقوس المعروفة

---

(٣٨) المصدر نفسه ص ١٨٦ .

(٣٩) المصدر نفسه ص ١٠٠ .

(٤٠) المصدر نفسه ص ١٢٠ .

---

(٤٢) المصدر نفسه ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٤٣) السيرة النبوية م٢ ص ٦٠٠ .

(٤٤) وانظر فى سجاح وأتباعها : تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٢٧١ ، ٢٧٤ ، والبداية والنهاية م٣ ص ٨٦٧ ، ومروج الذهب جـ٢ ص ٣١٠ . وفى طليحة وبنى أسد : كتاب الردة ص ١١٢ : ١١٦ ، والبداية والنهاية م٣ ص ٨٧٤ .

للمرتدين؛ من منع الزكاة ونحوها ، ثم يشيـر إلى نصبه العداوة للصديق وتمرده عليه ، وهى أساس ردته :

ألا قـاتلَ اللهُ الفَـجـاةَ لقـد أتَى بغَـدْرَته الكُبْـرَى عظيـماً من الأمْـرِ
فظنَّ به الـصِّـدِّيقُ ظَنّاً فـخـانَهُ وجَـرَّرَ أثـوابَ الخـيـانـة والمكرِ
وليـسَ يَحِـيـقُ المكرُ إلا بأهْـله كـذاكَ قَضـاءُ الله فى مُحْكَمِ الزُّبْرِ
وإنِّى لأسْتَحيـى من اللهِ انْ أرَى على كلِّ حـال ناصِبـاً لأبِى بَكْرِ
ولا لابساً فِى النَّاسِ أثوابَ غَدْرَة أذُوقُ بهـا كـأساً أمَـرَّ من الصَّبْـرِ
أبَى اللهُ لى بَيْعَ الضَّـلالَة بالهُدَى أعابُ بها حَيّاً وما دُمْتُ فى قَبْرِى .

وفى حرق أبى بكر له يقول كذلك رجل من بنى سليم :

أخَذَ الخَـيْلَ والسِّلاحَ على العَـهْـ ـد فـخانَ الفَـجاةُ عَـهْدَ الإمـامِ
ثم لم يَـبْـرَحِ الفَــجـاةُ يَرَى الحَقَّ سَـفَـاهاً والحِلَّ أمْـرَ حَـرامِ
يَـقْـتُـلُ النَّـاسَ لايَرَى أنَّ لـلهِ جـزاءً فى عـاقِبِ الأيَّـامِ
لا يُـبـالِـى أفى قَـبِـيـلِ سُلَيْمٍ جَرَّدَ السَّيْفَ أم قَـبِيلِ حِزَامِ.(٤١)

وهى أوضح فى تصوير ردة هذا الرجـل - والطائفة التى تنتمى إليـه - من الأبيات السابقة ؛ حيث يشير إلى الحادثة نفسها ، من أخذ « الخيل والسلاح » ، ثم الغدر بعهده مع « الإمام » ، ويضـيف - فيمـا لم يذكره الضـحاك صراحـة - استحـلاله للحرام ، واستـهزاءه بالحق ، واعتبـاره نوعاً من السفـه والضلال ، وعدم تفريقـه - أو بالأحرى مبـالاته بالتفـريق - بين أن يقاتل مـسلماً لم يرتد قـيد أنملة عن الإسـلام ، أو آخر من المرتدين الذين تلبسوا علانية بها ، ولعله مع هذا كله-وهـو ما يشير إليه البيت الثالث - لم يكن يؤمن بيوم الحساب وما فيه من الثواب والعقاب ، أو « الجزاء » على حد قوله.

أما الطائفـة الأكـثـر شهرة فتلك التى فتنت بمدعى النبـوة ، والشعر فيها كـثير ؛ ومنه - وهو ما نجتزئ بـه عـن غيـره خشـيـة الإسهـاب - قـول ثمـامة بن أثال الحنفى :

مُسَيْلَمَةَ ارجـعْ ولا تَدَّعِ فـإنكَ فى الأمْـرِ لم تُشْـرَكِ

(٤١) المصدر نفسه ص ١٢٥ .

كَـذَبْتَ على اللهِ فـى وَحْيـه وكـانَ هـواكَ هَوَى الأنْـوكَ
ومَنَّـاكَ قـومُك أن يَـمْنَعُـوكَ وإنْ يأتِـهم خـالـدٌ تُتْـرَكَ
فـمـا لكَ فى الجَـوِّ من مَصْـعَـد وما لك فى الأرضِ من مَسْلَك
سَـحَـبْتَ الـذُّيُولَ إلى سَـوْءَة على مَنْ يَـقُلْ مِـثْلَـهُ يَهْلك. (٤٢)

وهو يشير بقوله « فإنك فى الأمر لم تشرك » إلى رسالته إلى رسول الله ﷺ ، وقد جاء فيها : « من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ؛ أما بعد ، فإنى قد أشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم يعتدون » (٤٣) .

ورماه بالكذب صراحة على الله ، وادعاء ما لا ينبغى له ، ولا لأحد آخر بعد رسول الله ، وأشار كذلك إلى تعصب قومه له ، ولولا تلك العصبية ما ارتفع له ذكر ، ولا انتشر أمره فى الآفاق ، وبشره - على طريقة استقراء النتائج من خلال المقدمات - بما سوف يحيق به وبقومه - فى البيت الأخير - من الهلاك . (٤٤)

---

(٤٢) المصدر نفسه ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٤٣) السيرة النبوية م٢ ص ٦٠٠ .

(٤٤) وانظر فى سجاح وأتباعها : تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٢٧١ ، ٢٧٤ ، والبداية والنهاية م٣ ص ٨٦٧ ، ومروج الذهب جـ٢ ص ٣١٠ . وفى طليحة وبنى أسد : كتاب الردة ص ١١٢ : ١١٦ ، والبداية والنهاية م٣ ص ٨٧٤ .

اليهودية والنصرانية

١ - لا تختلف نظرة المسلمين - فيما وصلنا من شعر تلك الفترة - إلى اليهود والنصارى عن نظرتهم إلى غيرهم من سائر الأديان ، إلا فى التسليم بصحة أصل هاتين الديانتين ، قبل أن يعتريهما ما اعتراهما - فى معتقدهم - من التحريف والبهتان ؛ فهما ينتميان - كما ينتمى الإسلام - إلى السماء ، وقد جاء بهما رسولان - يوجب عليهم دينهم الإيمان بهما إيمانهم بمحمد ﷺ - هما موسى وعيسى عليهما السلام ، وكتابان - أصلهما كذلك من عند الله كالقرآن - هما التوارة والإنجيل .

ولأن الشعر الذى قالوه فى اليهود والنصارى قد قيل أكثره فى خضم الصراع مع هاتين الطائفتين ، ومع ما نشأ بينهما وبين الإسلام فى ظل عدم اعترافهما به ولا بنبيه عليه السلام ، كانت نظرة المسلمين لهم ولدينهم على السواء .

فاليهود عند حسان لم يحفظوا الكتاب الذى أوتوه ، فأعماهم الله ، وأضل سبيلهم:

هُمُ أُوتُوا الكِتابَ فضَيَّعُوهُ ... فهم عُمْىٌ من التَّوْراةِ بُورُ. (١)

وكفروا بالقرآن وأنكروه ، ولم يعترفوا بالنبى ﷺ :

كَفَرْتُمْ بالقُرانِ وقد أَبَيْتُمْ ... بتَصْدِيقِ الذى قالَ النَّذِيرُ

ولتجدنهم - كما يقول المولى عز وجل - ﴿ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾ (٢) . أى حياة ، حتى لو كانت مصطبغة بالذل ؛ فهم يكرهون الموت ، ولا يحبون لقاء الله :

بِئْسَ ما قاتلتْ خَيابِرُ عَمَّا ... جَمَّعَتْ من مَزارِعٍ ونَخِيلِ

كَرِهُوا الموتَ فاسْتُبِيحَ حِماهم ... وأَقَرُّوا فِعْلَ اللئيمِ الذَّلِيلِ

أَمِنَ الموتِ يَهْرَبُونَ فإنَّ المَوتَ ... موتُ الهُزالِ غيرُ جَمِيلِ . (٣)

---

(١) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ٢٥٣ .

(٢) البقرة - من الآية ٩٦ .

(٣) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ٢٥٠ .

وهم كذلك – بما جبلوا عليه من الخيانة وسوء الأخلاق – لا عهد لهم ولا أيمان، فما أحراهم بما حاق بهم على يد المسلمين من الهوان :

لقد لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ ما ساءَها ... وحَلَّ بحِصْنِها ذُلٌّ ذَلِيلُ

وسَعْدٌ كان أنْذَرَهم نَصِيحاً ... بأنَّ إلهَهم رَبٌّ جَلِيلُ

فما بَرِحُوا بنَقْضِ العَهْدِ حَتَّى ... غزاهم فى دِيارِهِمُ الرَّسُولُ.(٤)

ولقد حكم فيهم سعد بن معاذ ، فلم يلتفت إلى ما كان بينه وبين بنى قريظة من ولاء ، واشتد فى الحكم ، فوافق حكمه حكم السماء :

فأنتَ الذى يا سَعْدُ أُبْتَ بِمَشْهَدٍ ... كَرِيمٍ وأثوابِ المكارِمِ والحَمْدِ

بحُكْمِكَ فى حَيَّىْ قُرَيْظَةَ بالذى ... قَضَى الله فيهم ما قَضَيْتَ على عَمْدِ

فَوافَقَ حُكْمَ اللهِ حُكْمُكَ فيهمُ ... ولم تَعْفُ إذ ذُكِّرْتَ ما كانَ من عَهْدِ.(٥)

فقد أعانوا الكفار – ولولا كفرهم بالإسلام لما أعانوا عليه – ونصروهم فى مواضع عدة ؛ منها – كما هو مشهور – يوم الأحزاب :

أُولئكَ مَعْشَرٌ نَصَرُوا علينا ... ففى أظفارنا منهم دِماءُ.(٦)

فلا غرابة إن تبرأ المسلمون منهم ، كما تبرأوا هم أيضاً من الإسلام :

وحِلْفُ الحَرِثِ بن أبى ضِرارٍ ... وحِلْفُ قُرَيْظَةٍ مِنَّا بَراءُ .

ولا غرابة إن وصفوا دينهم بأنه غير ذى شكول ؛ أى بدع ، لا نظير له ، وليس له ما يعضده من الحقائق أو يجعله مقبولاً مستساغاً فى النفوس :

فلولا ربُّنا كُنَّا يَهُوداً ... وما دِينُ اليَهُودِ بذِى شُكُولِ.(٧)

---

(٤) المصدر نفسه ص ٢٤٤ .

(٥) المصدر نفسه ص ١١٤ .

(٦) المصدر نفسه ص ٧٧ .

(٧) السيرة النبوية م١ ص ٤٣٨ ، والبداية والنهاية م٢ ص ١٨٤ ، والطبقات الكبرى م٤ ص ٤٥١ ، وشعر الدعوة ص ١٣٣ .

أو وصفوه بأنه – وقد صار إلى ما صار إليه من التحريف– لا يشبه دينهم فى شىء:

دِيناً لعَمْرُكَ ما يُوافِقُ دِينَنا ... ما استَنَّ آلٌ بالبَدِىِّ وخَوَّدا.[8]

وعيروا من يوالى هذا الدين ، من ضعاف الإيمان ، ومن المنافقين :

أتُحِبُّ يُهْدانَ الحِجازِ ودِينَهم ... كَبِدَ الحِمارِ ولا تُحِبُّ مُحَمَّدَا

وإذا نَشا لكَ ناشئٌ ذو غِرَّةٍ ... فَهُ الفُؤادِ أمَرْتَهُ فتَهَوَّدا ؟

وسفهوا الباكين « على قتلى يهود » ، وكان العباس بن مرداس السلمى أحد هؤلاء، وفيه يقول خوات بن جبير :

تُبَكِّى على قَتْلَى يَهُودَ وقد تَرَى ... من الشَّجْوِ لو تَبْكِى أحَبَّ وأقْرَبا

فهلاَّ على قَتْلَى ببَطْنِ أُرَيْنَقٍ ... بكَيْتَ ولم تُعْوِلْ من الشَّجْوِ مُسْهِبا

. . . إلى آخر هذه الأبيات[9] . ووصفوا اليهود بالزيغ عن الحق ، والضلال :

هكذا زاغَتِ اليَهُودُ عن الحَقِّ بما زَخْرَفَتْ لها الأحْبارُ[10].

وفيه إشارة إلى دور أحبارهم فى هذا الزيغ ، بتزيين الباطل ، وزخرفة الأهواء . وقد وقف كعب بن مالك – غير مكتف بالإشارة كما فعل صاحب البيت السابق – مع هؤلاء الأحبار ، وقفة مطولة ، فى قصيدته الرائية ، التى ذكر فيها إجلاء بنى النضير عن المدينة ، ومقتل كعب بن الأشرف ، وفيها – مع الطول – شىء من التفصيل . يقول كعب :

لقدْ خَزِيَتْ بغَدْرَتِها الحُبُورُ ... كذاكَ الدَّهْرُ ذو صَرْفٍ يَدُورُ

---

(٨) ديوان حسان بن ثابت – ت . د . سيد حنفى حسنين – ص ٣٠٢ .

(٩) السيرة النبوية م٢ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ . وانظر كذلك شعر عبد الله بن رواحة أو كعب بن مالك فيه ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(١٠) العقد الفريد لابن عبد ربه – ت . محمد سعيد العريان – ط٢ (دار الفكر – بيروت سنة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤م) جـ٥ ص ٤٥ .

وذلك أنَّـهم كَـــفَـــرُوا بربّ عَـــزيز أمْــرُهُ أمْــرٌ كَــبِــيــرُ
وقـد أوتُوا مـعـاً فَـهْـمـاً وعِلْمـاً وجـــاءَهُـمُ من اللهِ الـنَّذيرُ .[11]

فيصفهم – فيما يصفهم – بالغدر ، ويرميهم صراحة بالكفر ، ثم يذكر – فى أبيات تالية – مـوقفهم من النبى ﷺ ، وتكذيبهم لـه ، على الرغم مما أوتوه من علم وفهم . ثم يقول :

فلمَّـــا أُشْـرِبُوا غَـــدْراً وكُـفْـــراً وحـــادَ بـهم عن الحقِّ النُّـفُـــورُ
أرَى اللـهُ النَّبِـىَّ برأىٍ صِـــدْقٍ وكـــانَ الـلهُ يحكمُ لا يَــجُـــورُ
فـــأيَّدَهُ وسَـلَّطَـهُ علـيــــهم وكـان نَـصِيـــرَهُ نِعْمَ النَّصِـــيــرُ
فـغُـودِرَ منهـمُ كَـعْبٌ صَـرِيعـاً فـذَلَّتْ بعدَ مَـصْـرَعِـهِ النَّضِيـرُ.

وكعب هو أحـد هؤلاء الأحبـار ، وقد أمر النبى ﷺ بقـتله ، بعدمـا كان منه من تأليب على المسلمين ، وتشـبيب بنسـائهم ، وغدر بالـعهد ، وتطاول عـلى الإسلام ، وعداء واضح له ولأهله ، فذلت بمقتله اليهود ، وحل بهم ما حل مما قد أشار إليه – فى آخرها – من الإجلاء .

٢ – أما النصارى – ومنهم الروم الذين اصطدم بهم المسلمون فى حـركة الفتوحات – فـ « عُبَّادُ الصَّليب » :

ونَقْـتُلُ عُبَّـادَ الصَّليبِ جَمِـيعَـهم بأسْمَرَ خَطِّىٍّ وعَضْبٍ مُهَنَّدِ .[12]

به يقسمون ، وهو – من شدة تقديسهم له – أصدق قسمهم ، وآكد أيمانهم :

إنِّى لحَلْـفِكِ بالصَّلِيــبِ مُـصَـــدِّقٌ والصُّلْبُ أصْدَقُ حَلْفَةِ الرُّهْبانِ.[13]

تراهم على تلك الصلبان عكوفاً ؛ عكوف الكفار على الأوثان :

---

(١١) السيرة النبوية م٢ ص ١٩٩ ، وتفسير ابن كثير جـ٤ ص ٣٣٤ ، وشعر الدعوة ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .
(١٢) فتوح الشام جـ٢ ص ١٥٨ ، وشعر الدعوة ص ١٧٩ .
(١٣) الأغانى (ط . الشعب) ص ٥٨٤٧ ، ومختار الأغانى جـ٧ ص ١١٨ .

على كلِّ كَـفَّـارٍ لَـعِينٍ مُـعـانِدٍ   تَراهُ على الصُّلْبانِ باللهِ يَكْفُرُ .(١٤)

وفيه يرميهم - أو بالأحرى يرمى المنحرفين منهم عن أصل الدين إلى عبادة الصلبان - بالكفر ، كما رموا اليهود - وقد انحرفوا عن دينهم كذلك - من قبل .

ومن رمى جيوش الروم بالكفر ، فى صراع المسلمين ضدهم ، خالد بن الوليد - فيما نسب إليه - ووصل بينهم وبين الصلبان :

سنَحْمِلُ فى جَمْعِ اللئامِ الكواذِبِ   ونَفْرِى رُءُوساً منهمُ بالقَواضِبِ

ونهزمُ جيشَ الكُفْرِ منا بِهِمَّةٍ   تَطُولُ على أعلى الجِبالِ الرَّواسِبِ

. . . .

فدونكمُ قَصْدَ الصَّلِيبِ وبادِرُوا   لتُرْضِى إلهَ الخَلْقِ مُعْطِى المَواهِبِ .(١٥)

وجعفر بن أبى طالب ، المعروف بالطيار ، وله يوم مؤتة وقد استشهد فيه :

والرُّومُ رُومٌ قد دَنا عَذابُها

كافرةٌ بَعِيدةٌ أنْسابُها .(١٦)

وإن كان حديثه - فى الحق - عن الروم ، دونما إشارة من قريب أو بعيد إلى النصارى ، إلا إذا أخذنا فى الاعتبار أنَّ النصرانية كانت هى الدين الغالب على هؤلاء الروم ، وربما جردهم - برميهم بالكفر - عنها ، وباعد بينهم وبين الانتساب - أعنى الانتساب الحقيقى - إليها .

ومن هذا القبيل - رمى شخوص بعينها من النصارى لا الدين فى ذاته بالكفر - ما نجده عند كعب بن مالك فى أبى عامر عبد عمرو بن صيفى الراهب - أو الفاسق كما كان يسميه النبى - وفيه يقول :

---

(١٤) فتوح الشام جـ١ ص ١١٨ ، وشعر الدعوة ص ٢٠٥ .

(١٥) فتوح الشام جـ٢ ص ٨٩ ،وشعر الدعوة ص ١٦٦ . وله كذلك فى فتوح الشام (جـ٢ ص ٧٧) من أبيات :

قَتَلْنا بها كلَّ البَطارِقِ عَنْوَةً   جَلاءً لأهْلِ الكُفْرِ من كُلِّ جانِبِ .

(١٦) السيرة النبوية م٢ ص ٣٧٨ ، وشعر الدعوة ص ١٨٠ .

مَـعــاذَ اللهِ من عَـمَلٍ خَـبِـيثٍ كسَـعْيكَ فى العَشِـيرةِ عبدَ عَـمْرو
فــإمَّــا قلتَ لـى شَــرَفٌ ونَخْلٌ فـقـدْمـاً بِعْتَ إيمـاناً بكُفْـرِ.(١٧)

وعند حياض بن قيس القشيرى ، فيما أنشد له المرزبانى يوم اليرموك :

أنا القُـشَـيْــرِىُّ أخـو المُهـاجِـرَهْ أَضْرِبُ بالسَّـيفَ رُءُوسَ الكافرهْ.(١٨)

ولابن ملجم - قـبيل قـتل علىٍّ رضى الله عنه - وقـد مرت به جنازة نصـرانى ، تحمله النصارى ، وجنازة ابنه وكـان على دين الإسلام ، فاستنكر اجتمـاع الجنازتين معاً فى آن ، إلا أن يكون الابن - وكـان يتشـيع لعلى - كـافراً ، فـلا يكون عندئذ مجـال للاستنكار :

لئنْ كـانَ حَجَّارُ بنُ أَبْـجَرَ مُسْلِـماً لقـد بُوعِــدَتْ منـه جَنازةُ أبْجَــرِ
وإنْ كانَ حَـجَّارُ بنُ أَبْـجَرَ كـافِراً فـمـا مِـثْلُ هذا مـن كَـفُـورٍ بمُنْكَرِ
أتَرْضَـوْنَ هذا أنَّ قَـسّاً ومُـسْلِماً جميعـاً لدى نَعْشٍ فيا قُبْحَ مَنْظَرِ.(١٩)

وابن ملجم قد يمثل نوعاً من الفكر المذهبى المتشـدد ، لكنه لا يخرج - فيما ذكر - عما وجدناه عند غيره من شعراء تـلك الفترة فى نظرتهم لمن ناصبهم من النصارى العداء ، كالروم ونحوهم ، لكننا لانعدم وجود إشارات فيهـا ذكر للنصرانية نفسها ، نحو قول آخر - وينسب فى بعض المصادر إلى عمر بن الخطاب - :

إليكَ تَـعْـدُو قَـلِقـاً وَضِـينُهـا مُخالِفـاً دينَ النَّصارَى دِينُها.(٢٠)

---

(١٧) السيرة النبوية م١ ص ٥٨٦ ، وشعر الدعوة ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(١٨) الإصابة جـ٢ ص ١٥٩ .

(١٩) ديوان الخوارج - جمعه وحققه د . نايف معروف - ط١ (دار المسيرة - بيروت سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م) ص ٨٩ ، وتاريخ الطبرى جـ٤ ص ١٤٦ .

(٢٠) الاستيعاب ص ٨٩٠ وقد نسب فيه إلى عمر بن الخطاب فى بعض حـجاته ، ولعله رضى الله عنه قد قاله - إن صحت هذه الرواية - تمثلاً . والسيرة النبوية م١ ص ٥٧٤ لأحد رؤساء نجران ، دون أن يسميه . والإصابة جـ٥ ص ٤٣٨ ، والطبقات الكبرى م١ ص ٢٣١ لكرز بن علْقمة النجرانى . والبداية والنهاية م٣ ص ٧٠ لبشر بن معاوية وكان فيمن وفد على النبى من نصارى نجران .

وفيه يبرأ من « دين النصارى » ، بمخالفته للإسلام ، وهو ما يؤكد ما ذكرته بداية من أن حملة شعراء تلك الفترة لا تتوجه إلى النصرانية - ولا حتى اليهودية - التى هى دين عيسى عليه السلام ، قبل أن يعتريه ما اعتراه على يد أتباعه من التحريف - كما يعتقدون - والبهتان .

٣ - ونجد - على الرغم من ذلك - اتجاهاً آخر ، يقف فيه أصحابه عند وصف رهبانهم ، وما هم عليه من شدة عبادة لله ، كقول ربيعة بن مقروم - وهو مما قاله فى صدر الإسلام - فى معرض غزله :

لو أنَّها عَرَضَتْ لأَشْمَطَ راهِبٍ ... فى رأسِ مُشْرِفَةِ الذُّرَا مُتَبَتِّلِ
جَأَرَ ساعاتِ النِّيامِ لربِّهِ ... حَتَّى تَخَدَّدَ لَحْمُهُ مُتَبَهِّلِ
لصَبَا لبَهْجَتِها وحُسْنِ حَدِيثِها ... ولهَمَّ من ناقُوسِهِ بتَنَزُّلِ. (٢١)

وليس فيه - كما قد يتبادر إلى الأذهان - سخرية بالرهبان ، وإنما - وهو ما يحاول ربيعة إبرازه فى شكل فنى جميل - يهتم بالدرجة الأولى ببيان جمال صاحبته ، والتأكيد على مالها من فتنة ، ليعذره الآخرون على ما وصلت إليه حاله وقد جن بها أو كاد ، فلم يجد إلا تلك الصورة الرائعة لهذا الراهب المتبتل ، المنقطع إلى العبادة فى صومعته لله .

وقد يجتمع الحديث عن اليهود والنصارى فى نسق واحد ، يؤكد به الشاعر ما وصل إليه كلا الفريقين - فى عصره - من الضلال ، ويجىء ذلك - أكثر ما يجىء - فى سياق الحديث عما أنعم به الله عليهم من الهداية للإسلام ، نحو قول بعضهم :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنَّا شآمِىَّ قَوْمِنا ... ومن حَلَّ بالأجْوافِ سِراً وجَهْرًا
بأنَّا هدانا اللهُ للحقِّ بَعْدَما ... تَهَوَّدَ منا حائرٌ وتَنَصَّرا. (٢٢)

فالإسلام - فى معتقده - هو الحق ، ولم تكن اليهودية ولا النصرانية لتحل معضلة الإيمان لدى الباحثين - قبل ظهوره - عن الهداية والرشاد .

---

(٢١) شعراء إسلاميون ص ٢٦٧ ، والأغانى (ط . الشعب) ص ٨٧٩٥ .
(٢٢) الإصابة جـ٤ ص ٦١٣ ، وشعر الدعوة ص ٦١ .

ولحنظلة فى مقتل عثمان رضى الله عنه :

وكانوا كاليَهُودِ أو النَّصارَى سَواءٌ كُلُّهم ضَلُّوا السَّبِيلا.(٢٣)

وفيه يرميهم جميعاً - اليهود والنصارى - بالضلال ، ويشبه بهم - فى امتداد الصورة قبل هذا البيت - حال بعض المسلمين ؛ ممن سعوا فى الفتنة ، وراموا زوال الخلافة ، بتطاولهم على عثمان وإقدامهم على قتله .

وللقعقاع بن عمرو التميمى :

نَصارَى ليسَ يَنْهاها رَشِيدٌ وأُخرَى من صَوالِعَة اليَهُودِ.(٢٤)

وهو مما قاله أثناء مشاركته لجيش الفتح فى بلاد الشام . ومنه كذلك قول الحباب ابن المنذر الأنصارى ، فى الفخر بنصرتهم للإسلام :

نَصَرْنا وآوَيْنا النَّبِىَّ وما لَهُ سِوانا من اهْلِ المِلَّتَيْنِ نَصِيرُ.(٢٥)

فقد انصرفت اليهود والنصارى عنه ، وكان أجدر بهما نصره ، فحباهم الله - دونهما - بتلك النعمة ، وهداهم لتلك اليد . وقول ابن أحمر :

فلا نَصارَى علينا جِزْيَةٌ نُسُكٌ ولا يَهُودٌ طَغامٌ دِينُهم هَدَرُ.(٢٦)

فوصف اليهود بالطغام ، وجعل دينهم - وهو ما كانوا عليه فى عهده - هدراً ، وأشار إلى ما كان فيه النصارى من الذل ؛ وهم يدفعون الجزية ﴿عَن يَدٍ﴾ - كما قال المولى عز وجل - ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٢٧) .

---

(٢٣) تاريخ الطبرى جـ٤ ص ٣٨٦ .

(٢٤) شعراء إسلاميون ص ٣٤ .

(٢٥) الإصابة جـ٢ ص ٩ ، وشعر الدعوة ص ٣١٢ .

(٢٦) جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام - لأبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى - ت . على محمد البجاوى (دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة سنة ١٩٨١م) ص ٦٨١ .

(٢٧) التوبة - من الآية ٢٩ .

الوثنية والثورة على الأوثان

١ - تتبدى الوثنيـة - فى عقيدة أصحـابها - ديناً ، له طقوسه وشعـائره ، كسائر الأديان . وعلى الرغم من ضياع أكثر شعر هؤلاء الوثنيين - وهو ما نتصوره - خاصة ما تعلق منه بجانب المعتقدات ، فى بداية صدر الإسلام ، قبل هيمنة الدين الجديد وانتشاره - كمـا ضاعت أشعـار يهود والنصارى والمرتدين المتعلقة بالجـانب نفسه ، لارتطامـها بالإسلام ، ومخالفـتها لعقيدته وما تحـمله من فكر جديد ، أراد له أبناؤه وقد أتيح لهم الانتصار تثبـيته ، وعدم العودة مرة أخرى لما كان عليـه أسلافهم الوثنيون أو المرتدون أو أصحـاب تلك الديانات فى رأيهم من الضـلال - أقول على الرغم من هـذا فقد بقـيت إشارات - وإن كـانت فى الحق قليلة - تعبـر عن عقيـدة الوثنيين - كما بقـيت إشارات قليلة تحمل فكر المرتدين - ومنها مـا يعبر عن تقديسهم للأنصاب ؛ كـقول ابن الزبعرى فى خروج القرشيين للقتال يوم الخندق :

واذكـرْ بَلاءَ مَـعـاشِـرٍ واشكُرْهُمُ ... سـارُوا بأَجْـمَـعِـهم من الأنْصـابِ

أَنْصـابِ مَكَّةَ عـامِـدِينَ لِيَـثْـرِبٍ ... فى ذى غَيَاطِلَ جَحْفَلٍ جَبْجابِ. (١)

فهو يتـخذ من « الأنصاب » موضعاً يحـدد به بداية الخروج ، ولم يقل مكة وكان بوسعها أن تـغنى عن ذكر تلك الأنصاب ؛ للإشادة بها من ناحيـة ، وربما لأنها بالفعل كانت آخر ما تركوه قبيل مغادرتهم مكة للاتجاه نحو المدينة ، وقد جاءوها تبركاً واستعانة - كعادتهم - بها ، وتعبئة للمشاعـر والنفوس ؛ مشاعر هؤلاء المقاتلين ، الذين يتأهبون للذود عنها ، والقـتال من أجلها ، ضـد من خرجوا عليهـا وسفهـوها وسفهوا عـقول أصحابها من القرشيين .

ومنها مـا يعبر عن تمسكهم بها ، ودهشـتهم ممن يدعونهم لتركـها ، وهى تمثل فى معتقدهم الدين الموروث عن الآباء والأجداد ؛ كقول ابن الزبعرى كذلك - وقد شك ابن هشام فى نسبتها إليه ، وذكر أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكرها له - :

---

(١) شعر عبد الله بن الزبعرى - ت . د . يحيى الجبورى - ص ٢٩ .

ومنْ عَجَبِ الأيَّامِ والدَّهْرُ كُلُّهُ ... له عَجَبٌ من سابِقاتٍ وحادِثِ
لجَيْشٍ أتانا ذِي عُرامٍ يَقُودُهُ ... عُبَيْدَةُ يُدْعَى فى الهياجِ ابنَ حارثِ
لنَتْرُكَ أصْناماً بمكَّةَ عُكَّفاً ... مَواريثَ مَوْرُوثٍ كَريمٍ لوارِثِ.[2]

ويؤيده فى التمسك بها وتعظيم شأنها قول مقيس بن صبابة ، وكان قد أظهر الإسلام لحاجة فى نفسه - تتمثل فى إدراك ثأر أخيه - فلما قضاها عاد مرة أخرى إلى الأوثان :

حَلَلْتُ به وِتْرِى وأدركتُ ثُؤْرَتِى ... وكنتُ إلى الأوْثانِ أوَّلَ راجعِ[3].

فهو يفخر بالرجوع إليها فخره بإدراك الثأر ، وهو مما لم يكن هناك محيص - وإن تعددت البدائل - عنه ؛ فكم لها فى قلبه من حب ، وفى نفسه من القداسة والتعظيم .

ويعجب سلمة السلمى كيف ترك ابنه أصيد دينه ، وهو دين الآباء ، ليتابع ما يدعو محمد إليه :

أتركتَ دِينَ أبيكَ والشُّمَّ العُلا ... أوْدَوا وتابعتَ الغَداةَ مُحَمَّدا ؟[4]

ويعبر سادن العزى عما يعتقده من قدرة ذلك الصنم - وقد جاء خالد بن الوليد ليهدمه - فى الدفاع عن نفسه ، فيقول مخاطباً إياه :

عُزَّى شُدِّى شَدَّةً لا تُكَذِّبى ... على خالدٍ ألْقِى الخِمارَ وشَمِّرِى
فإنَّكِ إلاَّ تَقْتُلِى اليومَ خالداً ... تَبُوئى بذُلٍّ عاجلٍ وتَنَصَّرِى.[5]

(٢) المصدر نفسه ص ٣١ . وهى بالسيرة م١ ص ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٢٨٤ . وإنكار أكثر أهل العلم بالشعر لها لا ينفى أن هناك - وإن كانوا قلة - من أثبتها له ، ونفى أكثريتهم لها عن ابن الزبعرى تحديداً لا يمنع نسبتها لغيره وإن كان مجهولاً بالنسبة لنا، وقد جاءت فى الديوان ، وإن كان هذا كله لايدفع - فى تصورى - الشك عنها أو ينفيه بحال ، وإنما يحاول قدر المستطاع تقليل المبالغة فى دفع مثل هذه الأشعار وتنحيتها جملة عن شعراء الصدر .

(٣) تاريخ الطبرى جـ٢ ص ٦٠٩ ، والسيرة النبوية م٢ ص ٢٩٣ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٧٥٤ .

(٤) الإصابة جـ١ ص ٢٤٣ .

(٥) الأصنام لابن الكلبى ص ٤٢ . وهما - مع اختلاف فى الألفاظ - بالسيرة النبوية م٢ ص ٤٣٧ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٧٧٣ .

وفيما يعتبره ابن هشام أصح مـا قيل فى بدر من الأشعار ، نجد هذين البيتين لأبى أسامة معاوية بن زهير :

فـأُقسِمُ بالـذى قـد كـانَ ربِّى   وأنصابِ لدى الجَمَرات مُغْرِ
لسوفَ تَرَوْنَ ما حَسَبِى إذا ما   تَبَدَّلَتِ الجُلودُ جُلودَ نِمْرِ.(٦)

وفيها يقسم – على طريقتهم قبل الإسلام – بالأنصاب ، مما يدل على مدى ما كان يكنه لها من التعظيم والإجلال (٧) ، وقوله « مغر » أى مطلية بالدم ، وهى – فيما أظن-دماء الذبائح التى كانت تذبح عندها وتهدى إليها فى بعض المناسبات ؛ كالحج – وهو ما يدل عليه قوله « لدى الجمرات » – والنذور والأعياد .

٢ – وفى شعر المسلمين – وهو يمثل بطبيعة الحال وجهة النظر الأخرى – صورة أكثر وضوحاً وتفصيلاً من تلك الإشارات القليلة التى بقيت على مر الزمان ، ولم تمتد إليها – كما امتدت إلى غيرها – يد البلى والفقد . منها عبادتهم لهبل ، وهو أحد أصنامهم ، وقد اتخذوه شعاراً يوم أحد ، فكانوا يرددون وهم يقاتلون : « اعل هبل »؛ وفى ذلك يقول حسان :

حينَ أَعْلنتُم بصَوْتٍ كاذِبٍ   وأبو سُفْيانَ كى يَعْلُو هُبَلْ.(٨)

و « اللات » و « العزى » :

أمَّا قُرَيْشٌ فإنِّى غيرُ تارِكِهم   حتى يُنِيبُوا من الغَيَّات للرَّشَد
ويَتْرُكُوا اللاَّتَ والعُزَّى بمَعْزِلَةٍ   ويَسْجُدوا كلُّهم للخالقِ الصَّمَد.(٩)

أى حتى يتركوهما – هما وأمثالهما من الأصنام – ويتخلوا عن عبادتهما ، ويعبدوا الله وحده على ملة الإسلام . وفيهما يقول كذلك بجير بن زهير :

---

(٦) السيرة النبوية م٢ ص ٣٥ .

(٧) وفى قسم الشعراء الجاهليين بها انظر : شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى ص ٦٩ ، وتاريخ الطبرى جـ٢ ص ٦٦ ، والأصنام ص ٣٣ .

(٨) ديوان حسان بن ثابت – ت . د . سيد حنفى حسنين – ص ٩٥ .

(٩) المصدر نفسه ص ١٦١ .

أرادُوا الَّلاتَ والـعُـــزَّى إلـهــــاً   كَفَى بالـلهِ دونَ الَّلاتِ كافِ.[١٠]

و « يغوث » و « يعوق » :

وأنَّا بَـرِئْنا من يُـغَــوثَ وِقـــرْنِهِ   يَعُوقَ وتابعناكَ يا خيرَ الوَرَى.[١١]

فالدخول فى الإسلام يقتضى منه البراءة من تلك الطواغيت التى كانوا يعبدونها من قبل ؛ كيغوث ويعوق ، وكانت قد شاعت عبادتهما فى مذحج وأهل جرش وقرية يقال لها خيوان من قرى صنعاء [١٢] .

والوثنية - وقد اتخذوها زلفى لتقربهم من الله [١٣] - شرك بالله ؛ يقول العباس رضى الله عنه فى النبى ﷺ :

أنـتَ نُورٌ مِـن عَـــــزيزٍ راحِـمٍ   تَقْـمَعُ الشِّـرْكَ وعُـبَّادَ الوثَنْ.[١٤]

ويقول فضالة بن عبيد :

لَوْ مـا رأيْتِ مُـحَـمَّـداً وقَـبِيلَهُ   بالفَـــتْحِ يوم تَـكَسَّـرُ الأصْـنامُ

لرأيتِ دِيـنَ اللهِ أَضْــحَى بينَـنا   والشِّرْكُ يَغْشَـى وَجْهَهُ الإظلامُ.[١٥]

وقد كثر فى هذا السياق وصف الوثنيين - من قريش وغيرها - بالشرك ؛ كما فى قول حسان :

بمـا صَنَـعَ المليكُ غَــــداةَ بَـدْرٍ   لنا فى المشركـينَ من النَّصيبِ.[١٦]

---

(١٠) ديوان كعب بن زهير - ت . عباس عبد القادر - ط١ (دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٣٦٩هـ ١٩٥٩م) ص ٢٤٧ .

(١١) الإصابة جـ٤ ص ٦١٣ . وشعر الدعوة ص ٦١ .

(١٢) الأصنام ص ٢٦ ، ٢٧ .

(١٣) تصديقاً لما جاء على ألسنتهم فى سورة الزمر من الآية ٣ : ﴿ . . . مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى . . . ﴾ وانظر فى تفسيرها : تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٤ ص ٤٥ ، وتفسير القرطبى (دار الريان للتراث - القاهرة - بدون تاريخ) م٨ ص ٥٦٧٧ ، ٥٦٧٨ .

(١٤) جمهرة أشعار العرب ص ٢٩ .

(١٥) السيرة النبوية م٢ ص ٤١٧ ، والأصنام ص ٤٧ ، وأسد الغابة جـ٢ ص ٣٤ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٧٦٤ ، وشعر الدعوة ص ٥٠٩ .

(١٦) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ١٣٥ .

وقول كعب بن مالك :

فـــأتاكَ فَلُّ المشـــركينَ كـــأنَّهم   والخَيْلُ تَـثْفِنُهُمْ نَعـامٌ شُرَّدُ.[١٧]

وغيرهما[١٨] . كما وصفهم المسلمون فى مواضع أخرى كثيرة بالكفار[١٩] ، وبأنهم أعداء الله[٢٠]، وذكروا مصيرهم فى الآخرة[٢١]، وأشاروا إلى تكذيبهم للرسول ﷺ، وعدم إيمانهم به ، وعداوتهم له[٢٢] .

وربط بعضهم بين الوثنية وعبادة الشيطان ؛ فهى - عند حسان بن ثابت - طاعة - مجرد طاعة - للشيطان :

طاوَعُـــواالشَّـــيطانَ إذ أخْـــزاهمُ   فاستَبانَ الخِـزْىُ فيهم والفَشَلْ.[٢٣]

وعند بجير بن زهيرعبادة حقيقية له :

فـــاللـهُ أكْـــرمَنا وأظْهَـــرَ دِيـنَنا   وأعَـــزَّنا بـعِـــبـــادَةِ الرَّحْـــمنِ

واللهُ أهْلَكَهُـمْ وفرَّقَ جَـمْـعَـهم   وأذَلَّهم بعِـبـــادَةِ الشَّـيْطانِ.[٢٤]

---

(١٧) السيرة م٢ ص ٥٨ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٤٧٤ ، وشعر الدعوة ص ٤٩٩ .

(١٨) ديوان حسان ص ٢٨٥ ، والسيرة النبوية م٢ ص ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٨٠٥ ، والزهرة لأبى بكر محمد بن داود الأصبهانى - ت . د . إبراهيم السامرائى ، د . نورى حمود القيسى - ط ٢ (مكتبة المنار - الأردن سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م) جـ٢ ص ١٣ ، وشعر الدعوة ص ٣٠٣ .

(١٩) ديوان حسان ص ٩٨ ، ١٢٠ ، ٢٦٦ ، ٣٨٨ ، والسيرة النبوية م١ ص ٦٥٦ ، م ٢ ص ١٣٢ ، ٣٧١، ٤٦٣ ، والإصابة جـ١ ص ٣٥٧ ، وتاريخ الطبرى جـ٣ ص ١١ ، ٢٤ ، وشعر الدعوة ص ٤٨٠، ٥١٠ .

(٢٠) ديوان حسان ص ٣٧٣ ، والإصابة جـ٢ ص ٣٩٦ ، وأسد الغابة جـ٣ ص ١٠١ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٧٤٩ . والضائع من معجم الشعراء ص ٦٤ .

(٢١) ديوان حسان ص ١٥٨ ، ٢٦٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، والسيرة النبوية م٢ ص ١٥ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، وشعر الدعوة ص ٢٨ ، ١٩٣ ، ٤٤٩ .

(٢٢) والمواضع فى ذلك كثيرة جداً ، نكتفى منها بهذه الإشارات : الاستيعاب ص ١٦٧٤ ، ١٦٧٥ ، وأسد الغابة ص ١٠٢ ، والإصابة جـ٤ ص ٤٤ ، والبداية والنهاية م٢ ص٢٩٤ ، والسيرة النبوية م٢ ص ٢١١. وشعر الدعوة ص ٩١ ، ٣٢١ .

(٢٣) البداية والنهاية م٢ ص ٤٧٥ ، وشعر الدعوة ص ٣٣٦ . من أبيات قال عنها ابن كثير : « وكأن هذه الأبيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبعرى ، والله أعلم » . وهى ليست فى ديوانه برواية الأثرم وابن حبيب ، ولم يضعها محققه فى الجزء الخاص بـ « الاستدراكات » .

(٢٤) السيرة النبوية م٢ ص ٤٥٩ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٨٠٢ ، وشعر الدعوة ص ٢٦٦ .

وفى كتاب الأصنام لابن الكلبى خبر طويل يربط بين العزى والشياطين ، يقول : «كانت العزى شيطانة تأتى ثلاث سَمُرات ببطن نخلة ، فلما افتتح ﷺ مكة بعث خالد ابن الوليد ، فقال : ائتِ بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سَمُرات فأعضد الأولى . فأتاها وعضدها ، فلما جاء إليه ﷺ قال : هل رأيت شيئاً ؟ قال ، لا ، قال : فأعضد الثانية. فأتاها وعضدها ، ثم أتى النبى ﷺ فقال : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فأعضد الثالثة . فأتاها ، فإذا هو بحبشية نافشة شعرها ، واضعة يديها على عاتقها، تصرف بأنيابها ،وخلفها دُبَيَّةُ السُّلَمِىُّ ، وكان سادنها » . فلما رآها خالد « ضربها ، ففلق رأسها ، فإذا هى حُمَمَةٌ ، ثم عضد الشجرة ، وقتل دبية السادن ،ثم أتى النبى ﷺ فأخبره ،فقال : تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب ، أما إنها لن تعبد بعد اليوم»[(٢٥)] .

وكانت الشياطين – كما تذكرالأخبار – تتجسد لهم فى أجواف أصنامهم ، وتلمع عيون بعض تلك الأصنام ببريق أعينها ، وتواترت أخبار أخرى فى حديث هؤلاء الجان– خاصة عند ظهور الإسلام – لهم [(٢٦)] ، ومنها ما جاء فى قصة إسلام بعضهم ؛ كسواد ابن قارب رضى الله عنه [(٢٧)] .

---

(٢٥) الأصنام ص ٤١ ، ٤٢ . وهذا الخبر موجود فى مصادر أخرى ؛ منها : أخبار مكة لأبى الوليد الأزرقى – ت . رشدى الصالح (دار الأندلس – بيروت – بدون تاريخ) جـ١ ص ١٢٧ ، والكامل فى التاريخ لعز الدين بن الأثير (دار صادر ودار بيروت – بيروت سنة ١٩٦٥م) جـ٢ ص ١٧٦ ، ومختصر تاريخ دمشق لجمال الدين بن منظور – ت . مطيع الحفاظ وآخرين – ط١ (دار الفكر – بيروت سنة ١٩٨١م) جـ٣ ص ٦٥ ، والسيرة النبوية م٢ ص ٤٣٦ ، وتاريخ الطبرى جـ٣ ص ٦٥ ، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام جـ٢ ص ٤٤٩ ، ونهاية الأرب جـ ١٧ ص ٣١٤ .

(٢٦) أسد الغابة جـ٢ ص ٢٢٢ ، والإصابة جـ١ ص ٥٨٩ ، ٦٢٠ ، ٦٥٤ ، جـ٢ ص ٢٨٢ ، ٣٠٤ ، جـ ٣ ص ١٤٨ ، جـ٤ ص ٦١٣ ، جـ٥ ص ٢٧١ ، والبداية والنهاية م١ ص ٧٨٧ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٦٠ .

(٢٧) أسد الغابة جـ٢ ص ٣٥٢ . والإصابة جـ٣ ص ١٨١ ، ١٨٢ ، والبداية والنهاية م١ ص ٧٨٣ ، ٧٨٤، ٧٨٦ ، وتاريخ الإسلام جـ١ ص ٩١ ، وتفسير ابن كثير جـ٤ ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٥٣ : ٥٥ ، والحماسة البصرية لصدر الدين على بن أبى الفرج بن الحسن البصرى – ت . مختار الدين أحمد – ط٣ (عالم الكتب – بيروت سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٩٣م) جـ١ ص ١١٧ ، والسيرة النبوية م١ ص ٢٠٩ : ٢١١ .

ويذكر حسان بن ثابت موالاة القرشيين للشيطان ، ويبين سلطان الشيطان عليهم ؛ فهو الذى – حسب قوله – أخرجهم يوم بدر ،وزين لهم بخبثه ومكره القتال :

دَلاَّهمُ بغُرورٍ ثم أسْلَمَهُم   إنَّ الخَبيثَ لِمَنْ والاهُ غَرَّارُ.(٢٨)

ويعترف ابن الزبعرى – بعدما أسلم – باتباعه – قبل إسلامه – للشيطان ،وطاعته فيما قاده إليه من « سنن الغى » والضلال :

إذْ أبارِى الشَّيطانَ فى سُنَنِ الغَىِّ   ومَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ. (٢٩)

لكن ينبغى ألا نبالغ فى هذا كله ؛ فإغواء الشيطان للإنسان – خاصة فيما يتعلق بالمعاصى والآثام – وارد فى كل زمان ومكان- ومنه ما يتعلق بالمسلمين أنفسهم – دون أن يكون لذلك علاقة بعبادته ، عبادة حقيقية ،على نحو ما يفهم من قول بجير .

ويشير جهيش بن أويس إلى عبادتهم للطواغيت – دونما تحديد واضح لها – وهى فى عرف الإسلام كل ما عبد من دون الله ، فيقول مخاطباً للنبى :

شَرَعْتَ لنا دِينَ الحَنيفَةِ بَعْدَما   عبدنا – كأمْثالِ الحَميرِ – طَواغِيا. (٣٠)

أما رموزهم – ومنهم أبو جهل وأُبىُّ بن خلف – فقد تعددت فيهم الأشعار ، تبين سوء مصيرهم فى الآخرة ، وما حاق بهم فى الدنيا ، وما كانوا عليه من الإفك والضلال(٣١) .

٣ – ومع انكسار شوكة الوثنية وانتشار الإسلام كانت الثورة الهائلة على الأوثان ، وهى ثورة لم يشهد لها – فيما يتعلق بالوثنية والأوثان – تاريخ الأدب العربى فى القديم

---

(٢٨) ديوان حسان بن ثابت – ت . د . سيد حنفى حسنين – ص ٣٨٨ .

(٢٩) شعر عبد الله بن الزبعرى ص ١٠١ .

(٣٠) الإصابة جـ١ ص ٦٢٥ ، وشعر الدعوة ص ١٢٣ . وفى السيرة النبوية (م٢ ص٧٧) :

جَمَّعْتُمُوها أحابِيشاً بلا حَسَبٍ   أئمَّةَ الكُفْرِ غَرَّتْكم طَواغِيها .

(٣١) ديوان حسان بن ثابت ص ١٠٦ ، ١٣٥ ، ١٩٩ ، ٢٣٣ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٣٨٩ ، والسيرة النبوية م٢ ص ٩ ، ١٥ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٤٤٧ ، ٤٧٤ ، وشعر الدعوة ص ٧٧ ، ٢٣٤ ، ٣٢٩ .

أو الحديث مـثيلاً ، وإن كانت بذورها قـد وجدت في الشعـر الجاهلي (٣٢) . حتى لقد ذهب بعض الباحثين إلى القول - وقد جـابهته بعض هذه البذور - بأن الوثنية « لم تكن تمثل ديناً للعرب بمعنى العقيدة الراسخة التي يتشبث بها الأفراد لذاتها حتى تمتلئ نفوسهم بها » (٣٣) .

والحقيقـة أن الوثنية كانت تمثل في نفوس كثـير منهم مثل هذا الدين الذي ينكره ، ولم تكن مجـرد نزعة طارئة ، أو عـرضاً عابراً يرضـون به غريزة التـدين ، وإنما كانت عقيـدة راسخة يقاتلون عليها ويعـرضون بسببهـا زمناً طويلاً عن الدخول في الإسلام ، يذودهم المسلمون عنها - كما يقول كعب بن مالك وقد اعتـبرها حسبما يعتقد المسلمون كفراً - ويذودونهم عن الإسلام :

يَذُودُنَـنا عـن دِينِـهم ونَـذُودُهم عن الكُفْرِ والرَّحْمَنُ راءٍ وسامِعُ . (٣٤)

وتنشأ بينهم وبين المسلمين غير قليل من المعارك ؛ لتمسكهم بها ، وقد وجدوا فيها دين الآباء والأجداد :

لنتـــركَ أصْنامـــاً بمكَّةَ عُكَّـفــاً مَوارِيثَ مَـوْرُوثٍ كَرِيمٍ لوارِثِ . (٣٥)

ولا يبالون - فـي قتالهم عنهـا - بما قد يكون منهـم للمسلمـين ، من اعـتداء أو ظلم :

همُ ظَلَمُـونا واعْتَـدَوا في مَـسِيـرِهم وكانوا لَدَى الأنْصابِ أوَّلَ قاتِلِ . (٣٦)

ويعجبون لمن تركها - أو حاد في تصورهم عنها - وتابع النبي :

---

(٣٢) السيرة النبـوية م١ ص ٨١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، والبداية والنهاية م١ ص ٦٠٦ ، ٦٦٣ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، والأصنام ص ٥٢ ، وتاريخ الإسلام م١ ص ٤٦ ، والحماسة البصرية جـ٢ ص ٤٢٥ .

(٣٣) الشعراء المخضرمون - د . عبد الحليم حفني (الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٨٣م) ص ٣٨ .

(٣٤) السيرة النبوية م٢ ص ٣٦٣ .

(٣٥) شعر عبد الله بن الزبعرى ص ٣١ .

(٣٦) السيرة النبوية م٢ ص ٣٩٢ .

أتَرَكْـتَ دِينَ أَبِيكَ والـشُّمَّ العُـــلا أَوْدَوْا وتابَعْتَ الغَداةَ مُـحَمَّدا؟ (٣٧)

ويتمنون عودة من مضى منهم ،ليشهـد جحد من بقى من الأبناء ، وما يفترون فى الدين ، بدخولهم الإسلام ، وخروجهم عن الوثنية والأوثان :

ألا لَيْتَ مَـيْـتـاً بالظُّرَيْبَـةِ شـاهِدٌ لما يَفْتَـرِى فى الدِّينِ عَمْـرٌو وخالِدُ. (٣٨)

والمتتبع لتاريخ الإسلام - مـنذ جهر به النبى - يدرك مدى تمسك هؤلاء الوثنيين بما وجدوا عليه آباءهم - واعتنقوه بالتبعية - من الطقوس والمعتقدات ،وفى مقدمتها الأوثان والأصنام .أما ماكان من سـخرية - فى بعض الأحيان- ببعضها ؛ كـما حدث مع امرئ القيس وهو يستقسم عليها بالأزلام لتأمره أو تنهاه عن الخروج لإدراك ثأر أبيه ، فلا يمثل إلاحالات فردية ،وهى حالات قـليلة ،أو بالأحرى نادرة ، وقد اعتبرتهـا - كما ذكرت بداية - بذوراً للثورة الهائلة التى شهدها تاريخ الأدب فى عصر صدر الإسلام .

على أن كثيراً من الشعر الذى قاله شعراء صدر الإسلام إنما يرجع إلى عهد النبوة، ويرتبط أغلبه بإسلام أصحـابه وتوديعهم لما كانوا عليه من الظلام ، يفتتحـون به صفحة جديدة فى ظل الدين الجـديد .فها هو ذا ذباب بن الحرث السـعدى - من تميم - يحطم صنم قومه - وكانوا يسمونه « فراضاً » - ويعلن إسلامه ومتابعته للإسلام :

تَبِعتُ رَسُولَ اللـهِ إذ جاءَ بالهُدَى وخَلَّـفْتُ فَـــرَّاضــاً بـدارِ هَوانِ

شَـدَدْتُ عليـه شَـدَّةً فـتـركـتُـه كـأنْ لم يكنْ والـدَّهْرُ ذو حَـدَثانِ

فلمَّـــا رأيتُ اللهَ أَظْهَـــرَ دِينَهُ أجـبتُ رسـولَ الـلهِ حينَ دَعـانى

فأصبحتُ للإسلامِ ما عِشْتُ ناصِراً وألقـيتُ فـيـهـا كَلْكَلِى وجِـرانى

فـمَنْ مُبْلِغٌ سَـعْدَ العَـشِيـرَةِ أنَّنى شَرَيْتُ الذى يَبْـقَى بآخَرَ فان؟ (٣٩)

---

(٣٧) الإصابة جـ١ ص ٢٤٣ .

(٣٨) السيرة م٢ ص ٣٦٠ .

(٣٩) الطبـقات الكبـرى م١ ص ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، وشـعر الدعـوة ص ٤٢ ، ٤٣ . والبـيتـان الاول والأخيـر بالإصابة جـ٦ ص ١٠٥ .

وفيه يذكر ماصنعه بفراض ، وكيف تركه « بدار هوان » ، محطماً ، كأن لم يكن ذات يوم شامخاً ، تنحنى أمام شموخه جباه تابعيه .

وها هو ذا مازن بن الغضوبة النبهانى ، يصنع صنيعه ، فيكسر «باجر» أجذاذاً وينشد قائلاً :

كَسَّرْتُ باجرَ أجذاذاً وكان لنا ... ربّاً نُطيفُ به ضَلاً بتَضْلالِ
فالهاشِمِىُّ هَدانا من ضَلالَتِنا ... ولم يكنْ دِينُهُ مِنِّى على بالِ
يا راكِباً بَلِّغنْ عَمْراً وإخْوتَها ... إنِّى لِمَنْ قال ربِّى باجرٌ قالِ. (٤٠)

وفيه يعلن براءته ممن يعبدون هذا الطاغوت ، ويذكر تحطيمه له ، وكيف كانوا يتخذونه – فيما كانوا فيه من الضلال – « ربّاً » يؤدون له ضروباً من المناسك – تتمثل فى طوافهم به ودورانهم حوله طواف العابدين الناسكين – حتى هداهم الله إلى دينه الحنيف ، فلا أقل من أن يعلن كراهيته لباجر ، ولمن لا يزالون يدعونه – حتى وقته – ربّاً ، ويهيمون فى الضلال الذى كان يهيم قبل إسلامه فيه .

وها هوذا الطفيل بن عمرو الدوسى ، وقد بعثه النبى ﷺ إلى « ذى الكفين » ليحرقه ، فأحرقه وأنشأ يقول فيه :

ياذا الكَفَيْنِ لَسْتُ من عُبَّادِكا ... مِيلادُنا أقْدَمُ من مِيلادِكا
إنِّى حَشَوتُ النَّارَ فى فُؤادِكا(٤١) .

ويكفى لإثبات زيف هذا المعبود أن يكون ميلادهم أقدم من ميلاده ، فهو حادث ، ويبين كيف حشا النار فى قلبه ، دون أن يبدى حراكاً ، أو يدفع عن نفسه ، أو يتمرد أو يثور ، فضلاً عن أن ينزل بهم ما كانوا يعتقدونه قبل فيه من الأذى ، انتقاماً لما يصنعون به من الإحراق والتحطيم .

---

(٤٠) البداية والنهاية م١ ص ٧٨٧ ، وشعر الدعوة الإسلامية ص ٤٣ .

(٤١) السيرة النبوية م١ ص ٣٨٥ ، والأصنام ص ٥٢ ، والإصابة جـ٣ ص ٤٢٣ ، وأسد الغابة جـ٢ ص ٤٧٠ ، والبداية والنهاية م٢ ص ١١٩ ، والطبقات الكبرى م٤ ص ٢٩٠ ، وشرح القاموس (كف) ، وشعر الدعوة ص ٤٤ .

وها هو ذا خالد بن الوليد يقول فى العزى ، بعد أن هدمها وقتل سادنها :

يا عُـزَّ كُـفْـرانَكِ لاسُبْـحـانَكِ إنِّى رأيتُ اللهَ قـد أهانَكِ. (٤٢)

وكان النبى ﷺ قد بعثه لهدمها ، فلا تسبيح ولا تنزيه ولا تقديس لمثلها وقد أهانها – فيما رأوه بأعينهم – الله .

وها هوذا العباس بن مرداس السلمى ينصرف إلى صنم له – كان أبوه قد أوصاه به فيحرقه ، ثم يرحل إلى النبي ﷺ ، وينشد بين يديه :

لَعَمْـرُكَ إنِّى يـومَ أجـعلُ جـاهلاً (ضَـمـارِ) لرَبِّ العـالمينَ مُشـارِكـا

وتَرْكِى رَسُـولَ اللهِ والأوْسُ حَـوْلَهُ أولـئـكَ أنْصـارٌ له مـا أولئـكا

كتارِكِ سَهْلِ الأرضِ والحَـزْنِ يَبْتَغِى لِيَسْلُكَ فى وَعْثِ الأمـورِ المَسـالِكا

.. إلى آخر ما قاله من الأبيات (٤٣) . وفيه يعجب كيف ساغ لعقله أن يجعل من ضمار– صنمه – شريكاً لله رب العالمين ، وهـو حجر لا ينفع أو يضر !! لقد حال بينه وبين الإسلام زمناً ، فسبقه من سبقـه إلى الدخول فيه ، وكـان حرياً به أن يكون أحد هؤلاء السابقين ، لولا متابعته لضمار وأشباه ضمار .

وفى ضمار هذا يقول آخر :

قُلْ للقَـبـائـلِ من سُلَيْمٍ كُلِّهـا أوْدَى ضَمـارِ وعاشَ أهْلُ المَسْجِدِ

إنَّ الذى وَرِثَ النُّبُـوَّةَ والهُـدَى بَعْدَ ابنِ مـريمَ من قُرَيْشٍ مُهْتَدِى

أوْدَى ضَـمـارِ وكانَ يُـعْبَـدُ مَـرَّةً قَبْلَ الكتابِ إلى النَّبِىِّ مُحَمَّدِ. (٤٤)

وكانت هذه الأبيات – فـيما يذكرون – سبـباً فى إسلام العبـاس بن مرداس . لقد

---

(٤٢) الأصنام ص ٤٢ ، والاستيعاب ص ٤٢٨ ، وأسـد الغابة جـ١ ص ٦٧٠ ، والبـداية والنهاية م٢ ص ٧٧٤ ، وشعر الدعوة ص ٤٥ .

(٤٣) البداية والنهاية م١ ص ٧٩٣ ، والأغانى (ط . الشعب) ص ٥١٧٤ ، ٥١٧٥ ، وشعر الدعوة ص ٤٥، ٤٦ .

(٤٤) السيرة م٢ ص ٤٢٧ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٧٦٩ ، وشعر الدعوة ص ٤٠ .

انتهى زمن« ضمار » ، ولم يعد أمامـهم سوى اتباع الحق ، والتسليم بما جاءهم به النبى من الكتاب والـدين الحنيف . ويرى راشد بن عـبد ربه السلمى – وكان يـسمى ظالما – ثعلباً يبول على صنمه ، فيستيقظ عـقله ، ويترك ما كلفوه به من سدانته ، وييمم وجهه شطر الإسلام ، فلو كان هذا ربًّا بالفعل لما بالت عليه الثعالب :

أَرَبٌّ يَبُـولُ الثُّـعْـلُبـانُ برأسِـه ... لقد هانَ من بالَتْ عليـه الثَّعالبُ. (٤٥)

ويرى عمرو بن الجموح الخزرجي صنمه ، وقد عبث به صبيان المدينة ، وألقوه فى بئر مهـجورة ، بعد أن دخلها الإسـلام – وكان هذا ديدنهم معه كل ليلـة – فلما عرف الحقيقة لم يَثُرْ إلا على ذلك الإله المزعوم الذى لم يـستطع أن يدفع عبثهم عنه،واستسلم – مهاناً ذليلاً – للوضع الذى ألقوه فيه :

والله لـو كنتَ إلَهـاً لـم تكنْ ... أنتَ وكلبٌ وَسْطَ بئْـرٍ فى قَـرَنْ

أفٍّ لَمَلْقَـاكَ إلهـاً مُـسْتَـدَنْ ... الآنَ فَـتَّـشْناكَ عن سُـوءِ الغَـبَنْ

الحـمـدُ لـله العَلىِّ ذى المِنَنْ ... الـواهبِ الـرَّزَّاقِ دَيَّـانِ الدِّيَـنْ

هو الذى أنْقَـذَنى من قـبلِ أنْ ... أكونَ فى ظُلْمةِ قَـبْرٍ مُرْتَهَنْ. (٤٦)

ويذهب خـزاعى بن عـبد نـهم المزنى إلى « نهم » – وكـان سادنه ، وبـه سمـوا بالعبـودية أباه – ليذبح عنده ، كما كـان يفعل من قبل ، فـإذا به يراجع عقله : « أهذا إله» وهو – كما يرى – أبكم لا عقل له ؟ ! فتثور نفـسه ولا تطاوعه على التمادى فيما هو فيه من الغى :

ذهـبتُ إلـى نُـهْـمٍ لأذْبَحَ عِـنْـدَهُ ... عَـتِيـرَةَ نُسْكٍ كـالذى كنتُ أفْـعَلُ

فقلتُ لنفسى حِينَ راجـعتُ عَقْلَها ... أهذا إلـهٌ أبْكَـمٌ لـيسَ يَعْــقِلُ

(٤٥) الإصابة جـ٢ ص ٣٦١ ، والبداية والنهاية م١ ص ٨٠٣ ، م٣ ص ١١٧ ، وشعر الدعوة ص ٣٨ .

(٤٦) السيرة النبوية م١ ص ٤٥٣ ، والبداية والـنهاية م٢ ص ١٩٦ ، وأسد الغابة جـ٣ ص ٧٠٤ ، والإصابة جـ١ ص ٦٠٣ ، وتاريخ الإسلام م١ ص ١٣٩ . ووفاء الوفا بأخـبار دار المصطفى لنور الدين المسعودى- ت .محمد محيى الدين عبد الحـميد (مطبعة السعادة – القاهرة سنة ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥م) جـ١ ص ٢٣٥ . وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم – ت . محـمد سيد الكيلانى (مطبعة الحلبى – القاهرة سنة ١٣٨١هـ ١٩٦١م) جـ٢ ص ٢١٥ ، وشعر الدعوة ص ٤١ .

أَبَيْتُ فـدِينِى اليـومَ دِينُ مُـحَمَّـدٍ إلهُ السَّمـاءِ الماجِدُ المُتَـفَضِّلُ. (٤٧)

والحقـيقة أنه لولا الإسلام ، ومـا يدعو إليه من نبـذ تلك الأوثان وتسفيهـها ، لما كانـت مثل تلك المراجـعات ، ولظل مـا فيـها من نقص يخـفى على عقـولهم ، وهم يرزحون تحت وطأة التقليد والاتباع الأعمى ، فى ربقة الغى والضلال .

وفى إسلام أبى ذر الغـفارى أخـرج الفاكهى بإسناد يصل بـه إلى النبى ﷺ :كان النبى « إذا أراد أن يبتسم قال لأبى ذر : يا أبا ذر حـدثنى ببدء إسلامك . قال : كان لنا صنم يقال له نُهْم ، فأتيته ، فصببت له لبناً ، ووَلَّيْتُ ، فحانت منى التفاته ، فإذا كلب يشرب ذلك اللبن ، فلما فرغ رفع رجله فبال على الصنم ، فأنشأت أقول :

ألا يانُـهْمُ إنِّـى قـــد بَدا لِـى مَـدَى شَـرَفٍ يَبْـعُـدُ منك قُـرْبا

رأيتُ الكَلْبَ سـامَكَ خطَّاً خَسْفٍ فلم تَمْنَـعْ قَـفـاكَ اليـومَ كَلْبـا .

فسمعتنى أم ذر ، فقالت :

لقـد أَتَـيْتَ جُـرْمـاً وأَصَـبْتَ عُظمــا حينَ هَجَـوت نُـهْـمـا .

فخبرتها الخبر ، فقالت :

ألا فـــابْـقِنـا ربّاً كَــرِيمـاً جَـواداً فى الفـضـائلِ يا ابنَ وَهْبِ

فـمـا مَنْ سـامَـهُ كَـلْبٌ حَـقِيـرٌ فـلـم تَـمْـنَـعْ يَـداهُ لـنـا بِـرَبٍّ

فـمـا عَبْـدُ الحِـجـارةِ غيـرُ غـاوٍ رَكِيكُ العَقْلِ ليسَ بذِىٍّ لُبٍّ. (٤٨)

وفى بقية الخبر قال النبى ﷺ : « صدقت أم ذر ، فما عبد الحجارة غير غاو » .

وفى كسره لـ « رضى » يقول المستوغر بن ربيعة :

ولقـد شَـدَدْتُ على رُضـاءٍ شَـدَّةً فتـركتُهـا تَلاً تُنازِعُ أَسْحَـما. (٤٩)

وكانت « رضى » بيتاً لبـنى ربيعة من زيد مناة بن تميم ، وفيه يفخـر بتحطيمه له، وتحويله « تلاً » أو كوماً من تراب ، فكم فتنت وأضلت من الحيارى التائهين !

(٤٧) الأصنام ص ٥٤ ، والإصابة جـ٢ ص ٢٣٧ ، وأسد الغابة جـ١ ص ٦٩٥ ، وشعر الدعوة ص ٣٩ .

(٤٨) الإصابة جـ٨ ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

(٤٩) الأصنام ص ٤٦ .

وقد يتعدى الأمر إلى الآخرين ، فيسخر الشاعر ممن يعبدون تلك الأوثان ، أو يدينون لها بالتبعية والخضوع ؛ وفى « الأصنام » لهشام بن محمد بن السائب الكلبى «كان لعنزة صنم يقال له سُعَير ، فخرج جعفر بن أبى خلاس الكلبى على ناقته ، فمر به وقد عترت عنزة عنده ، فنفرت ناقته منه ،فأنشأ يقول :

نَفَرتْ قَلُوصِى من عَتائِرَ صُرِّعَتْ ... حَولَ السُّعَيْرِ تَزُورُهُ ابنا يقدُم

وجُمُوعُ يَذْكُرَ مُهْطِعِينَ جَنابَهُ ... ما إنْ يَحِيرُ إليهمُ بتكَلُّمِ. (٥٠)

فكيف تنحنى له الجباه وهو حجر أصم ، لا يتكلم ، ولا يحير جواباً لما قد يتوجون به إليه من الدعاء ؟!

ولآخر - فيما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتاب له -!

لَحا اللهُ أقواماً أرادُوا مُحَمَّداً ... بسُوءٍ ولا أسْقاهمُ صَوْبَ ماطِرِ

عُكُوفاً على الأوثانِ لا يَتْركونها ... وقد أمَّ دِينَ اللهِ أَهْلُ البَصائرِ. (٥١)

وهو لا ينعى على شخص معين أو أناس معينين ، وإنما ينعى على الذين اتخذوا الأوثان آلهة من دون الله على الإطلاق ؛ فقد ظهر الحق ، وأم أهل البصائر دين الله ، وبقى أناس لا يلقون إلى ذلك بالاً ، عكوفاً على أوثانهم ، لا يتخلون عنها ، ولا يرون ما جاء على يد محمد ﷺ من الضياء ، بل تمادى بعضهم فى غيه ووقف للنبى بالمرصاد، يريد إيذاءه ويتطاول عليه بالعدوان ، فلا أسقاهم الله .

وفيما خص به قوم بأعينهم من عابدى الأوثان ، قول ضرار بن الخطاب فى ثقيف :

وفَرَّتْ ثَقِيفٌ إلى لاتِها ... بُمنْقَلبِ الخائبِ الخاسِرِ. (٥٢)

فهى إذ تلوذ بها إنما تلوذ بالجانب الخاسر الضعيف ، ولن تبوء - وقد فرت إليها - إلا بالبوار والخسران .

---

(٥٠) ص ٥٥ . و « يقدم » و « يذكر » ابنا « عنزة » .

(٥١) الإصابة جـ٥ ص ٢٧١ ، وشعر الدعوة ص ٣٣٥ .

(٥٢) السيرة النبوية م١ ص ٤٧ . « واللات : بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة » .

وفى اللات يقول شـداد بن عارض ، ناصحاً بالتـخلى عنها ، ومتـابعة دين الله ، بعد أن أحرقت ، ولم تستطع أن تقاتل عن نفسها أو تدفع عنها النيران :

لا تَنْصُرُوا اللَّاتَ إنَّ اللهَ مُهْلِكُهـا ... وكـيف نَصْـرُكُمُ مَنْ ليسَ يَنْتَـصِـرُ

إنَّ التى حُـرِّقَتْ بالنَّارِ فـاشتـعلتْ ... ولم تُقـاتِلْ لَدَى أَحْجـارِها هَدَرُ. (٥٣)

وفيها يقول كعب بن مالك - وقد جمع بينها وبين العزى وود - من أبيات :

وتُنْسَى الَّـلاتُ والعُـــزَّى ووَدٌّ ... ونَسْلُبُـها القـلائدَ والشُّنُوفـا. (٥٤)

وفى يعوق يقول مالك بن نمط الهمدانى :

يَريشُ الـلهُ فى الدُّنْيـا ويَبْـرِى ... ولا يَبْرِى يَعُـوقُ ولا يَريشُ. (٥٥)

فهو لا يمـلك من الأمر شيئـاً ، ولا قدرة له على الإطلاق ؛ لا نفع فيه فـيرجى ، ولاضر يخشى منه ، فكيف يكون مثل هذا العاجز إلهاً أو حتى وسيلة إلى إله السماء ؟! مالك كل شيء ، ومن بيـده النفع والضرعلى السـواء . فلا أقل من البراءة منه ، كـما وجدنا فى شعر العوام بن جهيل ، ومن الأوثان جملة ، كما نجد فى قول عمرو بن مرة الجهني :

شَـــهِـدْتُ بـأنَّ اللهَ حَقٌّ وأنَّـنِى ... لآلِهَـةِ الأَحْـجـارِ أَوَّلُ تارِكِ. (٥٦)

ومن الوثنية كلها ، وإن كانت إرث الآباء والأجداد :

إليـكم إليـكم إنَّـنِى لَسْـتُ منـكمُ ... تَبَرَّأْتُ مِـن دِينِ الشُّيُـوخِ الأكابِرِ. (٥٧)

وهو لنوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، من أبيات يعلن فـيها إسلامه، وتخليه عن الوثنية والوثنيين .

---

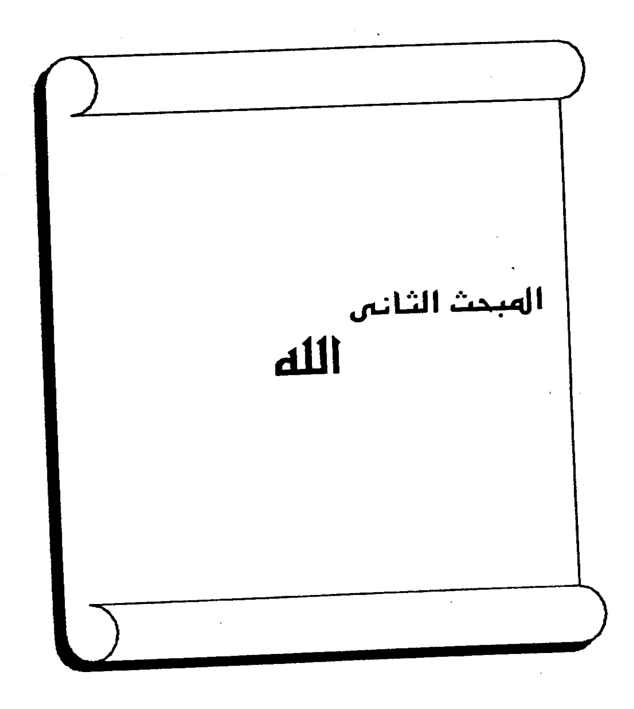
(٥٣) الاصنام ص ٣٢ ، ٣٣ . والسيرة النبويـة م٢ ص ٤٨١ . والإصابة جـ٣ ص ٢٦١ . وأسد الغابة جـ٢ ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ . والزهرة جـ٢ ص ٦٩٠ ، ٦٩١ ، وشعر الدعوة ص ٣٦ .

(٥٤) السيرة النبوية م ١ ص ٧٨ ، م ٢ ص ٤٨٠ ، وشعر الدعوة ص ٢٠١ .

(٥٥) السيرة النبوية م ١ ،ص ٨٠ . ويعوق اتخذه - كما يقول ابن إسحق - خيوان ، وهم بطن من همدان ، كانوا يقيمون باليمن .

(٥٦) البداية والنهاية م١ ص ٨٠٥ ، وشعر الدعوة ص ١٠٩ .

(٥٧) الطبقات الكبرى م٤ ص ٥٢ ، وشعر الدعوة ص ٦٣ .


المبحث الثانى
الله

١ - يشغل ذكر الله عز وجل حيزاً كبيـراً من شعر صدر الإسلام ، خلافاً لما كانت عليه الحال فى العـصر الجاهلى ، وهم إذ يذكرونه إنما يشفُّـون - خلال الكلمات - عن عقيدتهم فـيه ، ذاتاً وصفات ، دونما خروج عن الإطار العام الذى رسـمه القرآن الكريم وحديث النبى ﷺ ، أو ولوج فيما سوف يخوض فيه فلاسفة العرب - تأثراً بالفلسفات الوافدة كاليـونانية ونحوها - وعلمـاء الكلام فى عصور تالية ؛ فـهم يثبتون له مـا أثبته الوحى على الإجمال ، ويمسكون عما سكت عنه أو حذرهم النبى ﷺ من مغبة الخوض فيه ؛ فلا تكييف ، ولا تعطيل ، ولا تفصيل - إلا فى حدود ضيقة جداً - لما أجمل ، ولا تبديل ولا تغيير ، ولا استخدام لمصطلحات - لم يكن لهم بها قبل أو عهد فى تلك الفتـرة الباكـرة - من مصطلحات الفـلاسفـة - كالعلة الأولى وواجب الوجـود والقديم ونحوها - مما سوف يشيع بعد .

ويأتى الحـديث عن الذات - على وجه الخـصوص - مـجرد إشارات ، نفـهم من خلالها أن لله ذاتاً فحسب ، أما ما يتعلق بكنه هذه الـذات وماهيتها فهو مما لا مجال - كما ذكرت - لأن يخـوضوا - ولو على سبيل الظن - فيه . وكيف يخوضـون فيما لم يحدثهم الوحى عنه ، ونفى عن الإدراك القدرة على الوصول إليه ، وحدد - فيما يتعلق به - كل مجالات التخيـيل ؟ فلله ذات نعم ، ولكن لا تشبهها الذوات ؛ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [١] ، وكل ما خطر بالذهن من صورة لله فهو بخلاف ذلك؛ لأنه - كما تقرر الآية - لا شىء مـثله ، لذلك جاء حديثهم عن الذات - وهو قليل فى الوقت نفسـه - موجزاً ، بل لم يتـعد - كما ذكـرت - حدود الإشارة ؛ كمـا فى قول الحطيئة ، من قصيدة يمدح فيها والى الكوفة سعيد بن العاص :

يَقُولونَ هلْ يَبْكِى من الشَّوْقِ حازِمٌ تَخَلَّـى إلى ذاتِ الإلهِ حَنِـيفُ ؟[٢]

وقول حسان :

---

(١) الشورى - من الآية ١١ .

(٢) ديوان الحطيئة - ت . نعمان محمد أمين - ص ٢٥٣ .

وأنَّ أخـا الأحْقـاف إذ يَعْـذِلُونَهُ   يُجاهِدُ فى ذاتِ الإلهِ ويَعْدِلُ.(٣)

وقول كعب بن ذى الحبكة :

وإنَّ اغْتـرابِى فى البِلادِ وجَـفْوَتِى   وشتْـمِى في ذات الإلهِ قَلِيلُ.(٤)

وهى ليست - كمـا قد يفهم من التركـيب - للتأكيد الذي يسـميه النحاة بالتـأكيد المعنوى ، فـالصحيح فـيه أن يقـال « الإله ذاته » ، وإنما للتعـبير عن اللـه عز وجل بـ «الذات » - وهو مما يثبتون له ويعتقدون فيه - فالتخلى - فى البيت الأول - إلى الله ، والجهاد - فى الثانى - فـيه ، والشتم الذى لا يأبه له الشاعر ويعتـبره قليلاً - فى البيت الثالث - كذلك فـيه ، فعبروا عنه بما هو كائن له ، وأرادوه - سـبحانه - (كُلاً) دونما (تبعيض) .

٢ - وتعلو نبرة الإيمان بالله تعالى واضحة ، إيماناً يتجلى فيه التسليم به رباً ، وإلهاً معبـوداً لا إله سواه ، يعلنها الشاعـر بين الفينة والأخرى ، ولا يكل عن ترديد نغمـتها اللسان ، شهادة يسمح بها - وقد امتلأ عن جنباته - الفؤاد :

شَـهِـدْتُ بأنَّ اللهَ حَقٌّ وسـامَـحَتْ   بَنَاتُ فُؤادِى بالشَّـهادَةِ والنَّهْضِ.(٥)

وتخالف من شك أو ارتاب :

يا شـاهِدَ اللهِ علىَّ فـاشْـهَـدِ   أنّى عـلى دِينِ النَّبِىِّ أحْـمَـدِ

مَنْ شَكَّ في اللهِ فـإنِّى مُـهْتَـدِى.(٦)

وترى فيما عداه - من كل ما قد يشغل عنه أو يعبد من دونه - باطلاً :

(٣) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ٣٥٠ .

(٤) تاريخ الطبرى جـ٤ ص ٤٠٢ ، والوحشيات ص ٢٣٧ .

ومما نسب إلى خبيب بن عدى وقد شك ابن هشام فى صحة نسبته إليه :

وذلك فى ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ   يُبارِكْ على أوْصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ .

السيرة النبوية م٢ ص ١٧٦ .

(٥) الإصابة جـ١ ص ٥٣٣ ، والاستيعاب ص ٢٦٣ ، وشعر الدعوة ص ٥٢ .

(٦) الكامل فى اللغة والأدب - لأبى العبـاس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (مؤسـسة المعارف - بيروت سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م) جـ٢ ص ١٤١ .

ألا كُلُّ شَيءٍ مـا خَـلا اللهَ باطِلُ وكُلُّ نَعيمٍ لامَـحـالةَ زائلُ. (٧)

وتسلم – فيما تسلم – بالقضاء :

مُـؤْمِناً بالقَـضاءِ مُـحْـتَـسِـباً بالـ ـخَيْرِ يَرْجُو الثَّوابَ بالسَّابِقاتِ. (٨)

وترضى بحكمه – بل لا ترى حكما سواه – وبه رباً ، وبما أنزله من الذكر على خاتم الأنبياء :

رَضِينا بحُكْمِ اللهِ لا حُكْمَ غَيْرُهُ وباللـهِ ربّاً والنَّبِيِّ وبـالذِّكْـرِ. (٩)

وتقر بأنه لا شريك له :

شَـهِـدنا بأنَّ اللهَ لا رَبَّ غَـيْـرُهُ وأنَّ رَسُـولَ اللهِ بالحَقِّ ظاهِرُ. (١٠)

و « لا شيء غيره » يمكن أن يستعان به ؛ فهو الرب ؛ وهو الجار :

شَـهِـدْتُ بأنَّ اللهَ لا شَيءَ غَـيْـرُهُ بَنِى مُدْلِجٍ فاللهُ رَبِّى وجارُها. (١١)

عليها يحيون – وإن ارتد عنها المرتدون – كما يحيون على الإسلام :

ألا أَبْـلِغْ أبـا بَـكْرٍ رَسُـولا وأبْلِغْـهـا جَـمِـيعَ المُسْلِمِـينا

فليـسَ مُـجـاوِراً بَـيْـتِي بُيُـوتاً بمـا قـالَ النَّبِـيُّ مُكَـذِّبِـينا

ولا مُـتَـبَـدِّلاً باللـهِ رَبّاً ولا مُـتَـبَـدِّلاً بالدِّيـنِ دِينا. (١٢)

ويعلن ثابت بن قيس إيمانه بالله فى جملة بسيطة مباشرة :

آمَنْتُ بـاللهِ العَـلِيِّ الأَمْـجَـدِ هادٍ إلى سُبُلِ الهُدَى ومُـهْتَدِ. (١٣)

---

(٧) ديوان لبيد – ت . د . إحسان عباس – ص ٢٥٦ .

(٨) وقعة صفين ص ٤٥٩ .

(٩) المصدر نفسه ص ٥٤٨ ، ومروج الذهب جـ١ ص ٤١٠ .

(١٠) السيرة النبوية م ٢ ص ١٤ .

(١١) تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٣١٩ .

(١٢) الوحشيات ص ٥٨ ، ٥٩ .

(١٣) كتاب الردة ص ٢٠٠ .

فهو الموصوف بصفات الكمال ، المنزه عن كل ما لا يليق به . كما يعلنها الحرث ابن هشام - أخو أبي جهل - مع ما يستتبعها من التسليم بالنبوة والتصديق بما بعد الموت من البعث والنشور :

إنّى بربّى والنّبىّ مُـــؤمِنٌ والبَعْثِ من بَعْدِ المَماتِ مُوقِنُ.[14]

ويذكر المثنى بن حارثة الشيبانى - متأثراً فيما يبدو بوصية لقمان لابنه فى القرآن الكريم [15] - أنّ الشرك بالله ظلم عظيم ، ويدعو من ثم إلى الإسلام ، دين التوحيد :

أَسْلِمُـــوا للهِ تُعْطوا سُـــولكم إنَّ مَنْ أَشْـــرَكَ باللهِ ظَلَمْ.[16]

أما الأسود بن مسعود الثقفى فقد أمسى - على حد قوله - يعبد الله لا يشرك به شيئاً ، فهو - سبحانه وتعالى - ربه ورب الناس أجمعين :

أمسيتُ أعْبُدُ ربّى لا شَريكَ لَهُ رَبَّ العِبادِ إذا ما حُصِّلَ اليَسَرُ.[17]

ويرتضيه عبد الله بن حذف - فى وقت الردة - رباً ، كما يرتضى الإسلام - وقد ارتد عنه من ارتد - له ديناً :

وقُلْنا قـــد رَضِـــينا اللــهَ رَبّاً وبالإســلامِ ديناً قـد رَضِـينا.[18]

وهو يتحدث بضمير الجمع المعبر عنه وعن من يليه . وإزاء نعمه التى لا تعد ولا تحصى يتوجه رجل من كنانة إليه سبحانه وتعالى بالشكر :

فـــمَنْ يَشْكُـرِ اللهَ يَـلْقَ المَزيـــدَ ومن يكفُرِ اللهَ يَلْقَ الغِيَرْ.[19]

---

(١٤) الإصابة جـ١ ص ٦٩٩ . ومثل ذلك ما نجده عند عبد عمرو بن جبل الكلبى فى إسلامه :

أجَبْتُ رَسُولَ اللهِ إذْ جاءَ بالهُـدَى فاصبحتُ بعد الجُحْدِ للهِ أوجَرا . . .

المصدر نفسه جـ٤ ص ٣١٥ .

(١٥) لقمان ١٣ .

(١٦) كتاب الردة ص ٢٢٨ .

(١٧) الإصابة جـ١ ص ٢٢٨ ، وشعر الدعوة ص ٥٥ .

(١٨) الإصابة جـ٥ ص ٦٥ .

(١٩) البداية والنهاية م٣ ص ٥٦٩ ، وشعر الدعوة ص ٣٦٣ .

فالشكر مدعاة للمزيد ، تصديقاً لقوله عز وجل ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . ﴾ (٢٠) ولا ينكر نعم الله إلا الكافر الجحود .

٣ – ويسوقون فى إطار دعوتهم للإيمان بالله – أو حتى مجرد إعلان الإيمان – غالباً آيات دالة على وجوده وقدرته ، وهو منهج قرآنى فى الأصل ، وقد يأتى الحديث عن تلك الآيات – فى أحايين أخرى – مجرداً عن الدعوة ، فيشبه – إلى حد كبير – ترانيم التمجيد والتقديس التى نراها فى شعر الزهاد والمتصوفة والتى كنا نرى جذوراً لها من قبل في شعر بعض الحنفاء (٢١) .

يقول النمر بن تولب وقد جاء إلى النبى ﷺ وافداً :

يا قَـومُ إنِّـى رَجُلٌ عِنْـدِى خَـبَـرْ
الـلهُ مِـن آياتِـهِ هذا الـقَـمَـرْ
والشَّمْسُ والشِّعْرَى وآياتٌ أُخَرْ (٢٢)

فيستوقف قومه لحظات ليحدثهم عن ذلك الخبر – الذى يصل لديه إلى حد اليقين، وبه فسَّرَ هنا – عسى أن تستجيب له القلوب ، فتؤمن – كما آمن – بالله ، فما فى الكون من آيات ظاهرة ، كالقمر والشمس والشعرى وغيرها من الآيات – إنما يدل– على منطق البدوى القديم صاحب الكلمة السائرة : « البعرة تدل على البعير وأثر السير يدل على المسير . . » – على وجود الله ؛ لأنها لم توجد من تلقاء نفسها ، وإنما

(٢٠) إبراهيم – من الآية ٧ .

(٢١) كزيد بن عمرو بن نفيل : (السيرة النبوية م١ ص ٢٢٦ : ٢٣١ ، والاشتقاق لابن دريد جـ١ ص ١٣٥ ، والبداية والنهاية م١ ص ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، وتفسير ابن كثير جـ٢ ص ٢٢٢ ، ٤٩٩ ، م٣ ص ٢٣٣) . وأمية بن أبى الصلت . (ديوانه ص ٣٦ ، ٥٥ ، ٧٠ ، والحماسة البصرية جـ٢ ص ٤١١ ، ٤١٢ . والزهرة جـ٢ ص ٤٩٦ ، والشعر والشعراء جـ١ ص ٤٦٠ ، والإصابة جـ٦ ص ٢٦١ ، والبداية والنهاية م٤ ص ٥٨٧ ، ٦٥٠ ، ٦٥٢ ، وتفسير ابن كثير جـ٣ ص ٢٣٣) .

(٢٢) الإصابة جـ٦ ص ٣٧١ ، والاستيعاب ص ١٥٣٢ ، وأسد الغابة جـ٤ ص ٥٦١ ، والأغانى (ط . الشعب) ص ٩٠٠٩ ، ومختار الأغانى جـ٨ ص ٦٣ ، وشعر الدعوة ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، وشعراء إسلاميون ص ٣٥٥

أوجدها – وهى عظيمة فى ذاتها – إله كبير – غير تلك الآلهة المزعومة – موصوف بالعظمة والقدرة .

وهذا الإله منزه – وهو ما ينبغي له – عن كل نقص ، ولولا كمال قدرته لما أوجد مثل تلك الجبال التى تراها العين راسخة راسية ، وأمسك السموات السبع أن تقع على من فيها ، فبقيت منذ أزل بعيد – وسوف تبقى إلى ما شاء – كما هى :

فسبحانَ مَنْ أَرْسَى ثَبِيراً مَكَانَهُ ومن أَمْسَكَ بالسَّبْعِ الطِّبَاقِ كما هِيَهْ.(٢٣)

ومن آيات قدرته – ووجوده فى آن – شق البحار وتذليلها ، واستجابته لما قد يبدو – بمنطق الأسباب – مستحيلاً ؛ من الدعاء – كإنزال المطر وقد عز عميماً غزيراً فى وقت الجدب – يقول عفيف بن المنذر وقد عاين لحظة من تلك اللحظات :

أَلَم تَرَ أَنَّ اللهَ ذَلَّلَ بَحْرَهُ وأَنْزَلَ بالكُفَّارِ إحْدَى الجَلائِلِ

دَعَوْنا الذى شَقَّ البِحارَ فجاءنا بأَعْجَبَ من فَلْقِ البِحَارِ الأوائلِ.(٢٤)

ولئن كانت الآلهة التي يعبدونها – كـ « يعوق » ونحوه – عاجزة ، فإن الله لا يعتريه العجز :

يَرِيشُ اللهُ فى الدُّنْيا ويَبْرِى ولا يَبْرِى يَعُوقُ ولا يَرِيشُ.(٢٥)

لقد « سمك السماء مكانها » ، وجعل الشمس ضياء ، وتفرد فى ملكه بالعظمة والكبرياء ، وهو مع هذا كله حليم غفار :

---

(٢٣) وقعة صفين ص ٤٥٣ . وبإمساك تلك الجبال يقسم أيمن بن خريم قائلاً :

أما والذى أَرْسَى ثَبِيراً مكانَهُ وأَنْزلَ ذا الفُرقانَ فى لَيْلَةِ القَدْرِ .

المصدر نفسه ص ٥٠٣ .

(٢٤) تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٣١١ ، والإصابة جـ٥ ص ١٠٠ ، والبداية والنهاية م٣ ص ٨٧٩ ، وشعر الدعوة ص ٢٨٣ ، وفيه أنه قالهما أثناء وجوده فى الجيش الذى قاده العلاء بن الحضرمى لفتح البحرين ؛ « وذلك أنهم مشوا – لما استنجدوا الله – مسيرة يوم وليلة فى البحر على أفراسهم بين الساحل والجزيرة على مثل رملة ميثاء سهلة » .

(٢٥) السيرة النبوية م١ ص ٨٠ .

إنَّ الذي سَمَكَ السَّمـاءَ مكَانَها والشَّمْسُ في هَدْى الخَلائقِ نُورُ
أَعْلَى بأفرادِ الخلائقِ وَحْدَهُ أنَّ المراجعَ ذَنْبُهُ مَغْفُورُ.(٢٦)

سوى السموات فوقهم « سبعاً طباقاً » ، وجعل الأرض تحتهم راسية كالمهاد ، تثبتها الجبال ، وخلق الماء والنيران ، فيهن ، - وفى كلٍّ - موعظة لذوى العقول والألباب ، يقول لبيد :

سَوَّى فأَغْلَقَ دُونَ غُرَّةِ عَرْشِهِ سَبْعاً طِبَاقاً فوقَ فَرْعِ المَنْقَلِ
والأرضَ تحتهمُ مِهاداً راسياً ثَبَتتْ خَوالِقُها بِصُمِّ الجَنْدَلِ
والماءُ والنِّيرانُ من آياتِه فيهنَّ مَوْعِظَةٌ لِمَنْ لم يَجْهَلِ.(٢٧)

فسبحان الله « ذى المعالى » ، « فالق الليل والصباح » ، شهادة ينطق بها عسكلان ابن عواكن الحميرى ، وترددها معه الأرجاء :

أَشْهَدُ باللهِ ذِى المَعَالِى وفالِقِ الليلِ والصَّباحِ . (٢٨)

وهكذا تتوالى النصوص - وقد اكتفينا ببعضها عن الأخرى ، وهو تسير على الوتيرة نفسها - فى الاستدلال على وجود الله بما تدركه الحواس من آيات ظاهرة أوجدها فى كونه ، يسوقونها - غالباً - فى معرض الدعوة إليه ، أو إعلان الإيمان ، أو التأمل والاعتبار ، مفيدين بمنهج القرآن الكريم - فى الدعوة إلى الله - وما وجدوه قبلهم فى شعر بعض الحنفاء .

٤ - ويعد التوحيد ركنا أساسياً فى عقيدتهم بالله ، ويشمل أبواباً ثلاثة ؛ الربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات ، وتعكس أشعارهم - فيما يتعلق بالباب الأول - الاعتراف به رباً ، وكانوا فى الجاهلية يعترفون بالربوبية لله ؛كما صور القرآن الكريم فى قول المولى عز وجل ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ .(٢٩) وكما

---

(٢٦) كتاب الردة ص ٢٥٢ .

(٢٧) ديوان لبيد - ت . د . إحسان عباس - ص ١٢٦ .

(٢٨) الإصابة جـ٥ ص ٩٨ .

(٢٩) لقمان - من الآية ٢٥ .

يصور شعرهم [٣٠] .لكنهم كانوا يشركون به ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [٣١] . فكان التوحيد - قبل ظهور البدع والأهواء - هو السمة الرئيسة فى هذا الباب عند شعراء الإسلام .

ومن الاعتراف بالربوبية لله قول حسان :

فأخزاكَ ربِّى يا عُتَيْبَ بنَ مالكٍ ولقَّاكَ قَبْلَ الموتِ إحْدَى الصَّواعِقِ. [٣٢]

وهو يعترف به « ربًّا » ، ويتوجه من ثم إليه بالدعاء ، وقد جاء الاعتراف بإضافة «رب» إلى ضمير المتكلم [٣٣] ، وفى بيت سابق - من القصيدة نفسها بإضافته إلى «المشارق » ، فالله ليس رباً له وحده فتتعدد - كما كانت تتعدد فى الجاهلية - الأرباب، وإنما هو « رب المشارق » ؛ أى رب الأقطار كلها ؛ فكل بقعة من الأرض تصلح أن تكون مشرقاً ، أو هي بالفعل مشرق لبقعة أخرى ، وهو سبحانه وتعالى - فى قصيدة ثانية - « رب الناس » :

تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عن قَوْلِ مَنْ دعا سِواكَ إلهاً أنتَ أعْلا وأمْجَدُ. [٣٤]

(٣٠) شرح شعر زهير بن أبى سلمى لأبى العباس ثعلب - ت . د . فخر الدين قباوة - ط٢ (دار الفكر - بيروت سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م) ص ٢٦ ، ١٢٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، وديوان دريد بن الصمة - ت . د . عمر عبد الرسول (دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٥م) ص ١٦٥، وديوان الأعشى ص ٣٦ ، ٦٦ ، ٧٣، ٧٤ ، ١٠٦ ، ١٨٧ ، ٢٢٠ ، والزهرة جـ٢ ص ٤٩٦ : ٥٠٣ (باب : ذكر ما قاله أمية ونظراؤه فى تعظيم الله جل شأنه) ، والشعر والشعراء جـ١ ص ١٨٤ ، ٢٦٩ ، والعمدة جـ١ ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، جـ٢ ص ٧١ ، الكامل للمبرد جـ١ ص ٢١٤ ، السيرة النبوية م١ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، والأصنام ص ٣٣ ، ٥٠ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٢٥ ، ٥٤ ، والبداية والنهاية م١ ص ٦٥٧ ، والطبقات الكبرى م١ ص ١٤٦ ، وطبقات فحول الشعراء جـ١ ص ٦٠ ، ١٤١ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٤١٩، ونسب قريش ص ٢٠٨ .

(٣١) يوسف - آية ١٠٦ .

(٣٢) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ١٥٨ .

(٣٣) ومثله فى شعره : (ديوانه ص ٣٣٨ ، ٣٣٩) ، وفى شعر عبد الله بن الزبعرى : (ديوانه ص ٣٦) ، وفى شعر القعقاع بن عمرو التميمى : (شعراء إسلاميون ص ٣٣) ، والأسود بن مسعود الثقفى (شعر الدعوة ص ٥٥) ، وعبد الله بن أبى رهم (الإصابة جـ٥ ص ٦٧) .

(٣٤) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ٣٣٩ . ومثله فى شعر غيره : (ديوان عمرو بن شأس ص ٣٣ ، والسيرة النبوية م١ ص ٤٣٨ ، والبداية والنهاية م٢ ص ١٨٤، وشعر الدعوة ص ٥٤٤) .

و « رب العباد » فى قول عبد الله بن الزبعرى - وهو مما قاله على ما رجح محقق شعره بعد الإسلام :

لا يُبْـعِـدُ اللهُ رَبُّ العِـبـادِ ... والملح مـا وَلَـدتْ خـالده. (٣٥)

ورب قريش ، وإن كانت لها الزعامة في الشرك :

زَعَمتْ سَـخِينَةُ أنْ سَـتَغْلِبَ رَبَّـها ... وليُـغْلَبَنَّ مُـغـالبُ الغَـلاَّب. (٣٦)

و « رب الأنام » (٣٧) ، و « رب البلاد » (٣٨) ، و « رب محمد » ﷺ (٣٩) ، و « رب » هكذا بغير إضافـة ، وإن وصف مرة بالمجد ؛ « رب مجد » (٤٠) ، ومرة ثانية بالرحمة ؛ « رب بالعباد رحيم » (٤١) ، وثالثة بالعظمة وكبر الأمر :

وذلكَ أنَّـهم كَـفَـرُوا برَبٍّ ... عَظِيمٍ أمْـرُهُ أمْـرٌ كَـبِـيرُ. (٤٢)

ولا يقف الأمر عند حد الاعتراف ، وإنما يمتد إلى الرضا ، وتسرى في الرضا روح التسليم :

رَضِـينا بدِينِ اللهِ من كلِّ حـادِثٍ ... وباللهِ والرحمن نَرْضَى به ربّاً. (٤٣)

والإيمان بوحدانية الله ، والشعر فى ذلك كثير ؛ منه قول عبد الله بن أبى رهم :

---

(٣٥) شعر عبد الله بن الزبعرى - ت . د . يحيى الجبورى - ص ٣٥ . ومثله عند غيره : (الإصابة جـ٤ ص ٢٥٢ ، جـ٥ ص ٦٧ ، وأسد الغابة جـ٣ ص ٣٣٤ ، وشعر الدعوة ص ٥٥) .

(٣٦) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ٣٧٣ ، والسيرة النبوية م٢ ص ٢٦١ ، والعقد الفريد جـ٢ ص ٢٦٣ ، جـ٦ ص ١١١ ، ١٢٧ ، جـ٨ ص ٤ ، وشعر الدعوة ص ٣٣٩ .

(٣٧) العقد الفريد جـ٥ ص ٣٣ ، وشعر عبد الله بن الزبعرى ص ٤٧ .

(٣٨) تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٣٨٢ ، والإصابة جـ٥ ص ٦٧ .

(٣٩) المصدر نفسه ص ٣٨١ ، وشعر الدعوة ص ١٤٣ .

(٤٠) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ٣٨٠ .

(٤١) تاريخ الطبرى جـ٢ ص ٥٣٣ .

(٤٢) السيرة النبوية م٢ ص ١٩٩ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٤٩٤ ، وتفسير ابن كثير جـ٤ ص ٣٣٤ ، وشعر الدعوة ص ٢٦٠ .

(٤٣) الطبقات الكبرى م٥ ص ٦٤٦ ، وشعر الدعوة ص ٨١ .

سُـبْـحَـانَ رَبِّي لا إلـهَ غَـيْـرُهُ رَبُّ البِـلادِ ورَبُّ من يَتَـورَّدُ. (٤٤)

فهو سبحانه وتعالى واحد لا شريك له . وقول كعب بن مالك :

شَـهِـدْنا بأنَّ الـلهَ لا رَبَّ غَـيْـرُهُ وأنَّ رسولَ اللهِ بالحَقِّ ظاهِرُ. (٤٥)

وهي شهـادة عامـة تشمل أهل الإسلام ، ينـطق بها شاعـرهـم فى صراعـهم ضد الكفـار، ويعلن - فى قصـيدة أخـرى - أنهم سوف يقـاتلون أهل مكة ومن يليـهـم من الأحزاب حتى يعلموا :

بـأنَّ اللـهَ ليـس له شَـــرِيـكٌ وأنَّ اللـهَ مَـولَـى المُؤْمِنِيـنا. (٤٦)

علماً يقينياً لا شك فيه . وفي شعر لبيد بن ربيعة العامرى :

أَحْـمَـدُ اللهَ فـلا نِـدَّ له بيَـدَيْهِ الخَيْـرُ ما شاءَ فَـعَلْ. (٤٧)

فينفى عنه سبـحانه وجود الند أو المثيل ، ويقرر المثنى بن حارثة الـشيبانى أن « من أشرك بالله ظلم » (٤٨) ، فالشـرك بالله - كما وصـف فى القرآن الكريم (٤٩) - ظلم عظيم . وهو تعـالى عند أوس بن بجيـر « لا رب غيـره » (٥٠) . وكذا عند حـبيش الأسدى (٥١) ، وسـواد بن قارب الدوسى أو السـدوسى (٥٢) ، وعند أصيـد بن سلمة السلمى قد « عـلا في ملكه وتوحدا » (٥٣) ، وعند الطفيل بن عمـرو « فرد تعالى جده

---

(٤٤) تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٣٨٢ ، والإصابة جـ٥ ص ٦٧ ، وشعر الدعوة ص ١٤٣ .

(٤٥) السيرة النبوية م ٢ ص ١٤ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٣٩١ ، وشعر الدعوة ص ٢٤١ .

(٤٦) السيرة النبوية م٢ ص ٢٥٦ ، وشعر الدعوة ص ٢٥٨ .

(٤٧) ديوان لبيد - ت . د . إحسان عباس - ص ١٣٩ .

(٤٨) كتاب الردة ص ٢٢٨ .

(٤٩) لقمان - آية ١٣ .

(٥٠) الإصابة جـ١ ص ٣٥٧ .

(٥١) المصدر نفسه جـ٢ ص ١٤٢ .

(٥٢) جمـهرة أشعار العـرب ص ٥٥ ، والبداية والنهاية م١ ص ٧٨٤ ، وتفـسير ابن كثير جـ٤ ص ١٦٨ ، وتاريخ الإسلام م١ ص ٩١ ، وشعر الدعوة ص ٧٠ .

(٥٣) الإصابة جـ١ ص ٢٤٣ .

عن كل ند » (٥٤) ، وعند جندب بن سلمى « لا شيء غيره » (٥٥) ، وكذا عند زمل بن عمرو (٥٦) .

٥ - وفى الباب الثانى من أبواب التوحيد « توحيد الألوهية » ؛ أو التوجه بسائر العبادات لله وحده ، فلا يعبد أحد سواه ، وهو ما كان يفتقده - وبحق - سائر أهل الجاهلية ، فيما عدا قلة من أصحاب الأديان السماوية ، ومن عرفوا كزيد بن عمرو بن نفيل - وسوف يبعث يوم القيامة كما أخبر عنه النبى أمة وحده - بالحنفاء ، وهو كذلك ما انحرف عنه - فيما بعد - أهل البدع والأهواء ؛ ممن أشركوا - بعبادتهم - مع الله معبودات أخرى ولم يخلصوا العبادة لله .

فنجد حسان بن ثابت يقول :

تَعالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عن قَوْلِ مَنْ دَعا ... سِواكَ إلهاً أنتَ أَعْلا وأَمْجَدُ
لكَ الخَلْقُ والنَّعْماءُ والأمرُ كُلُّهُ ... فإياكَ نَسْتَهْدِى وإياك نَعْبُدُ. (٥٧)

ينعى على الكفار اتخاذهم - من دون الله - آلهة ، والله « أعلا وأمجد » ، له الخلق والنعم الكثيرة التى لا تعد ، وله الأمر جميعه ، وليس لتلك الآلهة المزعومة من هذا كله شيء ، فتعالى الله عما يزعمون علواً كبيراً ، ثم يقرر فى آخرها عبادتهم - هو

---

(٥٤) المصدر نفسه جـ٣ ص ٤٢٤ ، وشعر الدعوة ص ٧٢ .

(٥٥) شعر الدعوة ص ٨٨ .

(٥٦) نهاية الأرب جـ ١٨ ص ٩١ ، والبداية والنهاية م١ ص ٨٠٠ ، وشعر الدعوة ص ١١١ . ومما لا يعلم زمنه فى ذم النصارى :

لا تَقُلْ تَعْرِفُ النَّصارَى حِساباً ... ليسَ يَدْرونَ غيرَ طُرْقِ الخَبائَهْ
كيفَ يَدْرِى الحِسابَ من جَعَلَ (م) ... الواحِدَ سُبْحانَهُ بَجْهلٍ ثَلاثَهْ ؟

جوهر الكنز لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبى - ت . د . محمد زغلول سلام (منشأة المعارف - الإسكندرية - بدون تاريخ) ص ٤٣٢ . ولعله لأحد المتأخرين ؛ فقد عزَّ له مثل فيما اطلعت عليه من شعر صدرالإسلام ، وفيه روح من الصراع والمنافسة تناسب بيئات أخرى كالأندلس ، وعصوراً - بالنسبة للمشرق - كعصور الاحتكاك مع الصليبيين .

(٥٧) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ٣٣٨ .

ومن معه من أهل الإسلام - له ، وطلب الهدى منه ، وحده ، فلا هادى ولا معبود لهم سواه ، يدل عليه تقديم المفعول « إياك » على الفعلين ، بما لا يقبل العطف - كما يقول النحاة - بحال ، خلافاً لقولهم « نعبدك » أو « نستهديك » ؛ حيث يجوز العطف - عندئذ - على الضمير .

وفى الإقرار بعبوديته لله - مع الإيمان به - ومخالفة ما كانوا عليه من الضلال ، نجد العباس بن مرداس يقول :

فـآمَنْتُ بالله الذى أنا عَبْدُهُ ... وخالفتُ مَنْ أَمْسَى يُرِيدُ المَهالِكا .[58]

يعني عباد الأوثان ، وفيهم طائفة من قومه ، كانوا يعبدون صنماً له ، ورثه عن أبيه ، يقال له « ضمار » . وكما تبرأ من هؤلاء تبرأ طفيل بن عمرو من عبادة صنم قومه ، وكان يدعى « ذا الكفين » وفيه - وقد مضى - قوله : « يا ذا الكَفَيْنِ لَسْتُ من عِبادِكا . . »[59].

إن العبادة - كما يقتضى هذا الباب - لا تكون - وهو ما يقرره الأسود بن مسعود - إلا لله :

أصبحتُ أعبدُ ربِّى لا شَرِيكَ له ... رَبَّ العِبادِ إذا ما حُصِّلَ اليَسَرُ .[60]

فقد تحول عما كان - وكانوا - من قبل عليه ، فأصبح لا يعبد إلا الله ربه ، ولا يشرك به شيئاً ، ولا يتوجه بالعبادة لأحد غيره .

بل نجد فى شعر الأعشى - وقد تأهب للدخول فى الإسلام - ما يدل على معرفته بهذا النوع من التوحيد ، ودعوته - وكان أحرى به الالتزام بما يدعو - إليه[61]. وكذا فى شعر ورقة - وكان نصرانياً على أرجح الأقوال - وهو يمر على بلال والمشركون يعذبونه فلا يزيد على قوله « أحد أحد »[62].

---

(٥٨) الأغانى (ط . الشعب) ص ٥١٧٥ ، والبداية والنهاية م١ ص ٧٩٣ ، وشعر الدعوة ص ٤٦ .

(٥٩) الأصنام ص ٥٢ ، والإصابة جـ٣ ص ٤٢٣ ، وشعر الدعوة ص ٤٤ .

(٦٠) الإصابة جـ١ ص ٢٢٨ ، وشعر الدعوة ص ٥٥ .

(٦١) ديوان الأعشى ص ١٠٦ .

(٦٢) نسب قريش ص ٢٠٨ ، وأنساب الأشراف جـ١ ص ١٨٦ ، والحماسة البصرية جـ٢ ص ٤٢٥ .

٦ - ويلحق بهذا الباب كل فعل يصدر - على سبيل العبادة - عن الإنسان ؛ كالاستعاذة ، والدعاء ، والتوكل ، والاستغفار . فتراهم لا يستعيذون إلا بالله ، ولا يتوجهون بالدعاء إلا إليه ، ولا يتوكلون إلا عليه ، ولا يستغفرون لذنوبهم غيره .

وفيما نسبوه إلى الجان - مع ما قد يعترى مثل هذا الشعر على كثرته فى صدر الإسلام - من الشك :

وَيْحَكَ عُذْ بالله ذى الجَلالِ   مُنَزِّلِ الحَرامِ والحَلالِ
ووَحِّدِ اللهَ ولا تُبالى   ما هَوْلُ ذى الجنِّ من الأهْوالِ.(٦٣)

وقد زعموا أن خريم بن فاتك الأسدى سمع هاتفاً - والهاتف ما سمعوا له صوتاً ولم يروا شخصه - ينشده ، وهو يمر بماء لبنى أسد يسمى « أبرق العزاف » ، وفيه يدعوه إلى الاستعاذة بالله ، لا بكبير الجان كما كانوا يستعيذون وهم يمرون بالأودية والفلوات ، فالله أحق بالاستعاذة - وهو الموصوف بالجلال - من كل جان ، وفى ديوان أبى الأسود الدؤلى :

فقُلْ ما أرَاكَ اللهُ إنَّكَ راشِدٌ   كِلانا من العَوْراءِ باللهِ عائذُ.(٦٤)

وتقديم شبه الجملة « بالله » للتخصيص ، فيخصه سبحانه باستعاذته ، هو ومن يتوجه إليه بالخطاب . ويربط فى مطلع قصيدة له أخرى بين استعاذته بالله ووصف الله بالعزة :

أعُوذُ بالله الأعَزِّ الأكْرَمِ.(٦٥)

فبالله « الأعز » يستعيذ . وفى شعر النمر بن تولب :

أعِذْنِى رَبِّ من حَصَرٍ وعِىٍّ   ومن نَفْسٍ أعالِجُها عِلاجا.(٦٦)

---

(٦٣) أسد الغابة جـ٤ ص ٢٥٤ ، والإصابة جـ٥ ص ٥٥٤ .

(٦٤) ديوان أبى الأسود الدؤلى ص ٤١ .

(٦٥) المصدر نفسه ص ١٣٢ .

(٦٦) شعراء إسلاميون ص ٢٣٨ .

وهو كذلك مطلع لقصيدة ، وقد حدد الاستعاذة - ولم يتركها عامة كما فعل السابقون - فجعلها مما قد يعتريه من الحصر والعى ، ومن نفسه التى أعياه علاجها حتى تصلح وتستقيم .

ولعمرو بن أحمر ، أحد الشعراء المخضرمين :

إنّى أعُوذُ بما عَاذَ النَّبِىُّ بِهِ ... وبالخَلِيفَةِ إنْ لم تُقْبَلِ العُذرُ
من مُتْرَفِيكم وأَصْحابٍ لنا مَعَكُمْ ... لا يَعْدِلون ولا نَأْبَى فننتَصِرُ. (٦٧)

وهو يستعيذ بما استعاذ به النبى ﷺ ، ثم بالخليفة - بعد الله - من الولاة المترفين الذين يظلمون الرعية ، ولا يقيمون ما أمر الله به من العدل .

وفى التوكل عليه - وهو يعنى فى عقيدتهم كما يفهم من قول عمر : « إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » الأخذ بالأسباب مع ترك النتائج على الله والرضا بما قسم - نجد قول عبد الله بن حذف فى قتال المرتدين :

تَوَكَّلْنا على الرَّحْمنِ إنَّا ... وَجَدْنا الصَّبْرَ للمُتَوَكِّلينا. (٦٨)

فالتوكل « على رب العباد » لا يتعارض فى شىء مع فعل العبد ، متمثلاً ههنا فى الجهاد ، ليفرج عنهم الله ما حل بهم - وقد بلغت القلوب الحناجر - من البلاء .

وفى الاستغفار وطلب الرحمة :

فاغْفِرْ له اللهُمَّ إنْ كانَ فَجَرْ. (٦٩)

وهو مما قاله أحد الأعراب فى الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وللسفاح بن بكير اليربوعى :

---

(٦٧) جمهرة أشعار العرب ص ٦٨٠ .

(٦٨) تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٣٠٤ ، وكتاب الردة ص ٢٣٢ ، والبداية والنهاية م٣ ص ٨٧٦ ، والإصابة جـ٥ ص ٦٥ وفيه - وفى شعر الدعوة ص ١٦٣ - « وجدنا النصر . . . » ، وهو النتيجة المرجوه من التوكل فى القتال .

(٦٩) تاريخ الطبرى جـ٤ ص ٢٠٣ ، وشعر الدعوة ص ٥٠٧ .

صَلَّى علـى يَحْـيَى وأشْيــاعِـهِ رَبٌّ غَـفُورٌ وشَـفِـيعٌ مُطاعْ.(٧٠)

والدعاء بالصلاة – وهو يعنـى فيما أفهم الرحمـة – كثير جداً في شـعر الصدر ، وأكثر مـا يجيء فى مجال الرثاء ، وقـد وقفت على طائفة منه فى كتـابىَّ « مراثى النبى ﷺ» (٧١) و « شعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى فى صدر الإسلام » (٧٢) .ويعد– كمـا انتهيت إليه فى هـاتين الدراستين – صورة جديدة لما كـانت عليه الحال فى العـصر الجاهلى ، من الدعاء بالسقيا واسـتنزال المطر على قبور الموتى ؛ فهم يستمطرون لموتاهم – بدلاً من القطر والماء – المغفرة والرحمة .

وللمخبل – وقد رحل إلى البصرة بعد هجائه للزبرقان بن بدر – :

وأشْـهَـدُ والمُسْـتَـغْـفَــرُ اللهُ أننى كَذَبْتُ عليها والهجاءُ كَذُوبُ.(٧٣)

فالمستغفر على حد قوله هو الله عز وجل ، وهى لمحة دالة على العقيدة ، تجيء فى ثنايا جملة قصيرة معترضة . ولعمرو بن الجموح الأنصارى ، فيما أنشد له المرزبانى حين أسلم :

أتُوبُ إلـى اللهِ سُـبْـحـانَهُ وأسْـتَـغْـفِــرُ اللهَ من نارِه.(٧٤)

يعنى مما يوصل إلـى النار من الذنوب والآثام ، ويتـوب إليـه عمـا كـان منه قـبل الإسلام .

أما الدعاء فـأكثر من أن يحصى ، وهو فى مجـمله يدل على إيمانهم بوجود الله ، وقربه منهم ، واسـتجابته لهم ، وأنه لم يـخلق – كما زعم بعضـهم – الخلق وتركه أو انفصل عنه وأهمله ، وإنما هو – كـما يتبدى فى شـعرهم – قريب مجـيب ، يسمع ،

---

(٧٠) المفضليات – للمفضل بن محمد بن يعلى الضبى – ت . أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون – ط ٨ (دار المعارف – القاهرة سنة١٩٩٣م) ص ٣٢٢ .

(٧١) ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٧٢) ص ١٧٦ .

(٧٣) الشعر والشعراء جـ١ ص ٤٢٠ .

(٧٤) الإصابة جـ٤ ص ٥٠٨ .

ويرى، ويعلم ما يدور فى ملكه ، ويتصرف - كما يشاء - فيه . ومن نماذجه قول القعقاع بن عمرو :

حَتَّى إذا ماتُوا دَعَوْتُ جَاهداً
اللهَ ربِّى واحْتَرَزْتُ عامِدا. (٧٥)

وفيه لا يدعو الله فحسب ، وإنما يجتهد - على حد تعبيره - في الدعاء . وقول عبد الله بن رواحة :

لكنَّنى أَسْأَلُ الرَّحْمنَ مَغْفِرةً ... وضَرْبَةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا

. . . .

حتَّى يُقالَ إذا مَرُّوا على جَدَثِى ... أَرْشَدَهُ اللهُ من غازٍ وقد رَشَدا. (٧٦)

فيسأله عز وجل أن يغفر له ، وأن يختم له حياته - تلك التي كانت حافلة بالجهاد- بالشهادة ، وما أعظمها نهاية لفارس مثله أرشده الله . ولكعب بن مالك في داليته التى قالها يوم الخندق :

لِنُظْهِرَ دِينَكَ اللهُمَّ إنَّا ... بكَفِّكَ فاهْدِنا سُبُلَ الرَّشادِ. (٧٧)

وهو دعاء بالهداية إلى الطرق التى ترضى الله عنه ؛ طرق الرشاد ، لينشر دينه فى الآفاق . ولابن أحمر الباهلى :

إليكَ إلهَ الحقِّ أَرْفَعُ رَغْبَتى ... عِياذاً وخَوْفاً أن تُطيلَ ضَمانِيا

فإنْ كانَ بُرْءاً فاجْعَلِ البُرْءَ نِعْمَةً ... وإنْ كانَ فَيْضاً فاقْضِ ما أنتَ قاضِيا

لقاؤكَ خيرٌ من ضمانٍ وفِتْنَةٍ ... وقد عِشْتُ أيَّاماً وعِشْتُ لياليا. (٧٨)

---

(٧٥) شعراء إسلاميون ص ٣٣ .

(٧٦) السيرة النبوية م٢ ص ٣٧٤ ، والاستيعاب ص ٨٩٨ ، وتاريخ الطبرى جـ٣ ص ٣٩ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٦٨٧ ، ونهاية الأرب جـ ١٧ ص ٢٧٨ ، وشعر الدعوة ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٧٧) السيرة النبوية م٢ ص ٢٦٦ .

(٧٨) الشعر والشعراء جـ١ ص ٣٥٦ .

وكان قد « عمر تسعين سنة وسُقى بطنُه فمات » ، وهو مما قاله في مرضه ، يستغيث الله فيه ويلوذ إليه ، في صورة « رغبة ، ورجاء » ، فإن كان الشفاء فليكن الشفاء نعمة ، وإن كان الفيض أو الموت فليقض الله ما يشاء(٧٩).

٧ – ويشمل الباب الثالث من أبواب التوحيد « الأسماء والصفات » ، وقد أثبتوا فيها لله ما أثبته لنفسه في القرآن الكريم ، دونما تعطيل أو تأويل ؛ فسموه كما سمى نفسه « الله » وهو أكثرها دوراناً وشيوعاً في شعرهم ، وكان هذا الاسم موجوداً من قبل في الشعر الجاهلي (٨٠) ، و « الرحمن » (٨١) و « الرحيم » (٨٢) ،و « الجليل » (٨٣) ، و«العزيز» (٨٤) ،و« الرازق» (٨٥) ،و« الرزاق» (٨٦)،و« العلى» (٨٧) ،و« الواحد»(٨٨) ،

---

(٧٩) وانظر – فيما يتعلق بالدعاء – نماذج أخرى في : وقعة صفين ص ٣٢٠ ، والبداية والنهاية م٣ ص ٥٦٩، وشعر الدعوة ص ١٨٢ .

(٨٠) ديوان حسان بن ثابت ص ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٥٧ ، وديوان النابغة الذبياني ص ٥٦ ، وديوان دريد بن الصمة ص ١١٥ ، ١٦٥ ، والأصنام ص ٣٣ ، ٥٠ ، والاستيعاب ص ٣٦٤ ، ٦٦٠ ، ١٥١٥ ، والشعر والشعراء جـ١ ص ١٨٤ ، ٢٦٩ ، ٤١٩ ، وعيار الشعر ص ٣٧ ، ونسب قريش ص ٣١ ، ومختار الأغاني جـ٦ ص ٩٠ ، ٢٢١ ، والعمدة جـ١ ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، جـ٢ ص٧١ ، وطبقات فحول الشعراء م١ ص ٦٠ ، والطبقات الكبرى م١ ص ١٤٦ .

(٨١) وهو أيضاً مما استخدمه الشعراء في الجاهلية اسماً لله (تفسير ابن كثير جـ١ ص٢١) . ومن أمثلته في شعر الصدر – وهو يلي في الشيوع والدوران اسم « الله » – : ديوان حسان ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ٢٨٤ ، ٣٧٨ ، ٣٩٠ ، والسيرة النبوية م١ ص ٤٧٣ ، م٢ ص ٤٨٠ ، والاستيعاب ص ١٨٢ ، ٨٩٨ ، وأنساب الأشراف جـ١ ص ٢٦٨ ، وتاريخ الطبري جـ٣ ص ٣٠٤ ، وكتاب الردة ص ٢٣٢ ، والإصابة جـ٥ ص ٦٥ ، جـ٦ ص ٩٣ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٢٠٢ ، م٣ ص ٨٧٦ ، والمستطرف ص ٥٢٦، والموشح ص ٥٤ ، وشعر الدعوة ص ٢٨٣ ، ٤٨١ .

(٨٢) البداية والنهاية م١ ص ٧٩٦ ، وشعر الدعوة ص ٢٨٢ .

(٨٣) ديوان حسان بن ثابت – ت . د . سيد حنفي حسنين – ص ١١١ ، والإصابة جـ١ ص ٦٠٣ .

(٨٤) ديوان حسان بن ثابت – ت . د . سيد حنفي حسنين – ص ٣٠٢ ، والسيرة م٢ ص ٢٦٢ ، والإصابة جـ٤ ص ٤٠ ، ومن الضائع من معجم الشعراء ص ٩٠ .

(٨٥) السيرة النبوية م١ ص ٤٥٣ ، وأسد الغابة جـ٣ ص ٧٠٤ ، والبداية والنهاية م٢ ص ١٩٦ ، وتاريخ الإسلام م ١ ص ١٣٩ ، وشعر الدعوة ص ٤١ .

(٨٦) كتاب الردة ص ١٩٦ .

(٨٧) السيرة النبوية م١ ص ٤٥٣ ، وأسد الغابة جـ٣ ص ٧٠٤ ، والبداية والنهاية م٢ ص ١٩٦ ، وتاريخ الإسلام م ١ ص ١٣٩ ، وشعر الدعوة ص ٤١ .

(٨٨) ديوان حسان بن ثابت – ت . د . سيد حنفي حسنين – ص ١٦١ .

و « الأحد » [89] ، و « الخالق » [90] ،و « الصمد » [91] ،و « الحسيب » [92] ، و«المهيمن » [93] ،و « البارئ » [94] ،و « ذو الإجلال والإكرام » [95] . . . إلى آخر هذه الأسماء [96] .

ووصفوه بالعلم ، وعلمه تعالى - ولم يخوضوا فيما سوف يخوض فيه الشعراء فيما بعد متأثرين بالفلسفة وعلم الكلام - علم يليق بذاته ، كسائر الصفات التى قد يتشابه ظاهرها مع ما يوصف به العباد ، انطلاقاً من القاعدة التي تقول « كما أنَّ لله ذاتاً لا تشبهها الذوات ، فكذلك صفاته لا تشبهها الصفات » ، وهى المستمدة من قوله تعالى « ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [97] ، فأثبت السمع والبصر ، ولكن فى إطار « ليس كمثله شىء » ؛ فسمعه لا يشبه سمعنا ، وإنما هو سمع يليق بعظمته وجلاله ، ولا يدرك كيفيته إلا الله ، وكذلك بصره ، وعلمه ، وإرادته ، وقدرته ، وكلامه ، ويده ، وغيرها - مما قد خلعوه عليه تأسياً بالقرآن الكريم - من الصفات .

وفى علمه يقول أبو الأسود :

---

(٨٩) المصدر نفسه والصحيفة .

(٩٠) المصدر نفسه والصحيفة ، وكتاب الردة ص ١٩٦ ، وشعر الدعوة ص ١٠٣ .

(٩١) ديوان حسان ص ١٦١ .

(٩٢) المصدر نفسه ص ٢٤٢ .

(٩٣) الإصابة جـ٥ ص ١٠٨ ، وشعر الدعوة ص ٣٤٥ .

(٩٤) شعر الدعوة ص ١٠٣ .

(٩٥) الإصابة جـ٥ ص ٥٥٤ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٢٧٠ ، ونهاية الأرب جـ ١٨ ص ١٤٨ ، وشعر الدعوة ص ٥٣٢ .

(٩٦) ومنها كذلك : « المليك » و « الوهاب » و « الواسع » ونحوها : (ديوان حسان ص ١٠٥ ، ١٣٥ ، ٣٨٤ ، والإصابة جـ٤ ص ٣٥٩ ، وكتاب الردة ص ١٩٦ ، والسيرة النبوية م١ ص ٤٥٣ ، والبداية والنهاية م٢ ص ١٩٦ ، وأسد الغابة جـ٣ ص ٧٠٤ ، وشعر الدعوة ص ٤١ ، ٤٤٣) .

(٩٧) الشورى - من الآية ١١ .

وكنتُ امرأً – والعلم لله – لا أرى أخي وخَلِيلِي كالبَعِيدِ أُخالِبُهْ.(٩٨)

وهو يجيء – كعادته – فى ثنايا جملة معترضة ، لا تزيد عن إثبات هذه الصفة لله، وقد تطول قليلاً – وإن ظلت فى سياق الاعتراض – مع تخصيصها أو الوقوف عند زاوية واحدة منها هى ما يتعلق بأمور الناس ؛ كما فى قوله :

وكلُّ امْرِئٍ – واللهُ بالنّاسِ عالِمٌ له عادَةٌ قامتْ عليها شمائلُهْ.(٩٩)

وفى إثبات هذه الصفة كذلك لله يقول النمر بن تولب :

يُرِيدُ خِيانَتِى وَهْبٌ وأَرْجُو من اللهِ البَراءَةَ والأمَانا

فإنَّ اللهَ يَعْلَمُنِى ووَهْباً ويَعْلَمُ أنْ سَنَلْقاهُ كِلانا.(١٠٠)

وقد حرص على تأكيدها بـ « إن » والاسمية ، وأتى بها في هيئة الفعل . وفى مجيئها على تلك الهيئة نجد قول خفاف بن ندبة – وهو مما نسب له ولغيره – :

اللهُ يَعْلَمُنِى واللهُ يَعْلَمُكُمْ واللهُ يَجْزِيكُم عَنِّى ويَجْزِينِى.(١٠١)

فالله يعلم حقيقته – لا ظاهره فحسب – ويعلم حقيقة هؤلاء ، وبمقتضى هذا العلم سوف يكون الجزاء . وقول عبد الله بن رواحة :

إنِّى تَفَرَّسْتُ فِيكَ الخَيْرَ أعْرِفُهُ واللهُ يَعْلَمُ أنْ ما خانَنِى البَصَرُ.(١٠٢)

وفيه يمدح رسول الله ﷺ ، ويكل العلم بعدم خيانة بصره إلى الله ، فهو الذى ﴿يعْلَمُ خَائنةَ الأعْيُنِ وما تُخفِى الصُّدُورُ﴾ (١٠٣) . وقول آخر من كندة :

---

(٩٨) ديوان أبى الأسود الدؤلى ص ٧٠ .

(٩٩) المصدر نفسه ص ١٢٤

(١٠٠) شعراء إسلاميون ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

(١٠١) المصدر نفسه ص ٥٢٤ .

(١٠٢) الاستيعاب ص ٩٠٠ ، والسيرة النبوية م٢ ص ٣٧٤ ، وتاريخ الإسلام م١ ص ٤٤٧ ، وشرح النهج جـ٣ ص ٦٠٩ ، وشعر الدعوة ص ٣٦١ .

(١٠٣) غافر – آية ١٩ .

إنْ تُمْسِ كِنْدَةُ ناكِثِينَ عُهُودَهم ... فاللهُ يَعْلَمُ أنَّنا لم نَنْكُثِ
واللهُ يَعْلَمُ أنَّنا لم نَألُهُمْ ... نُصْحاً ومَنْ يَحْلِفْ بها لم يَحْنَثِ.(١٠٤)

وهو من شعر الثبات على الإسلام فى زمن الردة ، ولأن الإيمان مما يناط أساساً بالقلب فقد أسند العلم به إلى الله ، الذي يعلم الباطن ، كما يعلم الظاهر ، ويعلم السر والضمير . وفى علم السرائر يجيء قول الآخر :

وأَعْلَمُ أنَّ اللهَ ليسَ كَصُنْعِهِ ... صَنيعٌ ولا يَخْفَى على اللهِ مُلْحِدُ.(١٠٥)

وهو مما نسب إلى عثمان رضى الله عنه . وينسب إلى على كرم الله وجهه :

ودَعِ التَّواضُعَ فى الثِّيابِ تَخَشُّعاً ... فاللهُ يَعْلَمُ ما تُجِنُّ وتَكْتُمُ
فرَثَاثُ ثَوْبِكَ لا يَزِيدُك زُلْفَةً ... عندَ الإلهِ وأنْتَ عَبْدٌ مُجْرِمُ

وهو ينظر فيه إلى قول النبى ﷺ « إنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ ولا إلى ثِيابِكُمْ ، وإنَّما يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأعْمَالِكُمْ » (١٠٦) وفى شعر لبيد :

كُلُّ شَيءٍ أَحْصَى كِتَاباً وعِلْماً ... ولَدَيْهِ تَجَلَّتِ الأسْرارُ.(١٠٧)

وللعباس بن مرداس :

رِضا اللهِ نَهْوَى لارِضا النَّاسِ نَبْتَغِي ... وللهِ ما يَبْدُو جَمِيعاً وما يَخْفَى.(١٠٨)

فلا يقف علم الله – كما هى الحال بالنسبة للبشر – عند حد الظاهر ، وإنما يمتد إلى « ما يخفى » ؛ فيعلم الغيب ، ويعلم كذلك ما سوف يكون . ولايحتاج علم الله عز وجل إلى الأسباب كعلمنا ، فهو كما يقول صرمة بن أبى أنس الأنصارى « يهتدى بغير سؤال » (١٠٩).

---

(١٠٤) كتاب الردة ص ٢٧٢ .

(١٠٥) جمهرة أشعار العرب ص ٢٩ .

(١٠٦) البداية والنهاية م٤ ص ٤٨٧ . والبيتان ليسا فى ديوانه .

(١٠٧) ديوانه ص ٧٩ ، وشعر الدعوة ص ١٤٥ .

(١٠٨) السيرة النبوية م٢ ص ٤٦٦ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٨٠٤ ، وشعر الدعوة ص ٢٩٥ .

(١٠٩) السيرة النبوية م١ ص ٥١١ ، والبداية والنهاية م٢ ص ١٨٦ ، وشعر الدعوة ص ٥٣٥ .

ومما جاء على هيئة التفضيل - لا الفعل - قول ضرار بن الأزور :

أُجـاهِدُ إذ كـانَ الجِـهـادُ غَنِيـمَـةً ولَلَّهُ بالمَـرْءِ المُجـاهِـدِ أعْلَمُ. (١١٠)

لكنه التفـضيل على الإطلاق ، وهو الذى يجىء دونما ذكر للمفـضل عليه ؛ إذ لا مجال ولا حاجة - ههنا -أصلاً إليه .

٨ - ويصفونه - فيما يصفونه - بالسمع والإبصار ؛ وفى شعر حسان بن ثابت :

وقُلْتُـمْ لن نُرَى واللهُ يُبْـــصِــرُكُمْ وفِيكُمْ مُحْكَمُ الآياتِ والقِيلِ. (١١١)

فالمنافقـون - وفيهم قاتل قـد أحكم إخفاء فعلتـه - يظنون - وقد تواروا عن أعين الناس - أن أحداً لن يراهم ، لكن الله - كما يعتقد المؤمنون - يراهم ؛ فهو «البصير».

ولعبد الله بن جحش - كما جزم ابن هشام - :

تَعُـدُّونَ قَتْـلاً فى الحَـرامِ عَظِيمـةً وأَعْظَمُ منه لو يَرَى الـرُّشْدَ راشِـدُ

صُـدُودُكمُ عَـمَّـا يَقولُ مُـحَـمَّـدٌ وكُـفْرٌ به واللهُ راءٍ وسـامِعُ. (١١٢)

فصنيعهم لا يخـفى - وهو « راء وشاهد » - عليه . ولأن الله يرى الإنسان على كل حال فقد وجدنا الضحاك بن سفيان يستحى أن يراه على معصية ، ولو كانت الخروج عن طاعة الخليفة ومناصبته العداء :

وإنِّى لأَستَـحْـيى من اللهِ أنْ أُرَى على كُلِّ حالٍ ناصِباً لأبى بَكْرِ. (١١٣)

ويجىء السمع - وهو قرين البصر -فى قول كعب بن مالك :

أَبَى اللـهُ مــا مَنَّتْكَ نَـفْــسُكَ إنَّه بِمِرْصادِ أَمْـرِ النَّاسِ راءٍ وسامِعُ. (١١٤)

وأكثر ما يجىء السمع إنما يجىء مقترناً بالبصر على هذا النحو ، وقد تكررت العبارة

---

(١١٠) تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٢٩٧ ، والبداية والنهاية م٣ ص ٨٧٤ .

(١١١) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ٣٠٢ .

(١١٢) السيرة النبوية م١ ص ٦٠٥ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٢٩٤ ، وشعر الدعوة ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(١١٣) كتاب الردة ص ١٢٠ .

(١١٤) السيرة النبوية م١ ص ٤٤٥ ، والبداية والنهاية م٢ ص ١٩١ ، وشعر الدعوة ص ٣٣ .

نفسهـا « والله راء وسامع » فى شعر كـثير منهم (١١٥) ، كما اقترن اسـما «السميع» و «البصير » فى غير ما موضع من القرآن الكريم (١١٦).

وبمقتضى هاتين الصفتين كـان وصفهم له كذلك بأنه – على طريقة السلب – «ليس غافلاً » ؛ وفى رثاء كعب بن مالك لعثمان بن عفان :

فـكَـفَّ يَـدَيْـهِ ثُمَّ أَغْـلَـقَ بـابَـهُ وأَيْقَنَ أنَّ اللهَ لَـيسَ بغـافِلِ. (١١٧)

فهـو يرى ويسمع ويعلـم ما يدور ، لا يشغـله أمر عن أمر ، ولا يدركـه النوم أو السهو أو غيرهما مما يدرك الإنسان . وهو مـا يؤكده – فى إطار موازنة – حميد بن ثور حين يقول :

أَحـاوَلْـتُمُ كـيـمـا يُطِلُّوا دِمـاءنا وإنْ تَغْفُلُوا فاللهُ ليسَ بغافِلِ. (١١٨)

فإن أدركت الإنسان الغفلة فإنه مما لا يليق بالله . ولعمار بن غيلان الثقفى :

حَلَفْتُ لـهم بما يَقُـولُ مُـحَـمَّـدٌ وباللهِ إنَّ اللـهَ ليسَ بغـافِلِ. (١١٩)

وهو يجىء مؤكداً بأكثر من وسيلة من وسائل التأكيد .

ويصفونه كذلك بالإرادة ؛ يقول أبو الدرداء :

يُـرِيـدُ المَـرْءُ أنْ يُـؤْتَـى مُـنـاهُ ويَأْبَـى اللهُ إلاَّ مـا أرادا. (١٢٠)

فما أراده كان ، وما لم يرده لم يكن . و« المشيئة » ، وهى مشيئة نافذة :

---

(١١٥) انظر على سبيل المثال : السيرة النبوية م٢ ص ٢٦٣ ، وشعر الدعوة ص ٢٢٢ .

(١١٦) الحج ٦١ ، ٧٥ ولقمان ٢٨ ، وغافر ٢٠ ، ٥٦ ، والشورى ١١ ، والمجادلة ١ .

(١١٧) ديوانه – ت . د . سامى مكى العانى – ص ٢٦٤ .

(١١٨) الوحشيات ص ٧٨ .

(١١٩) الإصابة جـ٤ ص ٤٧٢ . وفى لامية أبى طالب الشهيرة يجىء قوله فى النبى :

حَلِيمٌ رَشِيدٌ عادِلٌ غيرُ طائشٍ يُوالِى إلهاً ليسَ عنه بغافِلِ.

الحماسة البصرية جـ١ ص ١١٨ . وقد مات أبو طالب – كما هو معروف – على الشرك .

(١٢٠) الاستيعاب ص ١٦٤٨ ، وتفسير ابن كثير جـ١ ص ٤٠ .

فـــقلت لهـــا مـــا يَـشْـرِبُ بَمَـظَنَّةٍ وما يَشَـأ الرَّحْمنُ فالعَـبْدُ يَرْكَبُ.(١٢١)

فما شاءه كذلك كان ، وليس للعبد إلا ما شاء له . ويقول لبيد :

أَحْـــــمَــــدُ اللـهَ فـــلا نِـدَّ له بيَـدَيْه الخَيْـرُ مـا شاءَ فَـعَلْ.(١٢٢)

« ما شاء » كل ما شاء ، لا شىء يحول دون نفاذ مشيئته ، فهو - وله الحمد - «لا ند له » ولا شريك . يقضى - كما يقول عبد الله بن بديل - « ما يشاء ويفعل»(١٢٣).

و« القدرة » :

عَـجِـــبْتُ لأَمْـرِ اللهِ والـلـهُ قـادرٌ على ما أرادَ ليـسَ للهِ قاهرُ.(١٢٤)

وفـيه يشـير كـعب بن مالك إلى انتـصار المسلمـين يوم بدر - على الرغم من قلة عددهم وعتادهم - فـيرجع ذلك إلى قدرة الله وإرادته ، فهو سبـحانه وتعالى « قادر » على ما أراد ، ولا قاهر له يملك رد إرادته أو يعـجزه . وهؤلاء الذين فروا يوم فروا من طاعون عمواس لن يعجزوا الله - كما يقول آخر - بفرارهم :

لنْ يُعْـــجِـزُوا اللـهَ على حِـمَـــارِ ولا عـلى ذى غُـــــــــــرَّةٍ مُطـارِ

قـد يُصْبِحُ المـوتُ أمامَ السَّـارِى.(١٢٥)

فإن أراد المـوت لهم ، فهل يعـجزونه - وهو القـادر - عن تحقـيق إرادته بمثل هذا الصنيع ؟ وأين - كمـا يقول معاذ بن يزيد بن الصعق - « الفـرار من الله » وهو الغالب الذى لا يغلب ؟

بنى عـــــامِـــرٍ أينَ أينَ الـفِـــرارُ من الـلهِ واللـهُ لا يُغْـلَبُ ؟(١٢٦)

وكان بنو عامر - قومه - قد هموا بالردة ، فذكرهم بقدرة الله ، وأنه تعالى محيط

(١٢١) أنساب الأشراف جـ١ ص ٢٦٨ ، والسيرة النبوية م١ ص ٤٧٣ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٢٠٢ ، وشعر الدعوة ص ١٠٠ .

(١٢٢) ديوان لبيد ص ١٣٩ .

(١٢٣) الإصابة جـ٤ ص ١٩ ، والاستيعاب ص ٨٧٢ ، وتاريخ الإسلام م٢ ص ٢١٤ .

(١٢٤) السيرة النبوية م٢ ص ١٤ ، والبداية والنهاية م٣ ص ٣٩١ ، وشعر الدعوة ص ٢٣٩ .

(١٢٥) تاريخ الطبرى جـ٤ ص ٦٣ .

(١٢٦) الإصابة جـ٦ ص ٢٣٧ ، وشعر الدعوة ص ٣٤٤ .

بهم . لقد أبى الله إلا أمره :

فـخـانُوا وقـد أَعْطَوْا يَداً وتَخـاذَلُوا أَبَى اللهُ إلاَّ أَمْرَهُ وهو أَصْنَعُ.(١٢٧)

وهو « بالغ أمره » بقدرته (١٢٨) ، وقدرته « هى القدرة » (١٢٩).

٩ - ويصفونه بـ « الحياة » :

قـلتُ يـا مـــــالِ إنَّ ربَّكَ حَـيٌّ فاعْبُـدَنْهُ ودِنْ بدِينِ الرَّسُولِ.(١٣٠)

وهى حياة دائمة لا يعتريها كما يعترى حياة الآخرين الموت :

فـــاللـهُ حَيٌّ لا يَمُـــوتُ ودِينُـنا دِينُ النَّبِيِّ وللرِّجالِ مَـصارِعُ.(١٣١)

فيقرنون بينها غالباً وبين البقاء والخلود (١٣٢). و« الكلام » ، وفيه يقـول سهيل بن عدى وقد أشار إلى حادثة المعراج :

إلى رَبِّ الـسَّـــمـــاءِ دَنا عُـلُوّاً وخـاطَبَـهُ شِفـاهاً بالمَقَـالِ.(١٣٣)

وهو ما يقتضيه الخطاب والمخاطبة إن كان الضـمير المستتر فى « خاطبه » يعود على النبى ، أما إن كان يعود على الله فهو صريح فى إثبات الكلام له . و « العلو » ؛ وفيه يقول حسان :

شَـهِــدْتُ بإذْنِ اللهِ أنَّ مُـحَـمَّــداً رَسُولُ الذى فَوْقَ السَّمواتِ من عَلُ.(١٣٤)

---

(١٢٧) السيرة النبوية م٢ ص ١٣٥ .

(١٢٨) شعر الوليد بن عقبة (نشره د . نورى حمودى القيسى فى الجزء الثالث من كتابه « شعراء أمويون » - المجمع العلمى العراقى - بغداد سنة ١٩٨٢م) ص ٥٢ .

(١٢٩) كتاب الردة ص ١٥٣ .

(١٣٠) الإصابة جـ٥ ص ٢٩٢ .

(١٣١) كتاب الردة ص ١٤٩ .

(١٣٢) الحماسة البصرية جـ٢ ص ٤٢٥ ، وبهجة المجالس جـ٢ ص ٣٤٠ ، ونسب قريش ص ٢٠٨ .

(١٣٣) فتوح الشام جـ٢ ص ٢٦٣ ، وشعر الدعوة ص ١٨٥ .

(١٣٤) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ٣٥٠ .

فشهد له بالفوقية ، وجعله - على حد تعبيره - « فوق السموات » . وللعباس بن مرداس :

تَعـالَى عُلُوّاً فـوقَ عَـرْشٍ إلهُنا ... وكانَ مكانُ اللهِ أَعْلَى وأَعْظَما . (١٣٥)

فقد أشار إلى « العرش » ، وبه يوصف كذلك فى شعر كثير ؛ منه قول مالك بن نمط الهمدانى :

بأنَّ رَسُـولَ الـلهِ فِـينا مُـصَـدَّقٌ ... رَسُولٌ أَتَى من عندِ ذى العَرْشِ مُهْتَدِى . (١٣٦)

وقول كعب بن مالك :

وشَيْـبَةَ والتَّيْـمِىَّ غادَرْنَ فى الوَغَى ... وما منهمُ إلا بذِى العَـرْشِ كافِرُ . (١٣٧)

وصفية بنت عبد المطلب - أو حسان بن ثابت ، على اختلاف فى النسبة - :

دَعـاهُ إلهُ الحَقِّ ذو العَـرْشِ دَعْـوةً ... إلى جَنَّةٍ يَحْيَـا بها وسُرُورِ . (١٣٨)

وفى شعر حسان :

شَقَّ له مـن اسْـمِـهِ لِيُـعِـزَّهُ ... فذو العَرْشِ مَحْمُودٌ وهذا مُحَمَّدُ . (١٣٩)

إلى آخر هذه الأبيـات التى قلما يخـرجون فيـها عن هذا التركـيب الإضافى « ذو

---

(١٣٥) العقد الفريد جـ١ ص ٢٨٤ ، وشعر الدعوة ص ٣٥٢ . وفى إثبات هذه الصفة كذلك لله - من خلال أشعارهم - راجع : شعر عبد الله بن الزبعرى ص ٥٠ ، والإصابة جـ١ ص ٢٤٣ ، وأسد الغابة جـ١ ص ١٤١ ، ووقعة صفين ص ٣٦٢ ، وشعر الدعوة ص ١٧٤ ، ١٨٥ .

(١٣٦) السيرة النبوية م٢ ص ٥٩٩ ، والإصابة جـ٥ ص ٥٥٩ ، وأسد الغابة جـ٤ ص ٢٥٨ ، وشعر الدعوة ص ٥٦ .

(١٣٧) السيرة النبوية م٢ ص ١٥ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٣٩١ .

(١٣٨) السيرة النبوية م٢ ص ١٦٧ ، وشعر الدعوة ص ٤٥٠ ، وهو - من قصيدة - بديوان حسان ص٢١٩ .

(١٣٩) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ٣٣٨ . وقد جاء هذا الوصف فى شعر آخرين ؛ كخبيب بن عدى (السيرة النبوية م٢ ص ١٧٦ ، وشعر الدعوة ص ٧٦) ونتيلة (أنساب الأشراف جـ١ ص ٩٠) وعمر بن الخطاب (شعر الدعوة ص ٦٦) وخالد بن الوليد (فتوح الشام جـ١ ص ٢١ ، وشعر الدعوة ص ١٣٠) .

العرش » – أو ربه وإلهه – ليفصلوا فى معنى هذا التركيب ، وقد نجد شيئاً من التفصيل – ولكن على حذر – فى قول لبيد :

سَوَّى فأغْلَقَ دُونَ غُرَّةِ عَرْشِهِ ... سَبْعاً طِباقاً فوقَ فَرْعِ المَنْقَلِ.[١٤٠]

وهو غير واضح تمام الوضوح ، فما غرة العرش ؟ هل هى نور يشبهه بالغرة على سبيل التصوير ؟ أم يعنى مقدمته ؟ أم شيئاً آخر – وهو ما أرجحه – لا نستطيع الوصول إليه ؟ وكيف أغلقت السموات السبع دونه ؟ وإن فُسِّرَ « المنقل » بظهر الجبل – كما فعل صاحب شعر الدعوة الإسلامية[١٤١] – فما علاقته بهذا كله ؟

ويجىء التفصيل على نحو أوضح فى قول عبد الله بن رواحة :

شَهِدْتُ بأنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ... وأنَّ النَّارَ مَثْوَى الكافِرِينا

وأنَّ العَرْشَ فوقَ الماءِ طافٍ ... وفوقَ العَرْشِ رَبُّ العالَمِينا

وتَحْمِلُهُ ثَمانِيَةٌ شِدادٌ ... ملائكةُ الإلهِ مُقَرَّبِينا.[١٤٢]

وهو مما سمعه – إن صحت الرواية – النبى ﷺ « ولم يغير عليه » ، وفيه يثبت لله فوقية أو علواً على العرش ، ويشير إلى كونه « فوق الماء » ، ويذكر الملائكة الثمانية التى تحمله ، مفيداً فى هذا كله بقول الله عز وجل : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[١٤٣] ، وقوله : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[١٤٤].

وفيما رُثِى به سعد بن معاذ رضى الله عنه نجد إشارة صريحة إلى اهتزاز العرش لموته ؛ يقول أحد الأنصار :

---

(١٤٠) ديوانه ص ١٢٦ .

(١٤١) ص ١٤١ .

(١٤٢) كتاب الأمالى لأبى عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى (عالم الكتب – بيروت ، ومكتبة المتنبى – القاهرة – بدون تاريخ) ص ١٠٢ ، والاستيعاب ص ٩٠٥ ، وتاريخ الإسلام م ١ ص ٤٥٦ .

(١٤٣) هود – من الآية ٧ .

(١٤٤) الحاقة – من الآية ١٧ .

وما اهتَزَّ عَرْشُ اللهِ من مَوْتِ هالِكٍ سَمِعْنا به إلا لسَعْدِ أَبِى عَمْرِو.(١٤٥)

والعرش مخلوق ، يسرى عليه ما يسرى على سائر المخلوقات ، وقد صح الحديث فيه عن رسـول الله ﷺ ، وجاء من طرق كثيرة متـواترة ، بما لا يدع مجالاً لإنكاره ، وإن أوَّلَهُ بعضهم - استبـعاداً منهم لاهتزاز العرش على الحقيقة ، فـقال السهيلى بعد أن أشار إلى ثبوت الحديث من وجـوه : « وقد تكلم الناس فى معناه ، وظنوا أنه مشكل ، وقال بعضهم : الاهتزاز ههنا بمعنى الاستبشار بقدوم روحه ، وقال بعضهم : يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعاداً منهم لأن يهتـز العرش على الحقيقة ، ولا بُعْدَ فيه ؛ لأنه مخلوق وتجـوز عليه الحركة والهزة ، ولا يُعْدَلُ عن ظاهر الـلفظ ما وُجِدَ إليه سبيل . وحديث اهتزاز العرش لموت سعـد صحيح ، قال أبو عمر : هو ثابت من طرق متواترة ، وما رُوِىَ من قول البراء بن عازب فى معناه إنه سرير سعد اهتز لم يلتفت إليه العلماء ، وقالوا كـانت بين هذين الحيين من الأنصار ضغـائن ، وفى لفظ الحديث اهتز عرش الرحـمن ، رواه أبو الزبير عن جابر يرفـعه ، ورواه البخـارى من طريق الأعمش عن أبى صالح وأبى سفـيان كلاهما عن جابر يرفـعه ، ورواه من الصحابة جماعـة غير جابر ؛ منهم أبو سعـيد الخدرى ، وأسيد بن حـضير ، ورميثة بنت عـمرو . ذكر ذلك الترمذى » (١٤٦) . وقد أشرت إلى هذا فى دراسة لى سابقة (١٤٧).

١٠ - ومما أولته المعتـزلة « اليد » ، فقالوا المقصـود بها - حين تنسب إلى الله فى مثل قوله : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ - وصفـه عز وجل بـ « القـدرة » ، ونفتـها عنه - خشـية التـشبـيه - طوائف أخـرى ، ووجدنا الشـعراء فى الصـدر يصفون بهـا - على طريقتهم فى سـائر الصفات - الله ، وصفاً يتطابق مع مـا جاء فى القرآن دونما تأويل أو نفى ، بل لا يزيدون - فيما اطلعت عليه - عن قولهم « يد الله » ، أما حقيقة هذه اليد فلا نجد لديهم أى نوع من التفسير يقدمونه عنها .

---

(١٤٥) السيرة النبوية م٢ ص ٢٥٢ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٥٥٦ ، والكامل للمبرد جـ٢ ص ٣٧٥ .

(١٤٦) الروض الأنف جـ٣ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(١٤٧) شعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى ١ - فى صدر الإسلام - ص ٥٦ .

وممن ذكرها فى شعره العباس بن مرداس ؛ حيث يقول :

نُبـــايعُـهُ بالأَخْـشَـبَـيْنِ وإنَّـمـا   يَدُ اللهِ بينَ الأَخْشَبَيْنِ نُبايعُ.(١٤٨)

وقد تأثر فيه بقول الله عز وجل : ﴿ **إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ (١٤٩). وفى ديوان الشماخ - وهو مما اختلف فى نسبته ، بينه وبين أخيه جزء ، وذكر بعضهم أنه مما ناحت به الجن على عمر بن الخطاب - :

جَزَى اللهُ خَيْـراً من أميرٍ وباركَتْ   يَدُ اللهِ فى ذاكَ الأَدِيمِ المُمَـزَّقِ.(١٥٠)

أما كعب بن مالك فقد سمح لنفسه بالتزحزح قليلاً عن هذا التركيب « يد الله » ، ليذكر جزءاً من اليد - أو مرادفاً فى فهم آخر له - وهو الكف ، فقال :

لَـنُظْـهِـــــرَ دِينَـكَ اللـهُـمَّ إنَّـا   بكَفِّكَ فاهْدِنا سُـبُلَ الرَّشادِ.(١٥١)

ووصفوه تبارك وتعالى بصفات أخرى كثيرة،ونسبوا إليه أفعالاً ترتبط بتلك الصفات -مما قد يضيـق المجال عن ذكره تفصيـلاً، فنكتفى فيه بالإشـارة، خشية الإسـهاب-وكلها تعكس مـا كـانوا يعـتـقـدونه فى الله من الكمـال؛ كـالرحـمـة(١٥٢)، والخلق(١٥٣) ،

---

(١٤٨) السيرة النبوية م٢ ص ٤٦٣ ، والاستيعـاب ص ٧٤٣ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٨٠٣ ، وشعر الدعوة ص ٢٩٦ .

(١٤٩) الفتح - آية ١٠ .

(١٥٠) ديوان الشمـاخ بن ضرار الـذبيانى - ت . د . صـلاح الدين الهـادى (دار المعـارف - القـاهرة سنة ١٩٦٨م) ص ٤٤٨ .

(١٥١) السيرة النبوية م٢ ص ٢٦٦ .

(١٥٢) السيرة النبوية م٢ ص ١٨٨ ، والاستيعاب ١٢٩٦ ، ١٨٩٠ ، وأسد الغابة جـ٤ ص ٥٠٣ ، وتاريخ الطبرى جـ٢ ص ٥٣٣ ، والشعر والشعراء جـ٢ ص ٧٢٨ ، وشعر الدعوة ص ٥٨ ، ٥٤٩ .

(١٥٣) ديوان حسان ص ٣٣٩ ، وديوان الحطيئة ص ٢٨٢ ، وأمـالى ابن دريد ص ١٠١ ، والسيرة النبوية م١ ص ٤٣٨ ، والبـداية والنهـاية م١ ص ٦٦٥ ، م٢ ص ١٨٥ ، م٣ ص ٥٦٩ ، وتاريخ الطبـرى جـ٣ ص ٣١٠ ، والعقد الفريد جـ٥ ص ٣٣ ، وشعر الدعوة ص ٦٦ ، ٣٦٢ .

والهداية[١٥٤] ، والرزق [١٥٥] ، والتوفيق [١٥٦] ، والعدل [١٥٧] ، والنصر [١٥٨] ، والإعانة [١٥٩]، والعطاء والإحسان [١٦٠]،والمحاسبة والمجازاة[١٦١] .

(١٥٤) ديوان حسان ص ٣٣٩ ، ٣٧٧ ، وديوان الحطيئة ص ٢٠٣ ، وديوان أبى الأسود الدؤلى ص ٤١ ، وشعر عبد الله بن الزبعرى ص ٣٦ ، وشعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى ص ١٩٠ ، وديوان لبيد ص ١٣٩ ، وشعراء إسلاميون ص ٢٥٥ ، ٦٦٢ ، والسيرة النبوية م١ ص ٤٣٨ ، م٢ ص ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٥٢٧ ، والإصابة جـ١ ص ٤٠٢ ، جـ٥ ص ٣٨٢ ، جـ٦ ص ١٧٨ ، والاستيعاب ص ٧٨٦ ، وأسد الغابة جـ١ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، والطبقات الكبرى م٣ ص ٥٢٧ ، وكتاب الردة ص ٢٠٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣، والبداية والنهاية م٢ ص ١٨٤ ، م٤ ص ٢٦٣ ، والوحشيات ص ٢٢٧ ، والعمدة جـ١ ص ٣١٢، والحماسة البصرية جـ٢ ص ٢٦٣ ، ومن الضائع من معجم الشعراء ص ٣٤ ، ٥٧ ، وشعر الدعوة ص ٤١ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٢١٤ ، ٣٧١ .

(١٥٥) ديوان حسان ص ١٤٧ ، ٣٣٨ ، ٣٥٧ ، وديوان عمرو بن شأس ص ٨٣ ، وديوان الزبرقان بن بدر ص ٤٩ ، ٥٤ ، وديوان أبى الأسود الدؤلى ص ١٠٤ ، ١٣٢ ، وشرح ديوان كعب بن زهير ص ٣٢٨ ، وشعراء إسلاميون ص ٢٣٩ ، ٦١٧ ، ٦٧٤ ، وبهجة المجالس جـ٢ ص ٣١٥ ، والمفضليات ص ١٤٢ ، ١٤٦ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٢٩ ، والبداية والنهاية م٤ ص ٤٨٧ .

(١٥٦) السيرة النبوية م٢ ص ٢٦٢ ، والبداية والنهاية م١ ص ٦٦٨ ، وشرح شواهد المغنى للسيوطى – ت . محمد الشنقيطى (لجنة التراث العربى – القاهرة سنة ١٣٥٦هـ) ص ٢٥٤ ، وشعر الدعوة ص ٢٢٠ .

(١٥٧) السيرة النبوية م٢ ص ١٩٩ ، ٤٥١ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٤٩٤ ، ٧٩٦ ، وتفسير ابن كثير جـ٤ ص ٣٣٤ ، وشعر الدعوة ص ١١٩ ، ٢٦١ .

(١٥٨) ديوان حسان ص ٩٨ ، ١٠٩ ، ١٦٧ ، ٣٤٦ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، وشعراء إسلاميون ص ٥٢٣ ، والسيرة النبوية م ١ ص ٥٩ ، م ٢ ص ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٤٦٩ ، وكتاب الردة ص ١٤٤ ، والإصابة جـ ٤ ص ٣٥٩، وأسد الغابة جـ ٤ ص ٤٨١ ، وتاريخ الطبرى جـ ٣ ص ٢٥٤ ، والبداية والنهاية م ٤ ص ٦٠ ، وتفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٣٤ ، ومن الضائع من معجم الشعراء ص ١٣ ، ٨٠ ، ٩٠ ، وشعر الدعوة ص ٢٣٢ ، ٢٨٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٥ .

(١٥٩) ديوان حسان ص ٧٤ ، وشعراء إسلاميون ص ٥٩ ، والسيرة النبوية م٢ ص ٢٦٢ ، وشعر الدعوة ص ٢٣١ .

(١٦٠) ديوان حسان ص ١٥٧ ، ٣٣٨ ، ٣٧٨ ، وديوان سحيم ص ٦٨ ، وديوان الزبرقان بن بدر ص ٥٤ ، وشعراء إسلاميون ص ٦٣ ، ٢٣٩ ، والشعروالشعراء جـ١ ص ٢٨٨ ، جـ٢ ص ٦٤٤ ، والحماسة البصرية جـ١ ص ٢٨٣ ، وشعر الدعوة ص ٥٣٧ .

(١٦١) ديوان حسان ص ٧٦ ، ٣٣٩ ، ٣٩٤ ، وديوان الحطيئة ص ٢٠٣ ، والزهرة جـ٢ ص ٧٧٠ ، وتاريخ الطبرى جـ٣ ص ٥٤٦ ، وكتاب الردة ص ٢٠٣ ، والعمده جـ١ ص ٢٨٣ ، والإصابة جـ٢ ص ١٥١ ، ٤٨٧ ، والطبقات الكبرى م٤ ص ٦١ ، والعقد الفريد جـ٦ ص ١١٠. ، وشرح شواهد المغنى ص ١٧٨ ، ومن الضائع من معجم الشعراء ص ٣٧ ، وشعر الدعوة ص ٢٧٢ ، ٤٩٧ ، ٥٣٢ .

وهو بعد ليس له عِدْلٌ [١٦٢] ، أو ند [١٦٣] ، أو شبيه أو مثيل [١٦٤] ، قوله الصدق ووعده الحق [١٦٥] ، غـالب على أمـره [١٦٦] ، عظيم أمره أمـر كبـير [١٦٧] ، يعز ويذل [١٦٨] ، ويقبض ويبسط [١٦٩] ، مالك الملك [١٧٠] ، ذو المعالى [١٧١] يختص من عباده من يشاء لما يشاء [١٧٢] ، ويصطفى [١٧٣] ، ويغيث ويستجيب [١٧٤] ، تنزه عن كل نقص ، سبحانه وتعالى [١٧٥] ، وأولى بالظن الجميل [١٧٦] .

---

(١٦٢) السيرة النبوية م٢ ص ٢٥٦ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٥٥٨ ، وشعر الدعوة ص ٢٥٨ .

(١٦٣) ديوان لبيد ص ١٣٩ ، وأمالى المرتضى جـ١ ص ٢١ ، وشعر الدعوة ص ١٤٧ .

(١٦٤) الإصابة جـ٣ ص ٤٢٤ ، وشعر الدعوة ص ٧٢ .

(١٦٥) البداية والنهاية م٤ ص ٤٨٧ ، ووقعة صفين ص ٣٦٢ ، وشعر الدعوة ص ١٧٤ ، ٥٣٩ .

(١٦٦) السيرة النبوية م٢ ص ٢٦١ ، والإصابة جـ٥ ص ١٠٢ ، جـ٦ ص ٢٣٧ ، وشعر الدعوة ص ٣٣٩ ، ٣٤٤ .

(١٦٧) السيـرة النبوية م٢ ص ١٩٩ ، والبدايـة والنهاية م٢ ص ٤٩٤ ، وتفسـير ابن كثـير جـ٤ ص ٣٣٤ ، وشعر الدعوة ص ٢٦٠ .

(١٦٨) ديوان حسـان ص ٣٩٠ ، والأغانى (ط . الشعب) ص ٦٠٣٣ ، وشعر الدعوة ص ٤٧٨ .

(١٦٩) شعراء إسلاميون ص ٥٢٤ ، وكتاب الردة ص ١٩٦ .

(١٧٠) ديوان حسان ص ٢٤٢ ، والإصابة جـ١ ص ٢٤٣ .

(١٧١) الإصابة جـ٥ ص ٩٨ ، وشعر الدعوة ص ٤٩ .

(١٧٢) ديوان حسـان ص ١٠٥ ، وكتاب الردة ص ١٩٦ .

(١٧٣) ديوان حسـان ص ٣٨٠ ، ومراثى النبى – ت . د . محـمد أبو المجد على - ط١ (مكتبـة الآداب - القاهرة سنة ١٩٩٦م) ص ١٣٣ ، ١٤٤ ، ١٥٥ ، ١٤٧ ، ١٥٨ .

(١٧٤) الحماسة البصرية جـ٢ ص ١ ، والبداية والنهاية م٣ ص ٥٦٩ ، وشعر الدعوة ص ٣٦٢ .

(١٧٥) ديوان حسان ص ٣٣٩ ، والإصابة جـ٣ ص ٤٢٤ ، جـ٥ ص ٦٧ ، وتاريخ الطبرى جـ٣ ص ٢٨٢ ، ووقعة صفين ص [illegible] ، ٤٥٣ ، وشعر الدعوة ص ٧٢ .

(١٧٦) البداية والنهاية م٤ ص ٤٨٧ ، وشعر الدعوة ص ٥٣٦ .


المبحث الثالث
الرسل والأنبياء

١- إذا كان الإيمان بالله عزوجل - وجوداً وربوبية وكمال صفات - يشكل المحور الرئيس فى عقيدة الإسلام - والأديان السماوية السابقة من قبل - فإن الإيمان بالرسل والأنبياء ، وما يستتبع ذلك من الكتب والرسالات - هو المحور الذى لا ينفصل بحال عن المحور السابق ؛ فهو الذى يؤدى إليه أولاً ، ويمثل - من ناحية ثانية - ضرورة فى ذاته ؛ فلا يعد مسلماً من آمن بالله ولم يؤمن بنبوة محمد أو أنكر رسالته ، فكان الإيمان به ﷺ صنو الإيمان بالله ، واقترنت من ثم - الشهادتان معاً فى الكلمة الأولى- « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله »-كلمة التوحيد وعنوان الإسلام ، بل لا يملك المسلم - صحيح الإسلام - إنكار ما هو معلوم بالضرورة ، من نبوة مَنْ ذُكِر فى القرآن الكريم من الأنبياء والرسل ، من لدن آدم عليه السلام ، حتى محمد ﷺ ؛ كإبراهيم وموسى وعيسى - عليهم صلوات الله - وغيرهم. ويستتبع هذا الإيمان ، الإيمان بما أنزله الله عليهم من الكتب ، كالتوراة والإنجيل - قبل أن يعتريهما ما اعتراهما فى عقيدتهم من التحريف - وغيرهما ،حتى القرآن خاتم هذه الكتب ؛ فكلها- وإن اختلفت الشرائع - يخرج - كما قيل - من مشكاة واحدة .

فلم يكن بغريب إذن أن نجد فى شعر صدر الإسلام هذا الاحتفال الكبير بذكر الرسل والأنبياء السابقين ، وكتبهم ، وشيئاً من أخبار أممهم ، وأكثرهم دوراناً فيه موسى وعيسى - أقربهم زمناً من نبى الإسلام ، وصاحبا الديانتين الباقيتين اللتين احتك بأهلهما المسلمون عن كثب - عليهما السلام .

وفى موسى-وهو يجيء فى ثنايا الاعتراف بنبوة محمد - يقول العباس بن مرداس:

وَجَدْنَاهُ نَبِيّاً مِثْلَ مُوسَى فكلُّ فَتًى يُخَايِرُهُ مُخَيَّرُ. [1]

وفيه دليل على إيمانه بنبوة موسى عليه السلام ، وكان العباس - كما هو معروف - على صلة وثيقة بيهود يثرب ، وفى رثاء قتلاهم وجدنا له بعض الأشعار[2]، وقد وجد - على حد شهادته - محمداً نبياً كموسى ، فكلاهما نبى الله .

---

(١) السيرة النبوية م٢ ص ٤٥١ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٧٩٦ ، وشعر الدعوة ص ١٢٠ .

(٢) السيرة النبوية م٢ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

ويقول عسكلان بن عواكن الحميرى :

أشْـهَـدُ باللهِ رَبِّ مُـوسَى أَنَّـكَ أُرْسِلْـتَ بالـبِطَـاحِ .[٣]

فرب موسى عليه السلام هو رب محمد ﷺ كذلك ، أرسله كما أرسل موسى من قبل ، وإن اختلف المكان . ويقول عبد الله بن رواحة :

فـثَبَّتَ اللهُ مـا آتاكَ من حَـسَنٍ تَثْبِيتَ مُوسَى ونَصْراً كالذى نُصِرُوا .[٤]

وفيه يدعو للنبى ﷺ بالثبات والنصر ، كما ثبت الله موسى عليه السلام ونصره من قبل ، ومعروف مدى العنت الذى لاقاه موسى من قـومه ، حتى عُدَّ واحداً من الخمسة الذين يلقـبون بذوى العزم من الرسل ، وفـيهم - غـيره وغيـر محمـد- نوح وإبراهيم وعيسى عليهم السلام .

وفى المعجـزة التى أيده الله بها - وهى إحـدى معجـزاته عليه السـلام - يوم ألقوا حبالهم وعصيهم وألقى عصاه ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾[٥] تلقف ما صنعوا يقول عمرو بن الأهتم :

لنا حَـيَّـةٌ تَنْقَضُّ من رَأْسِ صَـخْـرةٍ تَلَقَّمُ حَـيَّـاتِ الحـزونَةِ والبَـحْـرِ
وقـد ظَهَـرتْ للتَّـغْلِبِـيِّينَ حَـيَّـةٌ كحَـيَّةِ مُوسَى يَوْمَ أُيِّـدَ بالنَّصْرِ .[٦]

وهو اليوم الذى ضربه لهم موسى موعداً ، وكان يوم عـيد ، وقد أيده الله فيه كما ذكر فأبطل السحـر وخر السحرة ساجدين . وفى فـرعون وهامان تجىء إشارة جندب - وقد دخل على الوليد بن عقـبة فوجد عنده ساحراً يدعى أبا شيبـان ، يخرج « مصارين بطنه ثم يعيدها فيه » - :

---

(٣) الإصابة جـ٥ ص ٩٨ ، وشعر الدعوة ص ٤٩ .

(٤) الإصابة جـ٤ ص ٧٥ ، والاستيعاب ص ٩٠٠ ، والسيرة النبوية م٢ ص ٣٧٤ ، والطبقات الكبرى م٣ ص ٥٢٨ ، والعمدة جـ١ ص ٢١٠ ، وشرح شواهد المغنى ص ٢٩٣ ، وشرح النهج جـ٣ ص ٦٠٩ ، وشعر الدعوة ص ٣٦١ .

(٥) طه من الآية ٢٠ .

(٦) ديوانه ص ٨٨ .

العَنْ وَلِيداً وأبا شَيْبانِ وابنَ حُبَيْشٍ راكِبَ الشَّيْطانِ

رَسُولَ فِرْعَونَ إلى هامانِ.[7]

وكان كما يقول الخبر قد جاء من خلف هذا الساحر الذى أخذ بأعين الناس فقتله ، ويجىء ذكرهما – فرعون وهامان – ههنا فى إطار التشبيه ، ومعلوم – لدى مستمعيه – من هما طغياناً وكفراً ، فاكتفى بمثل هذا العلم عن التفصيل .

٢– وفى عيسى عليه السلام – وقد كثر ذكره فى شعرهم – يقول حسان :

وأنَّ الذى عادَى اليهودُ ابن مَرْيَم رَسُولٌ أتَى من عندِ ذى العَرْشِ مُرْسَلُ.[8]

فيشهد له – فى إطار شهادة طويلة تمتد لعدة أبيات – بالرسالة ، وينسبه– لمعجزة خلقه من غير أب – كما نسب فى القرآن الكريم [9] إلى أمه ، ويشير – مجرد إشارة – إلى عداء اليهود له . ويقول آخر :

إنَّ الذى وَرِثَ النُّبُوَّةَ والهُدَى بعدَ ابنِ مَرْيَمَ من قُرَيْشٍ مُهْتَدِى.[10]

فيجعل النبوة – وقد أقر بها لمحمد ﷺ – ميراثاً ، ويعنى به تنقلها من نبى إلى نبى ، وقد انتقلت إليه – كما أشار – بعد عيسى عليه السلام ، ويدعوه «ابن مريم» كحسان .

وفى مجيئه ﷺ بعد عيسى عليه السلام يقول كذلك العباس بن مرداس :

نَبِىٌّ أتانا بعدَ عِيسَى بناطِقٍ من الحَقِّ فيه الفَصْلُ منه كَذَلِكا.[11]

ويقول آخر :

الحَمْدُ لِلهِ الذى لم يَخْلُقِ الخَلْقَ عَبَثْ

---

(٧) الأغانى (ط . الشعب) ص ١٧٨٨ ، ومختار الأغانى جـ٨ ص ٢١٤ .

(٨) ديوان حسان – ت . د . سيد حنفى حسنين – ص ٣٥٠ .

(٩) البقرة ٨٧ ، ٢٥٣ ، آل عمران ٤٥ ، النساء ١٥٧ ، ١٧١ ، المائدة ٧٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، مريم ٣٤ ، الأحزاب ٧ ، الحديد ٢٧ ، الصف ٦ ، ١٤ .

(١٠) السيرة النبوية م٢ ص ٤٢٧ ، والبداية والنهاية م٢ ص ٧٦٩ ، وشعر الدعوة ص ٤٠ .

(١١) الأغانى (ط . الشعب) ص ٥١٧٥ ، والبداية والنهاية م١ ص ٧٩٣ ، وشعر الدعوة ص ٤٧ .

ولـم يُـخَـلِّـنا سُـــــدًى من بعـدِ عيسى واكْتَـرَثْ
أرْسَلَ فِـينا أحْـمَـدا خَـيْـرَ نَبِيٍّ قـد بُـعِثْ.[12]

وفى الدين الذى جاء به ، والإسلام دين محمـد ، يقف علاثة بن وهب بن خليفة الغنوى حائراً – وكان فـيما يبدو على النصـرانية ثم دُعى إلى الإسلام – لا يملك إلا أن يتوجه إلى الله عزوجل داعياً :

أيا رَبَّ عِـيسَى دَعْـوةً ومُحَـمَّـداً أجِبْنِى فألْحِقْنِـى بأَبْقاهُما لِيا.[13]

لكنه وإن كان لكل منهما – عيسى ومحمد – دين وشيعة فإن ربهما – كما أشار – واحد ؛ الله عزوجل . ويفهم منه ضِمْناً الإيمان بعـبودية عيسى لله ، فالله ربه ، لا أباه كما يزعم بعض النصارى أو يعتقدون فيه .

ويلقبه آخر – كما لقب فى القرآن كذلك[14] – بالمسيح :

وقُـولُوا لـه إنَّا لِدِينِكَ شِـيـعَـةٌ بذلكَ أوْصـانا المَسيحُ ابنُ مَـرْيَمَا.[15]

وممن ذكر فـى شعرهم فـى إطار الإيمان بالأنبيـاء والرسل – غيـر موسى وعـيسى عليهـما السلام – « نوح » ، وفـيه يقول زبان بن سـيار ،مشـيراً إلى طول عمـره عليه السلام:

يُؤَمِّلُ أن يُعَـمَّـرَ عُـمْـرَ نُوحٍ وأمْـرُ اللهِ يَحْـدُثُ كلَّ لَيْلَهْ.[16]

وقـد مكث فى قـومـه ، يدعـوهم إلى الله عـزوجل ﴿ أَلْـفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً﴾[17]. و« يعقوب » ، وفى وصيته لبنيه يقول حسان :

---

(١٢) البداية والنهاية م١ ص ٦٦٠ ، وشعر الدعوة ص ١٢٨ .
(١٣) الإصابة جـ٥ ص ١٠٣ .
(١٤) آل عمران ٤٥ ، النساء ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، المائدة ١٧ ، ٧٢ ، ٧٥ ، التوبة ٣٠ ، ٣١ .
(١٥) الإصابة جـ١ ص ٥٨٩ .
(١٦) الوحشيات ص ١٧٤ .
(١٧) العنكبوت – من الآية ١٤ .

والله مـــا أَوْصَـى أُمَـيَّـــةُ بِكْرَهُ بوَصِـيَّةٍ أَوْصَى بهـا يَعْقُـوبُ.[18]

وهو يجيء في سياق هجائه لصفوان بن أميـة ، وقد جاء ذكر هذه الوصية في قول الله عزوجل : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[19].

و«داود» ، وكان حداداً ، وقـد عرف - كما أخـبر القرآن[20] -بصناعة الدروع ونحوها من آلات الحرب ، وكـانت العرب - حتى في الجاهلية قبل الإسـلام - ينسبون الدروع - حين يريدون الفخر بأصالتهـا - إلى داود ، وكذلك فعلوا في الإسلام ؛ يقول العباس بن مرداس في يوم حنين :

فـجِـئْنا بأَلْـفٍ من سُلَيْمٍ عليــهمُ لَبُوسٌ لهم من نَسْجِ داوُدَ رائعُ.[21]

فهـو يفخـر بأن لبـوسهم في ذلك اليـوم من صنع داود ، مبـالغة منه في إظـهار أصالتها. و«هود» ، وفيه يقول حسان :

وأنَّ أخـا الأَحْـقـافِ إذْ يَعْـذِلُونَهُ يُجاهِدُ في ذاتِ الإله ويَعْدِلُ.[22]

وكان هود قد أنذر قومه بالأحقـاف فكذبوه ، وجاهدهم في الله جهاداً طويلاً حتى أهلكهم الله . وفيه - وفي طائفـة أخرى من الرسل والأنبياء - يقول حـسان كذلك في إطار الفخر بنسبته إلى قحطان :

فنحنُ بنو قَحْـطانَ ذي المُلْكِ والعُلا ومِنَّـا نَبِيُّ الـلهِ هُودُ الأَخـــايِرِ
وإدْرِيسُ ما إنْ كـانَ في النَّاسِ مِثْلُهُ ولا مِـثْلِ ذي القَـرْنَيْنِ أَبْناءُ عـابِرِ

---

(18) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفي حسنين - ص ٢٨٤ .
(19) البقرة ١٣٣ .
(20) سبأ - آية ١٠ ، ١١ .
(21) السيرة النبوية م٢ ص ٤٦٣ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٨٠٣ ، وشعر الدعوة ص ٢٩٦ .
(22) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفي حسنين - ص ٣٥٠ .

وصـالِحُ والمَرْحُومُ يُـونُسُ بَعْدَمـا ألاثَ به حُـــوتٌ بأجْلبَ زاخِــــرِ
شُـعَيبٌ وإليـاسٌ وذو الكِفْلِ كُلُّهم يَمانُونَ قد فازُوا بطِيبِ السَّرائِرِ .[٢٣]

وهو مما زاده محقق الديوان عن« الإكليل » ، ويُشْتَمُّ فيه روح الوضع نتيجة العصبية ، وقد نسب كل هؤلاء الأنبـياء - على اختـلاف بين المؤرخين فى نسبة بعـضهم - إلى اليمـانية ، وأشار إلى ذى القـرنين ، وقد اختلـف كذلك فى نبوته ، وأشـار إلى ابتلاع الحوت ليونس حين ذهب فى الأرض مغاضباً ، ثم نجاه الله برحمته .

ويتناثر فى سـياق الحـديث عن الرسل والأنبيـاء شىء من الأخبـار ، عن أممهم ؛ كعاد[٢٤]، وثمود[٢٥] ، وأصحاب الحـجر[٢٦] ، وأهل مـدين[٢٧] ، وقـوم لوط[٢٨]. وأشاروا إلى قوم لقمان[٢٩] ، وتبع[٣٠] ، ويأجوج ومأجوج[٣١] ، وذكروا - فيما ذكروا من الكتب - التوراة[٣٢] ، والزبور[٣٣].

---

(٢٣) المصدر نفسه ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

(٢٤) المصدر نفسه ص ١٣٦ ، ٣٨٦ ، وديوان لبيد ص ٤٦ ، وشعر عبد الله بن الزبعرى ص ٤٩ ، والسيرة النبوية م ١ ص ٣٣١ ، والإصابة جـ٢ ص ٣٩٦ ، جـ ٣ ص ٤١٧ ، جـ ٤ ص ٤٠ ، وأسد الغابة جـ ٣ ص ١٠١ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٣٣ ، ووقعة صفين ص ٤٣٨ ، ومن الضائع من معجم الشعراء ص ٩٠ ، وشعر الدعوة ص ٩٨ ، ١٤٢ .

(٢٥) ديوان حسان ص ١٣٦ ، ١٩٧ ، وديوان لبـيد ص ٤٦ ، والإصـابة جـ٥ ص ٦٩ ، وجمـهرة أشـعار العرب ص ٣٣ ، ووقعة صفين ص ٤٣٨ .

(٢٦) السيرة النبوية م ١ ص ٣٣١ ، والإصابة جـ٢ ص ٣٩٦ ، والاستيعاب ص ١٥٥٥ ، وأسد الغابة جـ ٣ ص ١٠١ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٣٣ ، ووقعـة صفين ص ٤٣٨ ، ومن الضائع من معجم الشعراء ص ٦٤ ، وشعر الدعوة ص ٩٨ .

(٢٧) السيرة النبوية م ١ ص ٣٣١ ، وشعر الدعوة ص ٩٨ .

(٢٨) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ٣٢٧ .

(٢٩) ديوان لبيد ص ٩٥ ، وشعر الدعوة ص ١٣٨ .

(٣٠) ديوان لبيد ص ٩٥ ، وشعر الدعوة ص ١٣٨ .

(٣١) وقعة صفين ص ١٣٩ .

(٣٢) ديوان حسان ص ٢٥٣ ، والطبقات الكبرى م ١ ص ٤٨٩ ، وشعر الدعوة ص ١٠٩ .

(٣٣) ديوان أبى الأسود الدؤلى ص ١١٧ .

٣- ويشغل النبى ﷺ حيزاً أكبر مما شغله غيره من ألأنبياء والرسل السابقين ، بل يشكل محوراً من المحاور الرئيسة التى دار حولها الشعر فى تلك الفترة يستحق دراسة خاصة ، ويعنينا الآن ما تعلق فحسب بنبوته ورسالته ، وأول ما يلقانا فى هذا الصدد الاعتراف به نبياً مرسلاً ، وما يترتب على هذا الإيمان من لزوم الطاعة والاقتداء والسير على منهجه ومنواله . والشعر فى هذا كثير ، بل كثير جداً ، فلن يسعنا - والحال كذلك - إلا الوقوف عند بعض النماذج الدالة ، مما قد تغنى - لضيق المجال - عن غيرها ، مع الإشارة - ما أمكن - إلى النماذج الأخرى .

ففى الإقرار بنبوته - وقد لقبوه فى مئات المواضع بـ « النبى » « ونبى الله » ونحوها[٣٤] - يقول حسان :

ظَنَنْتُم بأنْ يَخفَى الذى قد صَنَعْتُمُ وفِينا نَبِىُّ اللهِ عندَه الحُكمُ واضِعَهْ.[٣٥]

فما صنعوه ، وقد ظنوا أنه يخفى ، علمه ﷺ - بمقتضى النبوة - عن طريق الوحى ، ولولا نبوته ما علمه ؛ كان أحدهم قد سرق درعين ووضعهما - ليزيح التهمة عن نفسه عند يهودى - وجاء أهله إلى رسول الله ﷺ يحلفون على براءته ، فأنزل الله فيه قرآنا ، وفر - بعدما فضحه القرآن - إلى مكة .

ويقول حسان أيضاً :

نَبِىٌّ أتانا بعدَ يَأسٍ وفَترَةٍ من الرُّسْلِ والأوثانُ فى الأرضِ تُعْبَدُ.[٣٦]

مشيراً - بعد الإقرار بنبوته - إلى الفترة الزمنية الطويلة التى فصلت بينه وبين السابقين من أنبياء الله ورسله ، والتى عبدت فيها الأوثان وعم الضلال ، وعرف أهلها بـ« أهل الفترة » كما شاع بعد . ويقول فى هجرته :

لقد خابَ قَوْمٌ غابَ عنهم نَبِيُّهم وقُدِّسَ مَنْ يَسْرِى إليهم ويَغْتَدِى

(٣٤) وفى مراثى النبى ﷺ وحدها سبع وثلاثون موضعاً . مراثى النبى ص ٩٤ .
(٣٥) ديوان حسان ص ٢٨٦ .
(٣٦) المصدر نفسه ص ٣٣٨ .

تَرَحَّلَ عن قَومٍ فضلَّتْ عقُولُهم ... وحلَّ على قَومٍ بنُورٍ مُجَدَّدِ
هداهم به بعدَ الضَّلالَةِ ربُّهم ... وأرْشَدَهم مَنْ يَتْبَعِ الحَقَّ يَرْشَدِ
وهلْ يَستوى ضُلَّالُ قومٍ تَسَفَّهُوا ... عَمًى وهُداةٌ يَهتَدُونَ بمُهتَدِ
لقد نزلتْ منه على أهلِ يَثْرِبٍ ... رِكابُ هُدًى حَلَّتْ عليهم بأسْعُدِ
نَبِيٌّ يَرَى مالا يَرَى النَّاسُ حَولَهُ ... ويَتْلُو كتابَ اللهِ فى كلِّ مَشْهَدِ
وإنْ قالَ فى يَوْمٍ مَقالَةَ غائبٍ ... فتَصْدِيقُها فى اليومِ أو فى ضُحَى الغَدِ.[٣٧]

فقد خاب المكيون - وهم قومه - بهجرته عنهم ، وفاز أهل المدينة - وفيهم حسان- بمقدمه ، وانتقل معه النور والهدى والرشاد ، فحلت كلها حيث حل ، ولا يستوى من آمن به وصدقه ومن ظلوا على ضلالهم وحيرتهم ، وبمقتضى نبوته ﷺ يرى - كما ذكر من قبل - « ما لا يراه الناس حوله » ، فإن أخبر عن شيء أنه كائن فما أسرع ما يجيء الزمان بتصديقه ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى ، وإنما ينطق بما يتنزل عليه من الوحى .

وفى الإقرار برسالته - وقد تعددت كذلك المواضع التى لقب فيها ﷺ بـ «الرسول» و« رسول الله » ونحوها حتى عدت فى شعرهم بالمئات[٣٨]- يقول شاعره حسان :

وقالَ اللهُ قد أرْسَلْتُ عَبْداً ... يقولُ الحَقَّ إن نَفَعَ البَلاءُ
شَهِدْتُ به فقُومُوا صَدِّقُوه ... فقُلْتم لا نُجِيبُ ولا نَشاءُ.[٣٩]

لقد أرسله الله إليهم بالحق ، وشهد على صدقه ، وأمرهم بتصديقه ، فآمن به طائفة ، وكذب به المعاندون ، وعجيب أن يكونوا - وفيهم أبو سفيان مهجوه قبل إسلامه - من قبيلته قريش وهم قومه وأقاربه وآله .

---

(٣٧) المصدر نفسه ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

(٣٨) وفى مراثى النبى ﷺ وحدها أربعون موضعاً . مراثى النبى ص ٩٥ .

(٣٩) ديوان حسان بن ثابت - ت . د . سيد حنفى حسنين - ص ٧٥ .

ويسجل حسان فى قصيدة أخرى تلك اللحظات التى وقف فيها ﷺ على جثث قتلاهم يوم بدر - وقد انتهت المعركة وأمر بتلك الجثث فطرحت فى بئر - يناديها : «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا . . » ؟ فيقول - وقد حرص على تلقيبه ﷺ فى هذا السياق بالرسول -:

يُناديهم رَسُولُ اللهِ لمَّا — قَذَفْناهم كَباكِبَ فى القَليبِ
أما تَجِدُوا حَديثى كانَ حَقاً — وأَمْرُ اللهِ يأخُذُ بالقُلُوبِ
فما نَطَقُوا ولو نَطَقُوا لقالوا — صَدَقْتَ وكُنْتَ ذا رأْيٍ مُصيبِ. (٤٠)

لكن هل يجدى التصديق وقد حل بهم ما قد حل من الموت ؟! وعلى النقيض من موقف هؤلاء نراه يبرز - فى إطار الفخر بقومه - موقف من آمن به ، فيقول فى قصيدة أخرى :

فلَمَّا أتانا رَسُولُ الإلهِ (م) — بالنُّورِ والدِّينِ بعدَ الظُّلَمْ
رَكَنَّا إليه ولم نَعْصِه — غَداةَ أتانا من ارْضِ الحَرَمْ
وقُلْنا صَدَقْتَ بما جِئْتَنا — هَلُمَّ إلينا وفينا أقِمْ
فنادِ بما كنتَ أخْفَيْتَهُ — نداءً جِهاراً ولا تَكْتَتِمْ
فنَشْهَدُ أنَّكَ عَبْدُ المَليكِ — أُرْسِلْتَ نُوراً بدينٍ قِيَمْ. (٤١)

وتترد الشهادة بتصديقه ، والإقرار بنبوته ورسالته ، فى شعر آخرين - غير حسان - كمالك بن نمط الهمدانى ، وفيه يقول :

حَلَفْتُ بربِّ الرَّاقِصاتِ إلى مِنًى — صَوادِرَ بالرُّكْبانِ من هَضْبِ قَرْدَدِ
بأنَّ رسُولَ اللهِ فِينا مُصَدَّقٌ — رَسُولٌ أتَى من عِنْدِ ذِى العَرْشِ مُهْتَدِ. (٤٢)

---

(٤٠) المصدر نفسه ص ١٣٥ .

(٤١) المصدر نفسه ص ١٤٠ .

(٤٢) السيرة النبوية م ٢ ص ٥٩٩ ، والاستيعاب ص ١٣٦١ ، وأسد الغابة جـ ٤ ص ٢٥٨ ، والإصابة جـ ٥ ص ٥٥٩ ، وشعر الدعوة ص ٥٦ .

وقد أقسم - مؤكداً لشهادته - على تصديقهم له ﷺ ، ومجيئه من عند ذى العرش رسولاً مهتدياً ، ليبلغ فيهم رسالته ، وينشر دينه . وظبيان بن كدادة ؛ حيث يقول - وقد جمع مع الرسالة صفات أخرى هى من أخص خصائصها ؛ كالأمانة والصدق -:

فأشْهَدُ بالبَيْتِ العَتيقِ وبالصَّفا　　شَهادَةَ مَنْ إحسانُهُ مُتَقَبَّلُ
بأنَّكَ مَحْمودٌ لَدَيْنا مُبارَكٌ　　وَفِيٌّ أَمينٌ صادِقُ القَوْلِ مُرْسَلُ.(٤٣)

وكعب بن مالك - مؤملاً أن يبلغ عنه من يسمعه تلك الشهادة إلى أبى سفيان وغيره من زعماء قريش -:

وأَبْلِغْ أبا سُفْيانَ أنْ قد بَدا لنا　　بأحمدَ نُورٌ من هُدَى اللهِ ساطِعُ.(٤٤)

وهو نور الهداية ، على يدى هذا النبى الخاتم ، المبعوث من قبل الله ، فإن كذبته قريش فلن يسعه ويسع الأنصار معه إلا الإيمان به والتصديق له . ويقول كعب فى أبيات أخرى :

فِينا الرَّسُولُ شِهابٌ ثم يَتْبَعُه　　نُورٌ مُضِيءٌ له فَضْلٌ على الشُّهُبِ
الحَقُّ مَنْطِقُهُ والعَدْلُ سِيرَتُهُ　　فمَنْ يُجِبْهُ إليه يَنْجُ من تَبَبِ
نَجْدُ المُقَدَّمِ ماضى الهَمِّ مُعْتَزِمٌ　　حين القُلوبُ على رَجْفٍ من الرُّعُبِ
يَمْضِى ويَذْمُرُنا عن غيرِ مَعْصِيَةٍ　　كأنَّه البَدْرُ لم يُطْبَعْ على الكَذِبِ
بَدا لنا فاتَّبَعْناهُ نُصَدِّقُهُ　　وكَذَّبوه فكنَّا أَسْعدَ العَرَبِ
جالُوا وجُلْنا فما فاءوا وما رَجَعُوا　　ونحنُ نَثْفِنُهم لم نَأْلُ فى الطَّلَبِ
لَيْسا سَواءً وشَتَّى بين أَمْرِهِما　　حِزْبُ الإلهِ وأهلُ الشِّرْكِ والنُّصُبِ.(٤٥)

---

(٤٣) الاستيعاب ص ٧٧٨ .

(٤٤) السيرة م ١ ص ٤٤٥ ، والإصابة جـ ٣ ص ٤٥٤ .

(٤٥) السيرة النبوية م ٢ ص ١٦١ ، ١٦٢ ، وشعر الدعوة ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

وهى أشبه ما تكون بـ« شـهادة عصر » ، يقدمها أحـد معاصريه ﷺ ، ممن آمن به واتبعه وجاهد فى الحق معه ، يفصل فيها القول - فـتمتد الشهادة على نحو يختلف عما سبـق - فيمـا عرف به من الصـفات التـى دفعتـهم دفعـاً إلى تصديقـه والإقرار بنبـوته ورسالته؛ كلامه الحق ، وسـيرته المصدقة لما يصدر عنه من الكلام وشجاعتـه- فيما يدعو إليه ويقـاتل الكفار عليه - ومضـاء همته وعزيمتـه حين يمتلك قلوب الآخرين الرعب ؛ لثقته فى الله ، وشدة إيمانه به ، وبأنه إنما يجاهد فيه ؛ وأنه لن يسلمه ولن يخذله . ثم يذكر كيف كان الناس حياله طائفتين ؛ إحداهمـا - وفيها الأنصار - قد آمنت له واتبعته فصارت - على حد تعبيره -« أسعد العرب » ، والأخرى - وفيها قريش - قد كذبوه ، ولم يكتفوا بالتكذيب حتى حاربوه ، ليعوقوه ويوقفوا مسيرته . ويقرر فى النهاية أنهما- من آمن به ومن كفر - لا يسـتويان ، وكيف يستـوى « حزب الإله» و«أهل الشرك» من عبدة الأوثان والأصنام ؟!

ولا يقف الأمر ببعضهم عند حد الإقـرار ، وإنما نراه - وقد اتخذ من الشعر وسيلة للدعوة - يدعو غيره - وخاصة القرشيين- إلى الإيمان بما آمن به ؛ من صدق نبوته ﷺ ورسالته، واتبـاع الدين الذى جاء به ، وترك ما هم عليه من السـفاهة والضلال . ومن هؤلاء ابن لقيم العبسى- أو قيس بن بحر بن طريف الأشجعى ، على اختلاف فى نسبة الأبيات - حيث يقول :

فـمَنْ مُبْـلغٌ عنِّى قُرَيْـشاً رِسـالةً	فهلْ بعدَهم فى المَـجْدِ من مُتَكَرَّمِ
بأنَّ أخـاكم فـاعلمُنَّ مـحـمَّـداً	تَلِيـدُ النَّدَى بينَ الحَجُـونِ وزَمْزَمِ
فـدِينُوا له بالحَقِّ تَجْسُمْ أُمُـورُكم	وتَسْموا من الدُّنْيـا إلى كلِّ مُعْظَمِ
نَبِىٌّ تلاقَـتْـهُ مـن اللهِ رَحْـمَـةٌ	ولا تَسـألُوه أمْـرَ غَـيْـبٍ مُـرجَّمِ
فقـد كانَ فى بَدْرٍ لعَـمْرِى عِـبْرَةٌ	لكم يا قُـرَيْشـاً والقَلِيـبِ المُلَمَّمِ
غَـداةَ أتَى فى الخَزْرَجِـيَّـةِ عامِـداً	إليكم مُـطِيـعـاً للعَظِـيمِ المُكَرَّمِ
مُعـاناً برُوحِ القُدْسِ يُنْـكِى عَدُوَّهُ	رَسُـولاً من الرَّحْمنِ حَـقّـاً بمَعْلَمِ

رَسُـولاً من الرَّحْـمنِ يَـتْلُو كِـتـابَهُ   فلمَّـا أنارَ الحَقُّ لـم يَتَلَعْـثَمِ.(٤٦)

ويذكرهم - فى محاولة للإقناع - بانتصاره عليهم يوم بدر ، على الرغم من قلة عدد أتباعه وضعف عدتهم ؛ فالله هو الذى أيده وأرسل الملائكة - وفيهم جبريل - لنصرته ، ولولا أنه رسول من الرحمن كسائر الأنبياء والرسل لما استطاع أن يرد غائلتهم عنه وقد أعدوا للقضاء عليه وعلى دعوته ، ولديه الكتاب يتلو آيه ، فهل فيما لديهم - وهم أهل البلاغة والفصاحة - ما يشبهه ويضاهيه ؟ لقد ظهر الحق ، وسوف يزداد أمره- مع الأيام- ويعلو دينه ، لما قضاه الله وقدره ، فأحرى بهم أن يتبعوه كما اتبعه ، وأن يكونوا بعد معه لا عليه.

٤- وعجيب أن نرى فى شعر غير المسلمين تصديقاً وإقراراً له ﷺ بالرسالة والنبوة؛ فأبو طالب - على الرغم من كفره- يعترف له بهما ، لكنه يستنكف - خشية أن يخالف ما كان عليه الآباء والأجداد - من اتباعه ، ويتعالى عن الدخول فى دينه :

أَلمْ تَعْلَمُـواْ أَنَّا وَجَـدْنا مُـحَـمَّـداً   نَبِيّاً كـمُوسَى خُطَّ فى أَوَّلِ الكُتْبِ.(٤٧)

وهو مما خاطب به بعض بطون قريش . وأبو عزة - وقد قع فى قبضته أسيراً يوم بدر - يستعطفه ويسترضيه بأبيات منها :

مَنْ مُـبْلِغٌ عَنِّى الرَّسُـولَ مُـحـمَّـداً   بأَنَّكَ حَـقٌّ والمَلِيكُ حَـمِـيـدُ
وأنتَ امْرُؤٌ تَدْعـو إلى الحقِّ والهُدَى   عليكَ من اللهِ العَظِيمِ شَهِيدُ.(٤٨)

لكنه الإقرار الذى لا يبلغ حد الإيمان ، يدفعه إليه - وهو أسير لديه - الخوف من بأسه وسطوته ، وإلا لما عاد لمحاربته بعد فى أحد ، وقال النبى ﷺ فيه - وقد حاول أن يعيد الكرة مرة أخرى ليقبل عذره عن قتاله ومحاربته - « إنَّ المُؤمِنَ لا يُلْدَغُ من جُحْرٍ مَرَّتَينِ» (٤٩).

---

(٤٦) السيرة النبوية م ٢ ص ١٩٦ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٩٥ .

(٤٧) السيرة النبوية م ١ ص ٣٥٢ .

(٤٨) السيرة النبوية م ١ ص ٦٦٠ ، والزهرة جـ ٢ ص ٨٣٦ .

(٤٩) السيرة النبوية م ٢ ص ١٠٤ .

والأعشى - وقد هم كما تذكر الروايات باتباعه- يمدحه بقصيدة يجيء فى تضاعيفها قوله :

نَبِـىٌّ يَرَى مـــا لا تَرَوْنَ وذِكْـــرُهُ أغارَ لَعَمْرِى فى البِلادِ وأَنْجَدا.(٥٠)

ويلقبـه فى موضع آخر - من القـصيدة نفـسها - بـ « نبي الإله » ، وهو اعـتراف صريح بنبوته ، لا ينقصه - وليس المجال ههنا تحقيق مواقف هؤلاء من الإسلام - سوى إتباع هذا المقال - إن صح - بالفعل ، وهو ما حيل دونه حتى أدركه الموت .

وورقة بن نوفل يعـد - وقد حدثته خـديجةعنه وعما كـان من أمر جبريل مـعه - باتباعه ونصـرته ، إن بقى حتى يعلن دينه وتتآزر قريش عليه ، وله فى استبطاء ظهوره أبيات احتفظ لنا بها ابن إسحق - على ما فى روايته للشعر من المقال - ولم يعلق عليها ابن هشام بشىء يدفع - كما صنع فى غيرهـا - إلى نفيها ، كعادته حين يشك فى شىء مما يسوقه ابن إسحق من الأشعار . وفيها :

ووَصْفٍ من خَـدِيجَةَ بَعْـدَ وَصْفٍ فـقـد طالَ انتظـارِى يا خَـدِيجـا
ببَطْـنِ المَكَّتَـــيْنِ على رَجَـــائى حَـدِيـثك أنْ أرَى منه خُـــرُوجـا
بما خَـــبَّـــرْتِـنا من قَـــوْلِ قَسٍّ من الرُّهْبَـــانِ أَكْـرَهُ أنْ يَعُـــوجـا
بأنَّ مُـحَـــمَّـداً سيـسُـــودُ فـينا ويَخْـصِمُ مَنْ يكونُ له حَـجِـيجـا
ويَظْهَـــرُ فى البِـلادِ ضِـيــاءُ نُورٍ يُقِـيمُ بـه البَـــرِيَّةَ أن تَمُـــوجـا
فـيَلْقَى مَنْ يُـحـارِبُـهُ خَـســاراً ويَلْقَـى مَنْ يُســالِمُـــهُ فُـلُوجـا
فـيـا لَيْـــتِى إذا مـا كـــانَ ذاكُمْ شَـهِـــدْتُ فكنتُ أَوَّلَهُمْ وُلُـوجـا
وُلُوجـاً فى الذى كَـرِهَتْ قُـرَيْشٌ ولو عَجَّتْ بمَـكَّتِها عَـجِـيـجا.(٥١)

وتوقع ما سوف تصنعه قريش مع النبى عند ظهوره هو من قبيل القياس على ما كان من أمر الرسل السابقين مع أممهم .

---

(٥٠) ديوانه ص ١٠٦ .

(٥١) السيرة النبوية م ١ ص ١٩١ ، ١٩٢ .

وفى « الزهرة » - من قصيدة لأمية بن أبى الصلت يمدح فيها النبى ﷺ على الرغم من عداوته له ويقر فى بعضها بنبوته -:

نَبِىٌّ الهُدَى طَيِّبٌ صادِقٌ ... رَحِيمٌ رَءُوفٌ بِوَصْلِ الرَّحِمْ
به خَتَمَ اللهُ مَنْ قَبْلَهُ ... وما بَعْدَهُ من نَبِىٍّ خُتِمْ.(٥٢)

لكن هذا الشعر - على الرغم من وجوده فى ديوانه مع اختلاف فى بعض ألفاظه(٥٣)- مما ينسحب عليه - وعلى نظائره - الشك ؛ لما عُرِف عن أمية من حقد وحسد للنبى ، وتأليب للكفار عليه ، وقد مات - كما هو معروف - على كفره ، ولم يسلم قلبه كما أسلم - فى بعض شعره - لسانه ؛ استنكافاً من الاعتراف بالنبوة لأحد غيره ، وكان يظن أنها - وقد أظل زمن النبى الخاتم - لن تتعداه .

وأعجب من هذا الشعر ما ينسب - فى الاعتراف بنبوة محمد ورسالته - إلى من عاشوا قبله ، ولم يمتد بهم العمر حتى يروه ، وفيهم من كان فى أمم قديمة بائدة ؛ كأسعد أبى كربَ الحميرى ، وقد نسب إليه المسعودى فى « مروج الذهب » هذه الأبيات:

شَهِدْتُ على أَحْمَدَ أَنَّهُ ... رسولٌ من اللهِ بارِى النَّسَمْ
فلو مُدَّ عُمْرِى إلى عُمْرِهِ ... لكُنْتُ وَزِيراً له وابنُ عم
وأُلْزِمُ طاعَتَهُ كلَّ مَنْ ... على الأرْضِ من عَرَبٍ أو عَجَمْ.(٥٤)

وكان أبو كرب هذا قبل البعثة بنحو من سبعمائة عام . وكذلك ما ينسب إلى الجان إبان بعثته ﷺ(٥٥).

(٥٢) جـ ٢ ص ٥١١ .
(٥٣) من قصيدة ص ٥٥ ، ٥٦ .
(٥٤) جـ ١ ص ٦٨ .
(٥٥) الإصابة جـ ١ ص ٦٥٤ ، جـ ٣ ص ١٤٨ ، ١٨٢ ، جـ ٤ ص ٦١٣ ، جـ٥ ص ٢٧١ ، والاستيعاب ص ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ١٣٤٢ ، وأسد الغابة جـ ٢ ص ٣٥٢ ، جـ ٤ ص ٢٥٤ ، والبداية والنهاية م ١ ص ٦٦٠ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، وتاريخ الإسلام جـ ١ ص ٩٠ ، ٩١ ، والزهرة جـ ٢ ص ٨٤٠ ، ٨٤١ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٥٤ ، وتفسير ابن كثير م ٤ ص ١٦٨ ، وأشعار الجن - مجدى محمد الشهاوى - ط ١ (مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) ص ٢٩ : ٣٥ .

٥- ويؤكدون- خاصة من كان منهم على دين سماوى سابق أو كان على معرفة أو اتصال بتلك الأديان - على تبشير الأنبياء والرسل بنبوة محمد ورسالته ؛ فهو ﷺ بشارة التوراة - وفى رواية الأحبار - والسابقين من الرسل :

أنتَ النَّبِيُّ الذى كُنَّا نُخَبَّرُهُ ... وبَشَّرَتْنا به التَّوْراةُ والرُّسُلُ.(٥٦)

وبه أوصى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أتباعه وحثهم على نصرته واتباعه :

وقُولُوا لـه إنَّا لدينِكَ شِيعَةٌ ... بذلكَ أَوْصانا المَسِيحُ ابنُ مَرْيَما.(٥٧)

وكان بعضهم ينتظر - نتيجة تلك البشارات وما أشيع على ألسنة بعض الأحبار والرهبان من أنه قد أظل زمان النبى الخاتم - مبعثه ؛ كقيس بن نشبة السلمى ، وفيه يقول :

قد كنتُ آمُلُهُ وأنْظُرُ دَهْرَهُ ... فاللهُ قَدَّرَ أنَّهُ يَهْدِينِى.(٥٨)

ويشير بعضهم إلى تبشير مؤمنى الجن به ، وحثهم لهم على الإيمان به والاستجابة له ؛ ومنهم سواد بن قارب ، وكان كاهناً مذكوراً فى الجاهلية ، وفى إسلامه قصة طويلة تتداولها كتب الأخبار ، يجىء فى تضاعيفها هذه الأبيات التى يذكر فيها رئيه من الجان، ويبين كيف كان يدعوه - على مدار ثلاث ليال متواليات - إلى اتباع النبى والدخول فى دين الإسلام :

أتانِى نَجِيِّى بعدَ هَدْءٍ ورَقْدَةٍ ... ولم يَكُ فيما قد بَلَوتُ بكاذِبِ

ثلاثَ لَيالٍ قَولُهُ كلَّ ليلةٍ ... أتاكَ رَسُولٌ من لُؤَىِّ بنِ غالِبِ

...(٥٩) وخفاف بن نضلة؛ وقد وفد على النبى ﷺ وأنشد بين يديه :

---

(٥٦) الإصابة جـ٥ ص ٤٦٤ ، وشعر الدعوة ص ١٠٩ .

(٥٧) الإصابة جـ١ ص ٥٨٩ ، وشعر الدعوة ص ٤٨ .

(٥٨) الإصابة جـ ٥ ص ٣٨٢ ، وشعر الدعوة ص ٥٠ .

(٥٩) الاستيعاب ص ٦٧٤ ، والزهرة جـ ٢ ص ٨٤٠ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٥٥ ، والحماسة البصرية جـ١ ص ١١٧ ، وتاريخ الإسلام م ١ ص ٩١ ، والبداية والنهاية م ١ ص ٧٨٤ ، وتفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٦٨ .

إنّى أتانى فى المَنام مُخَبِّرٌ — من جنٍّ وَجْرَةَ فى الأُمُورِ مُوَاتِ

يَدْعو إليكَ لَياليًا ولَياليًا — ثم اخْزَألَّ وقال لستُ بآتِ

فَرَكِبْتُ ناجِيَةً أضَرَّ بمَتْنِها — جَمْرٌ تَخُبُّ به على الأكَماتِ

حَتَّى وَرَدْتُ إلى المَدِينَةِ جاهِدًا — كيما أراكَ فتَفرِجَ الكُرُباتِ.(٦٠)

بل وجدنا بعضهم يذكر أن الذئب قد كلمه - على الحقيقة لا المجاز - وبشره ببعثته ﷺ ، ودعاه إلى اتباع ما يدعو إليه . يقول رافع بن عميرة الطائى :

رَعَيْتُ الضَّأنَ أحْميها بكَلْبِى — من اللَّصْتِ الخَفِىِّ وكلِّ ذِيبِ

فلمَّا أنْ سَمِعْتُ الذِّئبَ نادَى — يُبَشِّرُنى بأحمدَ من قَرِيبِ

سَعَيْتُ إليه قد شَمَّرْتُ ثَوبِى — على السَّاقَيْنِ قاصدة الرَّكِيبِ

فأَلْفَيْتُ النَّبىَّ يَقُولُ قَولاً — صَدُوقًا ليسَ بالقَوْلِ الكَذُوبِ

فبَشَّرَنِى بدِينِ الحَقِّ حَتَّى — تَبَيَّنَتِ الشَّرِيعَةُ للمُنِيبِ

وأبْصَرْتُ الضِّياءَ يُضِىءُ حَولِى — أمامى إنْ سَعَيْتُ ومن جَنُوبِى.(٦١)

وخبره مع الذئب مشهور ، وهو مما يفخر به الطائيون ، غير أن هذا الفخر فى ذاته قد يدفع - لما هو معروف فى تاريخ الأدب القديم من علاقة بين العصبية القبلية والوضع- إلى الشك فى الأبيات ، إن لم ينسحب هذا الشك على القصة - وهى قائمة على حدث خارق للعادة - برمتها.

ويتحدثون فى إطار ما كانوا يعتقدونه فى النبى ﷺ - عن وجوب طاعته ، والاقتداء به ، وترسم خطاه ، والسير على طريقته ؛ فما أمرهم به فعلوه ، وما نهاهم عنه انتهوا ولم يقربوه ، وحرصوا على ألا يخالفوا فى شىء عن دعوته ، فكان الاتباع قرين الشهادة - وهذا ما ينبغى حسبما يعتقدون حيال رسول جاءهم بشريعة من قبل الله- والفعل تصديقاً للقول ؛ يقول كعب بن مالك :

(٦٠) الإصابة جـ ٢ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ووقعة صفين ص ٢٩٢ ، ومن الضائع من معجم الشعراء ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٦١) الاستيعاب ص ٤٨٣ ، وأسد الغابة جـ٢ ص ٤٤ ، والإصابة جـ٢ ص ٣٦٧ .

وفينا رَسُولُ اللهِ نَتْبَعُ أمْرَهُ — إذا قالَ فينا القَوْلَ لا نَتطلَّعُ
تَدَلَّى عليه الرُّوحُ من عندِ ربِّهِ — يُنَزَّلُ من جَوِّ السَّماءِ ويُرْفَعُ
نُشاوِرُهُ فيما نُرِيدُ وقَصْرُنا — إذا ما اشْتَهَى أنَّا نُطِيعُ ونَسْمَعُ. (٦٢)

فهم لا يرفعون إليه الطرف إجلالاً وهيبة ، ويشاورونه فى الأمر ، لا ليفرضوا عليه رأياً أو ينتهوا إلى ما يشتهون ، وإنما ليستبين لهم من خلال تلك المشاورة ما يحبه ﷺ ويرتضيه لهم فيسمعون ويطيعون ، لأنه – وهذا حسبه – إنما يحدثهم بأمر السماء، عن طريق الوحى الذى يجىء به جبريل من عند ربه .

ويقول أسماء بن زبان الجرمى :

فإنْ أنْتُمُ لم تَقْنَعُوا بقَضائهِ — فإنِّى بما قالَ النَّبِىُّ لطائعُ. (٦٣)

من أبيات لها قصة ، يعنينا منها حرصه – الذى أبان عنه فى الشطرة الثانية من البيت – على لزوم طاعته ﷺ ، والائتمار – وإن خالفوه وخالفهم – بما أمر ، وهو السلوك الصحيح فى عقيدته ، وقد ألزم نفسه به ، ونعى عليهم عدم الأخذ به ومخالفته؛ **﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾** (٦٤).

ويقول حميد بن ثور :

حَتَّى أرانا ربُّنا مُحَمَّداً — يَتْلُو من اللهِ كِتاباً مُرْشِدا
فلم نُكَذِّبْ وخَرَرْنا سُجَّداً — نُعْطِى الزَّكاةَ ونُقِيمُ المَسْجدا. (٦٥)

فقد صدقوا به واتبعوه ، حين أرسله الله فيهم يتلو عليهم آياته ويبلغهم شريعته ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وحسبه وحسبهم هذا التعبير الرائع فى بيان حالهم إزاء النبى « فلم نكذب وخررنا سجدا » ، وهو غاية فى لزوم الطاعة والاتباع .

(٦٢) السيرة النبوية م ٢ ص ١٣٣ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٦٩ .
(٦٣) الاستيعاب ص ٨٧ .
(٦٤) الأحزاب – ٣٦ .
(٦٥) ديوانه ص ٧٨ .

٥- ويستلزم الإيمان به ﷺ الإيمان بما أنزل عليه من الكتاب ، وقد تردد ذكره في مواضع عديدة ، وصفوه في بعضها بالوحي ؛ منها قول حسان :

أَعِفَّـةٌ ذُكِرَتْ في الوَحْـيِ عِفَّتُـهم　　لا يطبعونَ ولا يُرْدِيهُمُ الطَّمَعُ. (٦٦)

يعني القرآن الكريم ،وقد سماه وحيا ؛ لعقيدته - وعقيدة المسلمين جميعاً - فيه أنه منزل من عند الله ، وأن الله قد أوحى به إليه . أما اليهود فقد كفروا به، وأنكروا أن يكون كتاباً سماوياً كالتوراة ، كما كفروا بالنبي ولم يؤمنوا بما جاء به ؛ يقول حسان كذلك في هجاء طائفة منهم :

كَفَـرْتُم بالقُـرانِ وقد أَبَيْـتُمْ　　بتَصْـديقِ الذى قـالَ النَّذِيرُ. (٦٧)

وفي تنزيله - عن طريق الوحي- وتقديسهم له يقول في سياق فخره بالأنصار :

مَنَعْنـا به خَـيْـرَ البَـرِيَّةِ كُلِّـها　　إماماً وَوَقَّـرْنا الكتابَ المُنَزَّلا. (٦٨)

وما دام القرآن منزلاً فهو - من ثم - « كتاب الله » ، ينسب إليه تبارك وتعالى من دون الخلق ؛ كما نرى في قوله :

نَبِيٌّ يَرَى مـا لا يَرَى النَّاسُ حَـوْلَهُ　　ويَتْلُو كِـتـابَ اللهِ في كلِّ مَشْـهَـدِ. (٦٩)

ويصفه بالنور- ولعله يعني الهداية - فيقول في رثاء النبي وقد تذكر مسجده وداره :

بهـا حُجُـراتٌ كانَ يَنْزِلُ وَسْطَهـا　　من اللهِ نُورٌ يُسْتَـضاءُ ويُوقَدُ. (٧٠)

ولا يسعه - ولا يسع غيره من المسلمين معه - إلا التصديق به والإيمان :

رَسُـولٌ نُـصَـدِّقُ مـا جـاءَهُ　　من الوَحْيِ كان سِراجاً مُنِيراً. (٧١)

وفي شعر غيره نجد عمرو بن معد يكرب الزبيدي يقول :

جـاءَنا بالنَّامـوسِ من لَـدُنِ اللـ　　ـهِ وكـانَ الأَمينَ فيـه المُعـانا

(٦٦) ديوانه ص ٢٣٨ .

(٦٧) المصدر نفسه ص ٢٥٣ .

(٦٨) المصدر نفسه ص ٢٧٦ .

(٦٩) المصدر نفسه ص ٣٧٧ .

(٧٠) المصدر نفسه والصحيفة .

(٧١) المصدر نفسه ص ٣٨٤ .

حِكْمَــةٌ بعــدَ حِكْمَــةٍ وضِـــيـــاءٌ   فاهتَــدَيْنا بنُورِها من عَــمانا.[٧٢]

وهو يجىء فى إطار مدحه للنبى ، وإن لم يره رأى العين - أو « عياناً » كما يقول فى مطلعها - ويميل عمرو فى ذكره للقرآن إلى شىء من التفـصيل ، كثيراً ما نفتقده عند غيره كحـسان - حيث كان يشير إليــه مجرد إشارات عابرة أو يتردد ذكره عــرضاً - فهو «حكمة» تتـوالى - بتوالى نزول الآيات - « بعد حكمــة » ، و« ضياء » يهـتدون به من الضلال والعـمى ، و« الناموس » جـبريل عليه الســلام - وقد نزل عن طريقــه - وقيل السر.

ويقول آخر :

إنِّى امْــرُؤٌ قــد شَفَّنِى مــا قــد نَزَلْ   فى سُورةِ النُّورِ وفى الــسَّبْعِ الطُّوَلْ

وفى الحَوامِيمِ الشّــفاءِ وفى النَّحلْ   فرَّها عَنِّى وعن سُــوءِ الجَدلْ.[٧٣]

فيشــير إلى بعض سوره ، واصفــا إياها - كما وصفت جملــة - بالنزول ؛ كسورة النور، والسبع الطوال - ومنهن البقرة وآل عمران - والحواميم - وهى ما استهل آيهابـ « حم» كغافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان- والنحل ، وفيــهن جميعاً ما قد شفه وترفع به - وكانت زوجه قــد شكته إلى أحد القضاة - عن سوء الخلق - بما غــرسه فيه من التقوى ومراقبة الله - والجدال.

ولأيمن بن خريم :

أمــا والــذى أَرْسَى ثَبِـيــراً مكانَهُ   وأنزَلَ ذا الفُرْقــانَ فى لَيْلَةِ القَدْرِ .[٧٤]

فيسميه بــ« الفرقان» ؛ لتفريقه بين الحق والباطل ، ويجعل نزوله - حسبــما يعتقد ويعتقدون - فى ليلة القدر ،كما أخـبر المولى تبارك وتعالى فى سورة القدر[٧٥] ، يعنى

---

(٧٢) شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى ص ١٦٨ .

(٧٣) الاستيعاب ص ١٣٢٠ .

(٧٤) وقعة صفين ص ٥٤٨ . وفى تسميته بـ « الفرقان » يجىء كذلك قول سعدى بنت كريز :

وجاءَهُ التَّنْزِيلُ والفُرْقانُ   فاتبعْهُ لا تَغْيا بكَ الأوْثانُ .

الإصابة جـ ٨ ص ١٧٧ .

(٧٥) آية ١ .

نزوله - كما يقول المفسرون - جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ،ثم نزل بعد ذلك منجماً ، حسبما تقتضى الأحوال والظروف .

ولآخر - جعله ابن إسحق علياً كرم الله وجهه ، وقال ابن هشام : « قالها رجل من المسلمين غير على بن أبي طالب » - يوم النضير :

عن الكَلِم المُحْكَمِ اللاءِ من ... لَدَى الله ذِى الرَّأفَةِ الأرْأفِ
رسائلُ تُدْرَسُ فى المُؤمنينَ ... بهنَّ اصْطَفَى أحمدَ المُصْطَفِى.[٧٦]

فقد أحكمت آياته من لدن الله ، وبقيت فى المؤمنين « رسائل » تدرس للعلم والفقه والعظة والاعتبار . وهى كذلك فى قول كعب بن مالك :

ومَواعِظٍ من ربِّنا نُهْدَى بها ... بلِسانِ أزْهَرَ طَيِّبِ الأثْوابِ
عُرِضَتْ علينا فاشْتَهَيْنا ذِكْرَها ... من بَعْدِ ما عُرِضَتْ على الأحْزابِ
حِكَماً يَراها المُجْرِمونَ بِزَعْمِهِم ... حَرَجاً ويَفْهَمُها ذوو الألْبابِ.[٧٧]

فهى حكم « ومواعظ» يهتدون بها ، وقد تردد لفظها على لسان النبى الصادق الذى لم يعرف قط بالكذب أو الافتراء ، وقبلها المؤمنون فآمنوا بها وصدقوا أنها من عند الله، من بعد أن كفر بها الأحزاب ، ورأوا فيها بزعمهم - كذباً وزوراً وافتراءً على الله - «حرجاً» وضيقاً ، وفهمها - كما يقول« ذوو الألباب » ، ممن هداهم الله إلى الإيمان.

ويقول كعب، فى موضع آخر :

قَومٌ بهم عَصَمَ الإلهُ عِبادَهُ ... وعليهمُ نزلَ الكتابُ المُنْزَلُ.[٧٨]

مفتخراً بالمسلمين ومن استشهد فى يوم مؤتة ، فيكفيهم أن الله قد عصم بهم العباد- من آمن منهم - من الضلال ، وأنزل عليهم الكتاب دستوراً وشريعة ومنهجاً .

ولعدى بن حاتم الطائى فى الردة :

---

(٧٦) السيرة النبوية م ٢ ص ١٩٧ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٩٥ .

(٧٧) السيرة النبوية م ٢ ص ٢٦٠ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٥٦٠ .

(٧٨) السيرة النبوية م ٢ ص ٣٨٦ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٧١٠ .

نُغـاوِرُهم بالخَيْلِ حـتَّى نُقيمَـهم   بصُمِّ العَـوالي والـصَّـفيحِ المُهنَّدِ
وحـتَّى يُقِـرُّوا بالنُّبُـوَّةِ أنَّهـا   من اللهِ حَقٌّ والكتابُ لأحْـمَدِ. (٧٩)

فشرط من شروط الإسلام - كما يفهم من قول عدى - الإقرار بالنبوة والكتاب ، وإلا ما قاتل عليهما - مع من ثبت على الإسلام -من ارتد من فزارة وذبيان ونحوهما .
ولكعب بن زهير فى الاعتذار :

مَهْلاً هداكَ الذى أَعْطاكَ نافلةَ الـ   قُرآنِ فيـها مَواعِيظٌ وتَفْـصِيلُ. (٨٠)

فالقرآن عطاء الله لنبيه ، فيه - له ولأمته - مواعظ ، وفيه - ولعله يعنى التشريع - « تفصيل » لما يحتاجون إليه فى حياتهم من الأحكام .

والقرآن بعد مفخرة لهم ؛ ففيهم تنزل السور والآيات :

نُجالِدُ النَّاسَ عن عُرْضٍ فنأسِرُهُمْ   فِينا النَّبِيُّ وفـينا تُنْزَلُ السُّوَرُ. (٨١)

وبه استغنى بعضهم زهداً وورعاً - عن قول الشعر ، وهو الذى لا تدعه العرب - كما قيل - حتى تدع الإبل الحنين ، وودع - التزاماً لما جاء فيه - مظاهر اللهو والفجور :

تركتُ الشِّـعْـرَ واسـتـبـدلتُ منه   إذا داعِى صَـلاةِ الصُّـبْحِ قـامـا
كـتـابَ الـلهِ ليسَ لـه شَـريكٌ   ووَدَّعْتُ المُدامـةَ والنَّـدامَى. (٨٢)

وعليه استحلف أمية بن حرثان بن الأسكر ابنه ، وذكره به إن حفظ له حرمة ورعاه - وهو حقه فيهم - ألا يتركه وأمه شيخين ضعيفين ويرحل عنهما للجهاد :

(٧٩) كتاب الردة ص ١٠٠ .

(٨٠) ديوانه ص ١٩ .

(٨١) طبقات فحول الشعراء م ١ ص ٢٢٥ ، والعمدة جـ ١ ص ٢١٠ .

(٨٢) الإصابة جـ ٣ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، جـ ٥ ص ٩٥ ، وأسد الغابة جـ ٣ ص ٥١٠ ، والاشتقاق لابن دريد جـ ٢ ص ٣٨٨ ، والتعريف فى الأنساب ص ٢٣٣ ، ومن الضائع من معجم الشعراء ص ٧٣ ، وشعر الدعوة ص ٤٩٨ . وقد جاء البيتان مع اختلاف فى الرواية والنسبة بالإصابة جـ ١ ص ٤٦٦ ، وشعر الدعوة ص ٤٩٩ .

لِمَنْ شَـيْـخانِ قـد نَشَـدا كِـلاباً كِتابَ اللهِ إنْ حَـفِظَ الكِتابا؟[٨٣]

ومن حقوق القرآن كذلك تلاوته وتدبر ما فـيه ، وقد جاء على لسان النبى ﷺ فى القرآن الكريم ﴿ يا رَبِّ إنَّ قَـوْمِى اتَّخَذُوا هذا القُرْآنَ مَهْـجُورا﴾[٨٤]. وسجل حميد بن ثور تلاوة النبى له فى قوله

حَـتَّـى أرانا رَبُّنا مُـحَـمَّـداً يَتْلُو من اللـهِ كِتـاباً مُـرْشِـدا.[٨٥]

ووصفه بأنه « من الله » ، وأنه كتاب هدى ورشـاد . كما سجلها قيس بن طريف الأشجعى فى قوله :

رَسُـولٌ من الرَّحْـمَنِ يَتْلُو كِـتـابَهُ وشِـرْعَتَـهُ والحَقَّ لم يَتَلَعْـثَمِ.[٨٦]

وقد ربط بين القرآن و« الحق » - وهى صفته - و« الشرعة » أو المنهج وهى إحدى مضامينه ومحـتواه .وسجل عبد الله بن رواحة - فيما نقله البـخارى من شعره فى مدح رسول الله - تلاوتهم له ؛ حيث يقول :

وفِـينا رَسُـولُ اللهِ نَتْلُو كِـتـابَهُ إذا انْشَقَّ مَعْـروفٌ من الفجـر ساطِعُ
يَبِـيتُ يُجـافِى جَنْبَـهُ عن فِراشِـهِ إذا استـثـقلتْ بالمشركينَ المَضاجِعُ.[٨٧]

---

(٨٣) طبقات فـحول الشعراء م ١ ص ١٩١ . وفى الحلف به - على اعـتبار أنه كلام الله - نجـد كذلك قول عمار بن غيلان الثقفى :

حَلَفْتُ لهم بما يَقُولُ مُحَمَّدٌ وباللهِ إنَّ اللهَ ليسَ بغافِلِ .

الإصابة جـ ٤ ص ٤٧٢ . وقول عبد الله بن عمر - فيما نسب إليه بكتاب فتوح الشام - :

وحَقِّ مَنْ أنْزَلَ الآياتِ فى السُّوَرِ وأرْسلَ المُصْطَفَى المَبْعُوثَ من مُضَرِ .

فتوح الشام جـ ٢ ص ١٤٤ ، وشعر الدعوة ص ١٧٦ .

(٨٤) الفرقان - من الآية ٣٠ .

(٨٥) ديوانه ص ٧٨ .

(٨٦) الإصابة جـ ٥ ص ٣٦٦ .

(٨٧) البداية والنهاية م ٢ ص ٧٠٦ .

ولعله يعنى « قرآن الفجر» الذى يقول فيه المولى تبارك وتعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٨٨). أو تلاوتهم له آناء الليل وأطراف النهار؛ فالفجر هو الملتقى بين الليل والنهار . وقد يكون الفعل « نتلو» مصحفاً - فيما أظن - عن « يتلو»؛ فتكون التلاوة للرسول ﷺ ، ويتناسب من ثم مع البيت التالى له وما يليه من الأبيات(٨٩).

٦-ونلمح فى ثنايا وصفهم للنبى ﷺ - وقد وصفوه بصفات كثيرة - التركيز على صفات أربع ، هى - فى الحق - شروط من شروط « الرسول » - أى رسول - كما يقول الفقهاء فيما بعد لأداء الرسالة على وجهها ؛ الصدق ، والأمانة ، والتبليغ ، والفطانة أو الذكاء .

فالصدق مدعاة لعدم الكذب فيما يبلغه عن الله أو الاختلاق أو الافتراء ، ومدعاة كذلك لحسن الظن والتصديق به من قبل العباد ، وقد عُرِفَ ﷺ - حتى قبل بعثته - بالصدق ، فلم يؤثر عنه فى خبر - ولو ضعيف - أنه كذب عليهم فى شىء من أمور الدنيا ، فكيف بأمر الدين ؟ وكيف بالوحى والكتاب ؟ لقد كان ﷺ - وما أكثر شهادتهم له بذلك - صادقاً ، لا يقول إلا الصدق :

فـألْفَـيْتُ النَّبِىَّ يـقـولُ قَـوْلاً ... صَدُوقاً ليسَ بالقَوْلِ الكَذُوبِ. (٩٠)

إن نطق فإنما ينطق بالحق :

الحَقُّ مَنْطِقُـهُ والعَـدْلُ سِـيرَتُهُ ... فمَنْ يُجِبْـهُ إليه يَنْجُ من تَبَبِ. (٩١)

---

(٨٨) الإسراء - من الآية ٧٨ .

(٨٩) وفى القرآن كذلك وما كانوا يعتقدون فيه من التنزيل والقداسة ووجوب الإيمان ونحوها انظر : (الإصابة جـ ٣ ص ٤٩٣ ، جـ ٥ ص ١١٠ ، والاستيعاب ص ٣٧٧ ، وأسد الغابة جـ ٤ ص ٢٥٤ ، والعقد الفريد جـ ٥ ص ٩٦ ، وتفسير ابن كثير جـ٤ ص ٣٣٤ ، ومن الضائع من معجم الشعراء ص ٧١ ، ٨٦، وشعر الدعوة ص ٤٧ ، ١١٥ ، ١٥٩ ، ٣٥١ ، ٣٧٠ .

(٩٠) الإصابة جـ ٢ ص ٣٦٧ ، والاستيعاب ص ٤٨٣ ، وأسد الغابة جـ ١ ص ٤٤ ، وشعر الدعوة ص ١٠٧ .

(٩١) السيرة النبوية م٢ ص ١٦١ ، وشعر الدعوة ص ٣٦٤ .

وهو «مُصَدَّقٌ» – بصيغة اسم المفعول – فيهم :

لنا حَوْمَةٌ لاتُسْتطاعُ يَقُودُها   نَبِيٌّ أتى بالحَقِّ عَفٌّ مُصَدَّقٌ.[٩٢]

ولم يعرف عنه بين الخلائق كذب قط :

فَيَحْمِلُ هذا حَمْلَةَ ضَيْغَمٍ   ويُرْضِى رَسُولاً فى الوَرَى غيرَ كاذِبِ.[٩٣]

حتى الذين ارتدوا عن الدين لم يسع بعضهم إلا الاعتراف له – فى أشهر ما قيل فى الردة من الأشعار – بالصدق :

أطَعْنا رَسُولَ اللهِ إذ كانَ صادِقاً   فيا عَجَباً ما بالُ دِينِ أبى بَكْرِ.[٩٤]

وفى ديوان حسان :

وقالَ اللهُ قد أرْسَلتُ عَبْداً   يَقُولُ الحَقَّ إن نَفَعَ البَلاءُ.[٩٥]

فهو لا يقول إلا الحق ولا ينطق إلا به ، لذلك فقد صدقوه وآمنوا بما جاء به :

وقُلْنا صَدَقْتَ بما جِئْتَنا   هَلُمَّ إلينا وفِينا أقِمْ.[٩٦]

وفى شعر ابن الزبعرى – وهى شهادة يسجلها له فى أول عهده بالإسلام –:

جِئْتَنا باليَقِينِ والبِرِّ والصِّدْقِ   وفى الصِّدْقِ واليَقِينِ سُرُورُ.[٩٧]

ويشهد له كذلك بالصدق جهيش بن أويس النخعى ؛ فيقول من أبيات :

ألا يا رَسُولَ اللهِ أنتَ مُصَدَّقٌ   فبُورِكْتَ مَهْدِيّاً وبُورِكْتَ هادِيا.[٩٨]

---

(٩٢) السيرة النبوية م ٢ ص ١٤٤ ، وشعر الدعوة ص ٢٢٤ .

(٩٣) فتوح الشام جـ ١ ص ١٩٥ ، وشعر الدعوة ص ١٧١ كذا ، وفى الشطرة الأولى خلل عروضى واضح، ولعل الصواب فيه : « فيحملُ هذا فيهمُ كالضَّيَاغِمِ » .

(٩٤) ديوان الحطيئة ص ٣٢٩ .

(٩٥) ص ٧٥ .

(٩٦) ديوان حسان ص ١٣٩ . وفى زياداته (ص ٣٨٤) :

رَسُولٌ نُصَدِّقُ ما جاءهُ   من الوَحْىِ كانَ سِراجاً مُنيراً .

(٩٧) شعر عبد الله بن الزبعرى ص ٣٥ .

(٩٨) الإصابة جـ ١ ص ٦٢٥ .

وهو ﷺ – وتلك شهادة ثالثة – « الصادق المصدوق » :

إلى النَّبِيِّ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ[99].

وقد جمع له فيه بين صيغتي اسم الفاعل والمفعول ، ليعبر عن حاله ﷺ ، وعن أثر هذه الحال التي دفعتهم إلى التصديق دفعاً . ويقسم مالك بن نمط على أنه ﷺ مصدق فيهم ، وأنه رسول أتى من عند ذي العرش [100]، وكذلك يقسم ظبيان بن كدادة بأنه – وقد جمع بين الأمانة والصدق وصفات أخرى كالوفاء ، ثم بين هذا كله من ناحية والرسالة من ناحية ثانية – « وَفِيٌّ أمين صادق القول مرسل »[101].

وفي أمانته ﷺ – وكان يلقب قبل البعثة بالأمين – نجد قول بعضهم ، وقد جمع له– كما جمع ظبيان – بين الأمانة والصدق :

حتَّى أَنَخْنا بجَنْبِ الهَضْبِ من مَلأٍ   إلى الرَّسُولِ الأَمِينِ الصَّادِقِ الهادِي.[102]

فهو ﷺ « أمين » و« صادق » و« هاد» و« رسول » ، بل هو في هذا كله العلم المفرد ، فحُقَّ تعريفها جميعاً بـ« ال »ولم يأت بها نكرات . فإن قيل « الصادق الأمين والرسول الهادي » فلن ينصرف الذهن إلا إليه عليه الصلاة والسلام . ويقول جرير البجلي :

مَضَيْنا يَقِيناً على دِينِنا   ودِينِ النَّبِيِّ مُجَلِّي الظُّلَمْ
أَمِينِ الإِلهِ وبُرْهانِهِ   وعَدْلِ البَرِيَّةِ والمُعْتَصَمْ.[103]

فيصفه ﷺ بالأمانة والعصمة والعدل ؛ فهو « أمين الإله » ، وهو كذلك – في قول سعدى بنت كريز – « أمين الله » :

---

(99) شعر الدعوة ص ٣١ .

(100) الاستيعاب ص ١٣٦١ ، وشعر الدعوة ص ٥٦ .

(101) الاستيعاب ص ٧٧٨ ، والإصابة جـ ٣ ص ٤٥٤ ، وشعر الدعوة ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(102) الإصابة جـ ١ ص ٥٩٨ .

(103) وقعة صفين ص ١٨ .

فدؤاكَ يا ابنَ الهاشمِيِّينَ مُهْجَتِى فأنتَ أمينُ اللهِ أُرْسِلتَ فى الخَلْقِ.(١٠٤)

وعند العباس بن مرداس : « أمين على القرآن »(١٠٥)، وعند عمرو بن معد يكرب- وقد مر بنا - « الأمين »(١٠٦) . ولشيوع أمانته فى الناس قال أبو العاص فى زينب ابنته ﷺ :

بِنْت الأمينِ جَزاها اللهُ صالِحَةً وكلُّ بَعْلٍ سيُثْنِى بالذى عَلِما.(١٠٧)

ولم يكن الكفار ينكرون - كما ذكرت - أمانته.

ولأنه رسول فهو مكلف من قبل الله عزوجل بتبليغ الرسالة ، دونما زيادة - وهو ما تقتضيه الأمانة - أو نقصان . وفى أدائه تلك الأمانة كانت شهادة غير واحد ممن عاصره من الشعراء ؛ كسلمة بن عياض الأسدى ، وفيه يقول :

رَأَيْتُكَ يا خيرَ البَرِيَّةِ كُلِّها نَشَرْتَ كِتاباً جاءَ بالحَقِّ مُعْلِما

شَرَعْتَ لنا فِيه الهُدَى بعدَ رَجْعِنا عن الحَقِّ لَمَّا أصبحَ الأمْرُ مُظْلِما.(١٠٨)

فقد نشر فيهم كتاب الله عزوجل ، وهو الكتاب الذى نزل عليه بالحق ، وحمل بين دفتيه هدى السماء وما شرعه الله تبارك وتعالى للخلق .

ويقول كعب بن مالك :

نَذِيرٌ صادِقٌ أدَّى كِتاباً وآياتٍ مُبَيِّنَةً تُنِيرُ.(١٠٩)

فهو - وقد أشار إلى كونه نذيراً ووصفه ﷺ بالصدق - قد أدى الكتاب الذى أُمِرَ

---

(١٠٤) الإصابة جـ ٨ ص ١٧٨ ، والبداية والنهاية م ٤ ص ٢٦٣ .

(١٠٥) الأغانى (ط . الشعب) ص ٥١٧٥ ، والبداية والنهاية م ١ ص ٧٩٣ ، وشعر الدعوة ص ٤٧ .

(١٠٦) شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى ص ١٦٨ .

(١٠٧) أنساب الأشراف جـ ١ ص ٣٩٨ .

(١٠٨) الإصابة جـ ٣ ص ١٢٨ ، ٤٩٣ ، ومن الضائع من معجم الشعراء ص ٧١ ، ٨٦ ، وشعر الدعوة ص ٣٥١ .

(١٠٩) السيرة النبوية م ٢ ص ١٩٩ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٩٤ ، وتفسير ابن كثير جـ٤ ص ٣٣٤ ، وشعر الدعوة ص ٢٦١ .

بتبليـغه ، وفيه مـا فيه من الآيات المبينة ، التى طـالما أنارت لهم ظلمات الطريق . وفى إشارة محكمة لما بَلَّغهُ المصطفى على الإجمال يقول حسان :

وأنـذَرَنا نـاراً وبَشَّـــــــرَ جَنَّـةً   وعَلَّمنا الإسلامَ فاللهَ نَحْمَدُ.(١١٠)

والجنة والنار إشارة إليهـما على الحقيقة ، وإلى البـعث والجزاء ضمناً ، وإلى منهج القرآن – مـجازاً – فى الدعوة ؛ حـيث يميل كثيـراً إلى الترغيب والتـرهيب ، و« تعليم الإسلام» يشمل الرسالة كلها ، و« الحمـد لله » عقبى الأداء . وطالما ذكروا فى شعرهم دعوته ﷺ – وهى قرينة التبليغ – وجهاده فى سـبيل نشرها ، وكيف كان الناس بإزائها ما بين مصدق لها ومكذب (١١١).

وفى لمحة أخرى من لمحـات حسان ، نراه يشير إلى الفـطانة أو الذكاء؛ حين يقول فى رثائه ﷺ :

تَناهَـتْ وَصــاةُ المُسْـلِمينَ بكَـفِّــه   فلا العِلْمُ مَحْبُوسٌ ولا الرَّأىُ يُفْنَدُ.(١١٢)

يعنى رأيه ﷺ ؛ فلا مجال – وقد بنى الفعل لـلمجهول – لتفنيده على الإطلاق ، وجمع بين هذه الصـفة – صفة الذكـاء – والتبليغ – الذى نلمحه فى قـوله « فلا العلم محبوس » – فى شطرة واحدة ، والتبليغ يحتاج – كما هو معلوم – إلى الذكاء ، فقرن بينهما من ثم .

٧– ويثبتون له ﷺ – فيما يعتقدون – الشفاعة يوم القيامة؛فهو شفيعهم عند الله ، ليغفر الله لهم ، ويتجاوز عنهم ، ويدخلهم الجنة بفضله ورحمته ، وينجيهم من عذاب النار . يقول حسان بن ثابت فى شهداء بدر :

---

(١١٠) ديوان حسان – ت . د . سيد حنفى حسنين – ص ٣٣٩ .

(١١١) منها على سبيل المثال لا الحصر : (ديوان حسان ص ١٣٩ ، ١٦٢ ، ٢٧١ ، ٣٣٨ ، ونهاية الأرب جـ ١٨ ص ١٤٨ ، والإصابة جـ ١ ص ٢٤٣ ، جـ ٥ ص ٩٨ ، وأسـد الغابة جـ ٢ ص ٤٢٥ ، وشـعر الدعوة ص ٣٣) .

(١١٢) ديوان حسان ص ٣٨٠ .

دَعـا فـأجـابُوهُ بحَقٍّ وكُـلُّهم — مُطِيـعٌ له فى كلِّ أمْـرٍ وسـامِعُ

فـما بَدَّلُوا حـتَّى تَوافَوْا جَـماعـةً — ولا يَقْطَعُ الآجـالَ إلا المصَـارِعُ

لأنَّهمُ يَرْجُـونَ منه شَـفـاعـةً — إذا لم يكنْ إلا النَّبِيِّينَ شافِعُ. (١١٣)

فاستجابتـهم لدعوته وجهادهم معه وطاعتهم له رجـاء تلك الشفاعة ، فى وقت لا يشفع فـيه - على حد قوله - بين يدى الـله عزوجل إلا الأنبياء . ويقـول عسكلان بن عواكن :

فكـن شَـفِـيـعِى إلى مَلِـيكٍ — يَدْعُـو البَـرايا إلى الصَّـلاحِ. (١١٤)

وكان قد بعث به - بعد إسلامه - مع أبيات أخرى إلى النبى ، ولعلها - كما يفهم من السياق - شفاعة خاصة بقبوله بعد أن أعلن دخوله فى الإسلام ، والتجاوز عما كان منه قبل الإسلام ، أو هى الشفاعة العامـة بين يدى الله يوم القيامة ، كـتلك التى أخبر عنها حـسان ، وكان الرجل - كـما تذكر الأخـبار - على علم بأديان السمـاء ، وكان ينتظر مبعث النبى ويسأل عنه تجار مكة قبل بعثته بزمان .

ويقول عبد الله بن رواحة :

أنتَ النَّبِىُّ ومَنْ يُحْـرَمْ شَـفـاعَتَـهُ — يومَ الحِساب لقد أزْرَى به القَدَرُ. (١١٥)

فربط بينها وبين يوم القيـامة مسمياً له فى دقة يقتضـيها الموضع بـ« يوم الحساب» ، وسوف يحرم فيه من تلك الشفاعة فلا ينالها قوم ، مما يدل - كما يفهم من قوله - أنها ستكون لبـعض دون بعض ، والمحروم - كما يقـول - هو من أزرت به الأقدار ، وهى جملة مبهـمة قد تعنى من لم يُهْدَ فى الدنيا إلى الإسلام ، وقد تشمل - فـيما تشمل - بعض أهل الإسلام .

ويقول مازن بن الغضوبة :

---

(١١٣) المصدر نفسه ص ٢٤١ .

(١١٤) الإصابة جـ ٥ ص ٩٨ ، وشعر الدعوة ص ٤٩ .

(١١٥) الاستيعاب ص ٩٠٠ ، وشرح شواهد المغنى ص ٢٩٣ .

إليكَ رَسُــولَ اللهِ خَـبَّتْ مَطِـيَّــتى ... تَجُوبُ الفَيافِى من عُمانَ إلى العَرْجِ
لتَـشْفَعَ لى يا خـيرَ مَنْ وَطِئَ الحَـصَى ... فيَغْفِرَ لى ربِّى فأرْجِعَ بالفَلْجِ.[(١١٦)]

فى الدنيا ؛ بقبـول إسلامه والرضا عنه ، أو الآخرة ؛ بالمغفـرة والجنة ، أو بهما - ولا يمنع أحدَهما السياقُ - معاً .

ويعتقدون بأفضليته ﷺ ، وخيريته على سائر البشر ؛ يقول حسان :

مُسْـتَشْـعِرِى حَلَقَ الماذِىِّ يَقْـدُمُهم ... جَلْدُ النَّحِـيزَةِ مـاضٍ غيرُ رِعْـدِيدِ
أعْنِى الرَّسُــولَ فـإنَّ اللهَ فَــضَّلَهُ ... على البَرِيَّةِ بالتَّقْوَى وبالجُودِ.[(١١٧)]

فهو ﷺ أفضل البـرية ؛ بتفضيل الله له عليها ، ويعلل هذا الفضل بقـيمتين - قد يغنيان فى هذا المقام عن غـيرهما - إحداهما دينية وهى « التقـوى» ، والأخرى تعارفوا عليها فى الجاهلية - ولا يمنع منها الدين - وهى « الجود » .

وليس له - كما يقول فى بيت آخر - ند أو مثيل ؛ فهو الفرد فى فضله :

منهم رَسُـولُ الهُـدَى واللهُ فَـضَّلَهُ ... مـا فى الأنامِ لـه عِـدْلٌ ولا كَـثَبَ
قَرْمٌ أضاءتْ له الظَّلْمـاءُ وانْقَشَعَتْ ... عنه العَمـايَةُ والأهْوالُ والكُرَبُ.[(١١٨)]

ويرجع الفضل ههنا - كـما أرجعـه فى القصيـدة السابقة - إلى تفـضيل الله له ، ويعلل الفـضل - أو يقدم الدليل عليـه - بالبيت الثـانى ؛ حيث نراه وقـد « أضاءت له الظلماء » ؛ كناية عن الهـدى ، « وانقشعت عنه العمـاية » فهو يبصر بـنور الله ، كما انقشعت عنه الأهوال والكرب ، بحفظ الله ورعايته ، ونصرته وعونه .

وفى داليته التى رثاه بها :

---

(١١٦) الاستيعاب ص ١٣٤٤ ، والإصابة جـ ٥ ص ٥٢١ ، وأسد الغابة جـ ٤ ص ٢١٥ ، والبداية والنهاية م ١ ص ٧٨٨ ، وشعر الدعوة ص ١٠٦ .

(١١٧) ديوان حسان ص ٢٤٢ .

(١١٨) المصدر نفسه ص ١٢١ .

فـجُودِى عـليه بالدُّمُـوعِ وأعْـولِى		لفَـقْدِ الذى لا مِـثْلُهُ الدَّهْرَ يُوجَـدُ

وما فَـقَدَ المَـاضُونَ مِثْـلَ مُحَـمَّدٍ		ولا مِثْلُهُ حتَّى القِيـامَةِ يُفْقَدُ.(١١٩)

فلم يكن ﷺ بشـراً عادياً ، وإنما كان نبـياً رسولاً ، وقـائد أمة ، ومـؤسس بنيان الإسلام؛ ديناً ودولة ، و . . . إلى آخر ما ذكر فيه - فى إطار تأبينه له - من الصفات .

وفى نونية عمرو بن معديكرب الزبيدى :

سَـيِّـدُ العـالَمِينَ طُـراً وأدْنا		هُمْ إلى اللهِ حـينَ بانَ مكانا.(١٢٠)

فهو ﷺ - كما قال عن نفسه -«سيـد ولد آدم ولا فخر » ، أو«سيد العالمين » كما يقول عمرو ، وأقربهم إلى الله منزلةً ومكانة . ويقول مالك بن عوف :

مـا إنْ رأيتُ ولا سَـمِـعْتُ بِمِثْلِهِ		فى النَّاسِ كُـلِّهِم بِمِثْلِ مُـحَـمَّـدِ

أوْفَى وأعْطَى للجَزِيلِ إذا اجْـتُدِى		ومتَى تَشَأْ يُخبِـرْكَ عمَّا فى غَدِ.(١٢١)

وقد حدد الخيرية ههنا بالعطاء - أو الجود كـما ذكر حسان - والإخـبار - بواسطة الوحى ، لا رجماً بالغيب كما كـان يصنع الكهان - عما سوف يكون ، فلا يقف العلم لديه عما كان أو ما هو كائن بالفعل ، وإنما يمتـد - حين يخبره الله فيخبر عنه - إلى ما لم يحدث بعد .

ويقول آخر :

فمـا حَمَلَتْ من ناقَةٍ فـوقَ رَحْلِها		أبَرَّ وأوْفَى ذِمَّةً من مُـحَمَّدِ.(١٢٢)

فيجعلها ههنا فى جهة معـينة ، هى البر والوفاء بالذمم والعهود . وممن جعلها فى ناحية محددة كذلك حسان ؛ حيث يقول :

---

(١١٩) المصدر نفسه ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

(١٢٠) شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى ص ١٦٨ .

(١٢١) السيرة النبوية م ٢ ص ٤٩١ ، وتفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٤٦ .

(١٢٢) الإصابة جـ ٣ ص ٤ ، وشعر الدعوة ص ٥٤٧ .

مَنَعْنـا بهـا خَـيْــرَ البَـرِيَّةِ كُـلِّهـا   إماماً ووقَّـرْنا الكتابَ المُنَزَّلا .(١٢٣)

وقد جعلها فى « الإمامة» أو القيادة والزعامة ، كما جعلها فى موضع آخر فى البر على الإقسام(١٢٤) . وعمرو بن مرة الجهنى ، وفيه يقول :

لأَصْحَبَ خـيرَ النَّاسِ نَفْـساً ووالداً   رَسُولَ مليكِ النَّاسِ فـوقَ الحبائك .(١٢٥)

فهو ﷺ خيرهم «نفساً » وخيرهم كذلك طيب أصل.

ويجعلها بعضهم خيرية على الإطلاق ، دونما تحديد أو تفصيل للقول فى طبيعة هذه الخيرية ، فتـتردد فى شعرهم عبارات من مثل : « خـير البرية كلها »(١٢٦) و« خير من يحفى وينتعل»(١٢٧) ،و« ما مثله فيما مضى»(١٢٨)،و« خير من يمشى على قدم »(١٢٩) ، و« سيد العرب والعجم»(١٣٠) ، ونحوها .

ولا يكتفون بتفضيله على سائر البشر - ولقائل أن يقول إن هذا التفضيل إنما يجىء على اعتبار نبوته ورسالتـه - وإنما يفضلونه على سائر الأنبياء والمرسلين ، وليس فى هذا مخالفة لقول الله عزوجل ﴿**لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ**﴾(١٣١) . لأن المنهى عنه ههنا - كما ذكر المفسرون- هو الاعتراف ببعضهم وإنكار بعضهم الآخر ، وإنما يتمثلون قوله تعالى :

(١٢٣) ديوان حسان ص ٢٧٦ .

(١٢٤) المصدر نفسه ص ٢٧١ .

(١٢٥) الطبقات الكبرى م ١ ص ٤٦٧ ، والبداية والنهاية م ١ ص ٧٦٥ ، ٨٠٥ ، وشعر الدعوة ص ١١٠ .
وفيه يقول كذلك عمرو بن مرة الجهنى :

إلى خَيْرِ مَنْ يَمْشِى على الأرْضِ كُلِّها   وأفضَلِها عندَ اعتكارِ الضَّرائرِ .

شعر الدعوة ص ١١٥ .

(١٢٦) الإصابة جـ ٣ ص ٤٩٣ ، ومن الضائع من معجم الشعراء ص ٧١ ، ٨٦ ، وشعر الدعوة ص ٣٥١ ، ٣٦٨ .

(١٢٧) الإصابة جـ ٥ ص ٤٦٤ ، والطبقات الكبرى م ١ ص ٤٨٩ ، وشعر الدعوة ص ١٠٨ .

(١٢٨) الإصابة جـ ١ ص ٢٤٣ ، وأسد الغابة جـ ١ ص ١٤١ .

(١٢٩) الإصابة جـ ١ ص ٣٥٨ .

(١٣٠) فتوح الشام جـ ١ ص ٢٢ ، وشعر الدعوة ص ١٢٩ .

(١٣١) البقرة - من الآية ١٣٦ .

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾(١٣٢) .
وقوله : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾(١٣٣) . فقد رفع الله تبارك وتعالى بعضهم على بعض ، ورفع - فى عقيدتهم - محمداً عليهم أجمعين؛ فهو ﷺ على حد قول بعضهم « خير الرسل » :

مُحَمَّدِ المُرْسَلِ خَيْرِ الرُّسْلِ .(١٣٤)

وهو كذلك عند عبد الله بن يزيد الهلالى خاتمهم وخيرهم على الإطلاق :

عَمّ النَّبِىِّ المُصْطَفَى ذى الفَضْلِ   وخاتمِ الرُّسْلِ وخَيْرِ الرُّسْلِ .(١٣٥)

وعند ثالث خير نبى مبعوث :

أرْسَلَ فينا أحْمَدا   خَيْرَ نَبِىٍّ قد بُعِثْ .(١٣٦)

لكنهم لا يطيلون فى ذلك ، ولا يفصلون القول كما يفعل بعض المتصوفة فى عصور متأخرة ، ولا يتعرضون كذلك للمفاضلة بينه وبين الملائكة أو غيرها من الخلائق كالعرش واللوح والقلم . ويجعلون له ﷺ - وهى جزء من عقيدتهم فيه - خصوصيات؛ منها أنه خاتم الرسل والأنبياء ، فلا رسول بعده ولا نبى ، وفى ذلك يقول العباس بن مرداس السلمى :

يا خاتمَ النُّبآءِ إنَّكَ مُرْسَلٌ   بالحَقِّ كُلُّ هُدَى السَّبِيلِ هُداكا

إنَّ الإلهَ بَنَى عليك مَحَبَّةً   فى خَلْقِه ومُحَمَّداً سَمَّاكا .(١٣٧)

---

(١٣٢) البقرة - من الآية ٢٥٣ .

(١٣٣) الإسراء - من الآية ٥٥ .

(١٣٤) نهاية الأرب جـ ١٦ ص ١٦٤ ، وشعر الدعوة ص ٣١ .

(١٣٥) الاستيعاب ص ١٩٠٨ .

(١٣٦) البداية والنهاية م ١ ص ٦٦٠ ، وشعر الدعوة ص ١٢٨ .

(١٣٧) السيرة النبوية م ٢ ص ٤٦١ ، والاستيعاب ص ٨١٩ ، والكامل للمبرد جـ ١ ص ٣٣ ، ونسب قريش ص ٢٣٢ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٨٠٣ ، وشعر الدعوة ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

وهو يضيف إلى كونه خـاتم الأنبياء ، ما وضعه الـله فى قلوب أتباعه من المودة له والحب ، واختياره لهذا الاسم المشتق من صيغـة الحمد ، والذى لم يك شائعاً فيهم من قبل ، ولم يتـسم به كما يذكر التاريـخ إلا قلة رغب آباؤهم – وقد سمعـوا من الأحبار بقرب مبـعثه وصفـته – أن تكون النبوة فيهم فـلا تتخطاهم [١٣٨]، لكن اللـه هو الذى سماه– كما يقول العباس[١٣٩] – ولم يكن لآبائه علم بأنه سـوف يكون نبياً مـرسلاً من قبل الله .

وهو كذلـك أول من تنشق عنه الأرض يوم القيـامة ، وأول من يشـفع للخلق بين يدى الله :

أَمِينٌ علـى القُـرآنِ أَوَّلُ شـافِعٍ وأَوَّلُ مَبْعُـوثٍ يُجِيبُ المَلائكا . [١٤٠]

وله كان المعـراج ؛حيث أعرج به جسـداً وروحاً – على اختـلاف بين الفرق – إلى السماء ، ودنا من الله ، حتى كان ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[١٤١]. وكلمه ا لله – بغير واسطة أو وحى – وكلم الله . يقول سهيل بن عدى :

إلى رَبِّ الـسَّـمَـاءِ دَنا عُـلُوّاً وخـاطَبَـهُ شِفـاهاً بالمَقَـالِ . [١٤٢]

وقد جعل الكلام مشافهة ، بالمقال لا بلسان الحال أو المجاز كما قد يُظَنُّ .

ويسجل بعضهم استسقاءهم به فى وقت الجدب ، وكيف كان الله يتقبل منه – وهم خلفه يصلون صلاة الاستسقاء – الدعاء ، فتنشق السماء عن الماء وابلاً غزيراً[١٤٣] ويذكر

(١٣٨) السيرة النبوية م ١ ص ١٥٨ هـ١ .

(١٣٩) وانظر فى تسميته رواية آمنة بنت وهب – أمه ﷺ – بالسيرة م ١ ص ١٥٧ ، ١٥٨ . وفيهـا « أنها أُتيتْ حين حـملت برسول ﷺ ، فقـيل لها : إنك قـد حملت بسـيد هذه الأمـة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد ، ثم سميه محمدا . . . » .

(١٤٠) الأغانى (ط . الشعب) ص ٥١٧٥ ، والبداية والنهاية م ١ ص ٧٩٣ ، وشعر الدعوة ص ٤٧ .

(١٤١) النجم – من الآية ٩ .

(١٤٢) فتوح الشام جـ ٢ ص ٦٣ ، وشعر الدعوة ص ١٨٥ .

(١٤٣) أمـالى ابن دريد ص ١٠١ ، والإصـابة جـ ١ ص ٢٢٨ ، والبـداية والنهايـة م ٣ ص ٥٦٩ ، وشعـر الدعوة ص ٥٥ ، ٣٦٢ .

آخر حفظ الله له ، وحمايته من البشر [١٤٤]. فالله يعصمه - كما يقول فى القرآن[١٤٥] - من الناس .

لكنهم فى هذا كله لم يخرجوا به - كما خرجت اليهود بعزير والنصارى بعيسى بن مريم - عن حدود البشر ، ولم يجعلوا له - كما صنعت المتصوفة فى عصورة متأخرة- طبيعة خاصة ، تفترض - فيما أسموه بـ « الحقيقة المحمدية » - للنبى ﷺ وجوداً قبل وجود الخلق ، ونوراً يتنقل فى الأصلاب ، من لدن آدم حتى أبيه عبد الله - باستثناء قصيدة واحدة تنسب للعباس بن عبد المطلب [١٤٦] ، لم أجد فيما وقفت عليه من شعر تلك الفترة ما يعضدها ، وهى فى رأيى من الشعر المنحول عليه ، والموضوع بآخرة فى بيئات كالأندلس ومصر، إبان انتشار الصوفية بهما - فهو ﷺ فى نهاية المطاف «عبد رسول » [١٤٧] ، اصطفاه الله وارتضاه ليبلغ عنه - إلى العباد - رسالته الخاتمة .

---

(١٤٤) الاستيعاب ص ٥٨٢ ، والإصابة جـ ٣ ص ٣٥ ، وأسد الغابة جـ ٢ ص ١٩٨ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٢١٨ .

(١٤٥) المائدة - ٦٧ .

(١٤٦) الاستيعاب ص ٤٤٧ ، وأسد الغابة جـ ١ ص ٦٩٢ ، والبداية والنهاية م ١ ص ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، وتاريخ الإسلام م ١ ص ٣٠ .

(١٤٧) السيرة النبوية م ٢ ص ٢٦١ ، ٤٥١ ، والإصابة جـ٢ ص ٣٩٦ ، جـ٣ ص ٤٢٤ ، جـ ٥ ص ١٢٧، والبداية والنهاية م ٢ ص ٧٩٦ ، ومن الضائع من معجم الشعراء ص ٦٤ ، ١٠٧ ، وشعر الدعوة ص ١١٩ .



المبحث الرابع

الموت وما بعده

١- كان الشاعر الجاهلى يؤمن بأن الموت واقع لا محالة ، طال الزمان أو قصر ، وأنه لا مهرب منه ولا مفر ، فكل الناس - وهو ما يدركه بالبديهة والمشاهدة - ميتون ، ولا خلود لأحد ، سوقة كان أو كان من الملوك ، لذا فقد ترددت فى قصائدهم وأراجيزهم عبارات من مثل : « كل امرئ فان وإن عزه الأجل »[١] ، و « ما من الموت محالة »[٢]، و« أعلم أن المرء غير مخلد »[٣] ، و« حتى تلاقى الذى كل امرئ لاق»[٤] .

وفى شعر زهير بن أبى سلمى :

وَمَنْ هابَ أَسْبابَ المَنايا يَنَلْنَهُ ... ولو نالَ أَسْبابَ السَّماءِ بسُلَّمِ.[٥]

ولعدى بن زيد :

ليسَ شَىءٌ على المَنُونِ بباقِ ... غيرِ وَجْهِ المُسَبَّحِ الخَلاَّقِ.[٦]

وكلها - وكثير غيرها[٧] - إنما تعبر عن حتمية الموت ، وأنه لا شىء يحول بينه وبين الوقوع ، غير أن هذه الحتمية قد تحولت فى صدر الإسلام -نتيجة الدين الجديد وما جاء به من مفاهيم عقدية - إلى ما يمكن أن يسمى بـ«القدرية » ؛ فهو لا يجىء - كما

---

(١) السيرة النبوية م ١ ص ٢٤٨ ، والاستيعاب ص ٥٤٤ .

(٢) الأغانى (ط . الشعب) ص ٩٦٧٢ ، ومختار الأغانى جـ ٥ ص ٣٨٩ .

(٣) ديوان دريد بن الصمة ص ٦٥ .

(٤) المفضليات ص ٣٠ .

(٥) شرح شعر زهير بن أبى سلمى لأبى العباس ثعلب - ت . د . فخر الدين قباوة (دار الفكر - دمشق سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م) ص ٣٥ . ورواية الأصمعى : « . . . ولورام أسباب السماء بسلم » . وفى رواية ثالثة : « . . . وإن يرق . . . » .

(٦) ديوانه ص ١٥٠ .

(٧) المفضليات ص ٥٤ ، والعقد الفريد جـ ٣ ص ٢١٥ ، والوحشيات ص ١٢٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، والمثل السائر جـ ١ ص ٣٠٨ ، ومهذب الأغانى جـ ١ ص ٨٤ ، والطبقات الكبرى م ٣ ص ٩٢ ، والبداية والنهاية م ١ ص ٦٤٨ .

كان يظن زهير مثلاً - « خبط عشواء»[8] ، يصيب من يصيب ، فمن أصابه مات، ويخطئ من يخطئ فيعمر حتى يهرم من أخطاه ، وإنما هو أمر محكم - لا مجال للخطأ فيه - يقدر الله له وقتاً ، فلا يقدم ولا يؤخر ، ولا يبدل ولا يرد ، ولقد عيب على أحد الشعراء المسلمين قوله - وقد استوحى معنى بيت زهير -:

رأيتُ المَنايا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصِبْ يَصِرْ حَرَضاً من عَرْكِها بالكَلاكِلِ.[9]

لأن هذا المعنى بعينه - وإن كان مقبولاً مستساغاً فى العصر الجاهلى - لم يعد له قيمة - بعد أن تبين خطله فى الإسلام . يقول المرزبانى فى كتابه « الموشح » : «وقال مؤدبى أبو سعيد محمد بن هبيرة الأسدى فى قول زهير : ... إنه كان يسمع المشايخ يقولون هذا بيت زندقة . . قال : وأعجب من زهير خطأ فى هذا المعنى - لأن زهيراً كان جاهلياً كافراً - زياد بن قنيع النصرى فى سرقته هذا المعنى ؛ لأنه فى أكبر ظنى مسلم ، حيث يقول : ... »[10] . ثم أورد البيت .

ونجد فى الجاهلية كذلك :

شُلَّتْ يَمِينِى ولا أشْرَب مُعَتَّقَةً إذ أخطأ الموتُ أسْماءَ بنَ زِنْباعِ.[11]

وهو مما قاله دريد بن الصمة بعد أن أخطأت ضربته أسماء بن زنباع - وكان قد اختلف هو وأسماء طعنتين - وأصابت ضربة أسماء عينه ، فنسب الخطأ إلى الموت ، كما نسبه من قبل زهير . وفى شعر ضرار بن الخطاب - قبل إسلامه -:

جزَى اللهُ عَنَّا أمَّ غَيْلانَ صالِحاً ونِسْوتَها إذ هُنَّ شُعْثٌ عَواطِلُ

فَهُنَّ دَفَعْنَ الموتَ بعدَ اقْتِرابِهِ وقد بَرزَتْ للثّائِرينَ مَقاتِلُ.[12]

---

(8) شرح شعر زهير ص ٣٤ فى قوله :

رأيتُ المَنايا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ ومن تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فيَهْرَمِ .

(9) الموشح ص ٥١ .

(10) المصدر نفسه والصحيفة .

(11) ديوان دريد بن الصمة ص ١٣٢ .

(12) طبقات فحول الشعراء م ١ ص ٢٥٣ ، والسيرة النبوية م ١ ص ٤١٥ ، وأنساب الأشراف جـ ١ ص ١٣٦ .

والموت لا يدفع - فى المعتقد الإسلامى - بحال ولا يستساغ مثل هذا - فى الإسلام- ولو على سبيل المجاز ، وإنما نجد فيه نحو قول حسان مفتتحاً إحدى مراثيه فى شهداء بدر :

ألا يالقـــــوم هـلْ لما حُـمَّ دافعُ . . ؟ (١٣)

فما «حم» - أى قدر ؛ ويعنى الموت - لا دافع له على الإطلاق ، فأنى - من ثم- بالاستفهام الدال على النفى . ونحو قوله فى رثاء أصحاب الرجيع :

وابـنٌ لطـارِقَ وابنُ دَثْـنَةَ مـنهـمُ   وافـاه ثَمَّ حِمـامُهُ المَكتُـوبُ . (١٤)

حيث جعل الحمام مكتوباً ؛ فهو لا يجىء من ذات نفسه ، وإنما - وهو ملمح من ملامح قدريته - يجىء بقضاء الله . لذلك نراهم ينسبونه إلى القدر ، فيقولون : «كتاب الله » و« حمام المقادر» ، وقد جمع بينهما كعب بن مالك فى قوله :

تَمَنَّـى كـتـــابَ اللهِ أوَّلَ ليـلةٍ   وآخِرَهُ لاقَـى حِمامَ المَـقادِرِ . (١٥)

فقد تمنى عثمان بن عفان رضى الله عنه - مرثيه - الموت أول النهار ، فساقه القدر إليه آخره . ويقول عبد الرحمن بن علقمة الفحل :

وشـامِتٍ بى لا يُخْـفِى عَـداوتَهُ   إذا حِمـامِى ساقَتْـهُ المَقَّادِيرُ . (١٦)

فجعل حمامه مما يجىء به القضاء وتسوق إليه الأقدار . ومن ملامح قدريته كذلك الوقت المعلوم ؛ فللمـوت لحظة محددة لا يتـقدمون عنـها ولا يستـأخرون ، وفى ذلك يقول أبو زبيد الطائى :

وقَطْرَةٌ قَطَرَتْ إذ حـانَ مَـوْعِـدُها   وكلُّ شىءٍ له وَقْتٌ ومِـقْدارُ . (١٧)

فإن كل على بن أبى طالب رضى الله عنه قد مات فإن موته - أو بالأحرى قتله - قد جـاء فى الوقت المحـدد له عند الله ، وكل شىء - لا الموت فحـسب - له « وقت»

(١٣) ديوانه ص ٢٤١ .

(١٤) المصدر نفسه ص ١٧٣ .

(١٥) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١١٧ ، جـ ٣ ص ٢٣٠ .

(١٦) الإصابة جـ ٥ ص ١٠٧ .

(١٧) شعراء إسلاميون ص ٦١٢ .

ينتهى عنده ، وله كذلك « مقدار » . ويقول عبدة بن الطبيب :

حتَّى إذا وافَى الحِـمـامُ لوَقْـتِـهِ ولكلِّ جَنْبٍ لا مَحالَةَ مَصْرَعُ.[18]

حل الموت ، بوفاء موعده وبلوغ زمانه . ويقول عبد الله بن رواحة فى أرجوزة له:

يا نَـفسُ إلاَّ تُـقْـتَـلِى تَـمُـوتِى.[19]

فهو يؤمن أن النفس لا يؤخر وقتها ، فإن لم يمت قتلاً - وكان بساحة الجهاد - فسوف يأتيه الموت فى اللحظة نفسها بسبب آخر غير القتل ، بينما يأتى على لسان الكفار- كما حكى القرآن الكريم- كلمتهم : ﴿لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾[20]. وعلى لسان آخرين ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾. فيرد عليهم المولى تبارك وتعالى - مرسخاً لفكرة اللحظة الموقوتة -: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ . . .﴾[21]. وهو ما استلهمه عنه ابن رواحة واستوحى - مواجهاً به تردد النفس وقد أحاط به الموت من كل الجهات - مضمونه وفحواه.

ولم يكن محض صدفة أن يشيع فى شعرهم لفظ « الأجل » فى التعبير عن الموت[22]، وهو ما ندر استعماله - ولم يجئ إلا فى مواضع قليلة جداً يغلب عليها فى ظنى الوضع - فى أشعار الجاهليين [23].

---

(18) المفضليات ص ١٤٩ .

(19) السيرة النبوية م ٢ ص ٣٧٩ ، والاستيعاب ص ٨٩٩ .

(20) آل عمران - من الآية ١٥٦ .

(21) آل عمران - من الآية ١٥٤ .

(22) ديوان لبيد ص ٢٣٦ ، وديوان الشماخ ص ٤٥٦ ، والإصابة جـ ٥ ص ٥٠١ ، والطبقات الكبرى م ٣ ص ٣٩٥ ، والبداية والنهاية م ١ ص ٥٣٠ ، والمثل السائر جـ ١ ص ١٥٠ ، ونهاية الأرب جـ ٨ ص ١٢٠ ، والمعمرون ص ٨٣ ، وشرح شواهد المغنى ص ١٥٥ ، والتعريف فى الأنساب ص ٧٧ ، وشعر الدعوة ص ٥٤ .

(23) منها لحارثة بن شراحيل (الاستيعاب ص ٥٤٤) :

حَيَاتِى أو تَأتِى علىَّ مَنِيَّتِى وكلُّ امرئٍ فانٍ وإنْ عَزَّهُ الأَجَلْ .

٢- ويرون أن الموت - وهو ملمح ثالث من ملامح قدريته - صيرورة إلى الله ورجوع إليه ؛ فمن مات عاد - لا فات - ليبدأ منذ مجيء الموت مرحلة (البرزخ) - لا الفناء- ثم يتلوها - حين يشاء الله - البعث . وهو معنى قولهم فى الاسترجاع - حين يلم بهم مصاب أو ينزل بساحة أحدهم الموت - :« إنا لله وإنا إليه راجعون » تقول ليلى الأخيلية :

وكلُّ شبابٍ أو جَديدٍ إلى بِلًى وكلُّ امْرئٍ يَوْماً إلى اللهِ صائرُ.(٢٤)

تعني بالموت؛ وكلٌّ سوف يدركه البلى ، وكلٌّ سوف يصير إلى الله . ويقول أبوسفيان بن الحرث :

رَجاءَ ثواب اللهِ واللهُ واسعٌ إليه تَعالَى كلُّ أمْرٍ سيَرْجِعُ.(٢٥)

فالمآل إليه - بل إليه وحده ، ولذلك قدم شبه الجملة على سبيل التخصيص والتأكيد- وهو أمر لا مهرب منه ولا مفر . ويقول حسان :

فأصبحَ مَحْمُوداً إلى اللهِ راجعاً يُبَكِّيه حَقُّ المُرْسَلات ويَحْمَدُ.(٢٦)

يعنى النبى ﷺ - والبيت من قصيدة فى رثائه - فقد رجع - بالموت - محموداً إلى الله ، بعد أن أدى رسالته على الوجه الذى يرضاه.

وبالموت نلقى الله :

= فى قصة زيد ابنه ، ومعروف فى تاريخ أدبنا القديم العلاقة بين القصص ووضع الشعر أو الانتحال .
وللجليلة بنت مرة (الوحشيات ص ١٢٩) :

فِعْلُ جَسَّاسٍ على وَجْدِى به قاطعٌ ظَهْرِى ومُدْنٍ أجَلِى.

وهو - فضلاً عن مجيئه فى سياق قصة كذلك - لا يتفق وفكرة - اللحظة التى لا تتقدم ولا تتأخر ، وإنما يراد به التعبير عن الموت فحسب مرادفاً لفظياً له ، فهو - كما ترى - يدنو ويقترب ، ولو كان له لحظة ثابتة لما أمكنه الدنو أو الاقتراب .

(٢٤) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٤٥٠ .

(٢٥) الطبقات الكبرى م ٤ ص ٦١ .

(٢٦) ديوان حسان ص ٣٧٩ .

لقـد أصْبحَ الرَّحَّـالُ عَمِّى صـادِقاً   إلى يومِ يَلْقَى اللهَ فى آخرِ العُـمْرِ.[27]

بمجيء الموت إليـه – وهو مـا يؤكده قـوله « فى آخـر العمـر » – أو بالبـعث يوم القيامة، حين يقف العباد بين يديه .

وبه نلقى الأحبـة – ممن قد سبق ؛ يـقول زيد بن الأزور – من أرجوزة له – قـبيل مصرعه يوم اليمامة :

آخِـرُ هذا اليَـوْمِ أَقْـصَى من غَـدِ
إلى مُـلاقـاةِ النَّبِىِّ أحـمـدِ.[28]

فسـوف يلقى النبى – وطالما قد تمنى من قبـل لقاءه – فيا بعـد تلك اللحظات التى تحول بينه وبين تحقق هذا اللقاء .

ويشيرون إلى الروح – إشارات سريعة – فى معرض حديثهم عن الموت ، بما يمكن أن نعتـبره ملمحاً رابعـاً من ملامح قدريتـه ، فالعلاقـة بين الروح – استلالاً وقبـضاً – والموت – ولا أكاد أجد لها ذكراً فيمـا اطلعت عليه من الشعر الجاهلى – قد صارت من الأمـور الواضـحـة المقـررة فى الإسلام ، وطـالما حدثـنا القـرآن الكريم عن ملك – أو ملائكة – الموت[29] ، وعن حشرجـة الروح فى الصدر وبلوغها التـراقى ونحوها[30] ، ونجد فى شعرهم على سبيل المثال :

ونُعْـمـانَ أوْفَـى بمِيـثـاقِـهِ   وحَنْظَلَةَ الخَـيْـرِ لم يُخْنَجِ
عن الحَقِّ حَـتَّى غَـدَتْ رُوحُـهُ   إلى مَنْزِلٍ فـاخـرِ الزِّبْرِجِ.[31]

فقد خرجت روحه – بالموت – إلى مـا أعده له فى الجنة من طيب المقام . وللعباس ابن مرداس مفتخراً بشجاعة قومه – والأرواح تحصد – عند اشتداد القتال :

---

(27) الشعر والشعراء جـ 2 ص 721 .

(28) الإصابة جـ 3 ص 488 ، وشعر الدعوة ص 182 .

(29) السجدة 11 ، النساء 97 ، الأنعام 93 ، الأنفال 50 ، النحل 28 ، 32 ، محمد 27 .

(30) الواقعة 83 ، القيامة 26 .

(31) السيرة النبوية م 2 ص 139 ، والبداية والنهاية م 2 ص 472 ، وشعر الدعوة ص 461 .

الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشِّرْكِ ضاحِيةً   ببَطْنِ مكَّةَ والأرْواحُ تُبْتَدَرُ. (٣٢)

وهو يعبر بابتدار الأرواح عن وقوع الموت وانتشاره ، فالموت حصاد للروح أو «ابتدار» لها على حد تعبيره . ويقول كعب بن مالك معبراً عن الموت ببلوغ الروح - وقد تأثر فى هذا بالمعنى القرآنى - حد التراقى :

إنْ يَنْجُ منها ابنُ حَرْبٍ بَعْدَما بَلَغتْ   منه التَّراقِى وأمرُ اللهِ مَفعولُ. (٣٣)

وتقول عمرة بنت دريد فى المعنى نفسه :

فرُبَّ عَظِيمَةٍ دافعتَ عنهم   وقد بَلَغَتْ نُفوسُهمُ التَّراقِى. (٣٤)

ويفهم من هذا البيت أن النفس - فى معتقدها ، وربما فى معتقد معاصريها كذلك أو فى الأقل بعضهم - لا تختلف عن الروح، وإنما هما شىء واحد ، بخروجه - أو انفصاله عن الجسد - يكون الموت .

٣- ولأن الموت نازل لا محالة - بما قضى الله - فهو الحقيقة الراسخة التى لا شك فيها ، بينما الحياة - بكل ما فيها - زيف وزور :

المَوْتُ حَقٌّ والحَياةُ باطِلُ
وكلُّ ما حَمَّ الإلهُ نازِلُ. (٣٥)

وما الحياة إلا عارية ، لابد يوماً - كما يقتضى حق الإعارة - أن تعود :

فأنْبَأْتُها أنَّ الحَياةَ وأهْلَها   كعارِيَةٍ أوْفَى بها مُسْتَعِيرُها

إلى أهْلِها إنَّ العَوارِى حَقُّها   أداءٌ بإحسانٍ إلى مَنْ يُعِيرُها. (٣٦)

وما العمر إلا وديعة ، والقبر غاية سعينا ، والموت عاقبة الوجود :

ولقد علِمْتُ بأنَّ قَصْرِىَ حُفْرَةٌ   غَبْراءُ يَحْمِلُنى إليها شَرْجَعُ

(٣٢) السيرة النبوية م ٢ ص ٤٦٧ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٨٠٥ ، وشعر الدعوة ص ٣٠٢ .

(٣٣) السيرة النبوية م ٢ ص ١٤٨ .

(٣٤) المصدر نفسه ص ٤٥٤ ، وديوان دريد بن الصمة ص ١٩٧ .

(٣٥) السيرة النبوية م ٢ ص ١٧٠ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٧٩ .

(٣٦) ديوان الشماخ ص ٤٤٠ .

. . . .

إنَّ الحـوادِثَ يَخْـتَــرِمْنَ وإنَّمـا عُمْرُ الفَتَى فى أَهْلِهِ مُسْتَوْدَعُ. (٣٧)

والمرء ضيف على أهله ، يقيـم قليلاً بينهم ، ثم لا يلبث أن يحزم أمتعـته ويتأهب للرحيل :

ألا إنَّمـا الإنسـانُ ضَـيْفٌ لأهْلِهِ يُقيمُ قَليـلاً بينَهم ثم يَرْحَلُ. (٣٨)

وما هو إلا كالشهاب ، يشتعل ويزداد اشتعـالاً ، ثم يخبو ، ويصير ، بعد تأججه كومة - مجرد كومة - من تراب :

وما المَرْءُ إلا كـالشِّهـابِ وضَوْئِهِ يَحُورُ رَماداً بعـدَ إذ هو ساطِعُ. (٣٩)

وإذا كان المرء ضيـفاً على أهله - كما يقـول الصلصال - فإن الأهل أنفـسهم وكذا المال - عند لبيد - مجرد ودائع ، سوف ترد ، قصر الزمان أو امتد :

ومــا المالُ والأهْـلُونَ إلاَّ ودائعٌ ولابُدَّ يَوْمـاً أنْ تُرَدَّ الودائعُ. (٤٠)

وكذلك كل ما فى الوجود من مظاهر العظمة والنفـوذ ، كالملك ؛ فهو عرض زائل وظل فان :

ليسَ لشيءٍ غـيـر تَقْـوَى جَـداءْ وكلُّ شـيءٍ عُــمْــرُهُ للفَـناءْ

والمُلْكُ فى الأقْـوامِ مُسْـتَـوْدَعٌ عـارِيَةٌ فالشَّـرْطُ فيـه الأداءْ. (٤١)

فلا بقاء لأحد على وجهها ، قانون عام ينتظم الخلائق بأسرها :

---

(٣٧) المفضليات ص ١٤٨ ، والحماسة البصرية جـ ١ ص ٢٨٣ .

(٣٨) الإصابة جـ ٣ ص ٣٦١ ، وشعر الدعوة ص ٣٦٩ .

(٣٩) ديوان لبـيد ص ١٦٨ ، والأغانى (ط . الشعب) ص ٥٧٣٤ ، والشـعر والشعـراء جـ ١ ص ٢٧٨ ، والاستيعاب ص ١٣٣٧ ، وأسد الغابة جـ ٤ ص ٢٠٢ .

(٤٠) ديوان لبيد ص ١٦٨ ، والشعروالشعراء جـ ١ ص ٢٧٩ ، والزهرة جـ ٢ ص ٥٥٧ ، وجوهر الكنز ص ١٦٣ ، والوساطة ص ٢٠١ .

(٤١) شعر خفـاف بن ندبة السلمى - جمعه وحققـه د . نورى حمودى القيسى (ساعدت جـامعة بغداد على نشره - مطبعة المعارف - بغداد سنة ١٩٦٧م) ص ٩٩ ، وشعراء إسلاميون ص ٥٠٩ .

تَمَنَّى ابنتـاىَ أنْ يعـيشَ أبوهمـا وهل أنا إلا من رَبِيعـةَ أو مُضَرْ. [٤٢]

حتى الأنبياء :

رأيتُ المَنايا لـم يَهَـبْنَ مُـحَـمَّـداً ولا أحداً ولم يَدَعْنَ مُخَلَّدا. [٤٣]

والملوك :

لم تُغْنِ عن هُرْمُـزٍ يوماً خَـزائنُهُ والخُلْدَ قد حاولتْ عـادٌ فما خَلَدُوا. [٤٤]

والبخيل والجواد :

ذَرِينى فـإنِّى لا أرَى الموتَ تاركـاً بخيلاً ولا ذا جَوْدَةٍ مَيِّتاً هَزْلا. [٤٥]

وكل ابن أنثى لابد أن يحمل يوماً- مهما طال به العمر - فوق الأكف والأعناق :

كلُّ ابنِ أُنثَى وإنْ طالتْ سَلامَـتُهُ يَوْماً على آلَةٍ حَدْباءَ مَـحْمُولُ. [٤٦]

إذ للموت ما يلدون :

فـــإنْ يكـنِ الموتُ أفْـناهـمُ فللمـوتِ مـــا تَلِدُ الوالِدَهْ. [٤٧]

فما من حادث إلا ويدركه البلى :

وأىُّ جَـدِيـدٍ ليسَ يُدْرِكُـهُ البِلَى وأىُّ نَعِـيمٍ ليس يومـاً بزائلِ؟ [٤٨]

ولا دوام إلا لله :

---

(٤٢) ديوان لبيد ص ٢١٣ ، والأغانى (ط . الشعب) ص ٥٧٤١ ، والزهرة جـ ٢ ص ٥٥٤ ، والوحشيات ص ١٥٤ ، والموشح ص ٧ .

(٤٣) ديوان سحيم - ت . عبد العزيز الميمنى - ط ٢ (الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م) ص ٤٠ .

(٤٤) العمدة جـ ١ ص ٣٤ ، ومروج الذهب جـ ١ ص ٢٧٤ .

(٤٥) ديوان عمرو بن شاس ص ٤١ .

(٤٦) جمهرة أشعار العرب ص ٦٣٨ ، وطبقات فحول الشعراء جـ ١ ص ١٠٠ ، والشعر والشعراء جـ ١ ص ١٥٤ .

(٤٧) شعر عبد الله بن الزبير ص ٣٥ .

(٤٨) ديوان حسان ص ١٦٧ .

(٤٩) العمدة جـ ١ ص ٣٤ .

لا شيءَ مما تَرَى تَبْـقَى بَشـاشَـتُـهُ   يَبْقَى الإلهُ ويَفْنَى المالُ والوَلَدُ. (٤٩)

فأينما يكونوا يدركهم الموت ، وإن كانوا تحت الأرض مسافة ستين واد :

ولو كنتُ تحتَ الأرْضِ سِـتِّينَ وادِياً   لما رَدَّ عنِّي ما أَخـافُ حِذارِى. (٥٠)

أو أكثر أو أقل - فلا قيمة للعـدد ههنا - أو كانوا فى قصور محصنة ، أو فى قلل الجبال :

ولو كنتُ فى غُـمْدَانَ يَحْـرسُ بابَهُ   أَراجيـلُ أُحْـبُـوشٍ وأَسْـوَدُ آلِفُ

إذاً لأَتَتْنِـى حـيثُ كنتُ مَـنِيَّـتِى   يَخُبُّ بهـا هادٍ لإِثْرِىَ قـائفُ. (٥١)

فالموت يقتفى - كما يقول - الآثار ، وينقب - كما يرى غيره - ولا يكل من التتبع والبحث :

لَتُـنقِّـبَنْ عـنِّى المَـنِيَّـةُ إنَّ اللـهَ ليـسَ كَـحُـكْمِـهِ حُـكْمُ. (٥٢)

وفى الأمم البائدة مجال للعظة وللاعتبار ، لكل من له عقل يفكر أو قلب يحس :

نَحُلُّ بِـلاداً كُلُّهـا حُلَّ قَـبْـلَنا   ونرجُو الفَلاحَ بعدَ عادٍ وحِمْيَرا. (٥٣)

و« الفلاح » هـهنا هو الخلود كمـا يقول مفـسره ؛ مـحتـجاً بقول المولـى عزوجل ﴿وأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفلِحُونَ﴾ (٥٤) . فتلك آثارهم فى الأرض ، لكن أين هم ؟ لقـد صاروا هلكى ، وسوف نصير مثلهم ، فإن الناس - ويخرج من الخصوص إلى العموم -«أكائل الطير » أو حشو القبور :

فـإنَّمـا النَّاسُ يا لَلَّـهِ أُمَّـهمُ   أَكـائلُ الطَّيْـرِ أو حَشْـوٌ لأَرْجـامِ

هم يَهْلكُونَ ويَبْقَى بعدُ ما صَنَعُوا   كـأنَّ آثارَهم خطَّتْ بأَقْـلامِ. (٥٥)

---

(٥٠) وقعة صفين ص ٤٦٧ .

(٥١) المفضليات ص ٢٨٣ .

(٥٢) المصدر نفسه ص ١١٨ .

(٥٣) جمهرة أشعار العرب ص ٢١ .

(٥٤) البقرة - من الآية ٥ .

(٥٥) شعر الزبرقان بن بدر ص ٥٢ .

فاسع ما شئت ، فـإنك ميت ، وإنهم - بعد - ميتون . لذلك نجد خـفافاً يصرخ قائلاً :

يا هِـنْدُ يا أختَ بـنى الصَّـــارِدِ ... مـا أنا بالبـاقِى ولا الخـالِدِ.[٥٦]

فإن يُمْسِ رُفـاتاً وعظاماً تحت التراب فلن يُصْرِف الموت من بعـده عن أحد ، فكل سوف يموت ، وكل سوف يسلم وجهه للقبر ، ويفتقده الأحبة والأهلون :

إنْ أُمْسِ رَمْسـاً تحتَ التُّرابِ فـهلْ ... تُصْـرَفُ بَعْـــدِى المنونُ عن أَحَـدِ

كلُّ امــرئٍ فــاقِـدٌ أَحِبَّـــتَــهُ ... ومُـسَلِّمٌ وَجْـهَـــهُ إلى البَلَدِ.[٥٧]

ولطالما ردد أبو ذؤيب فى عينيته الشهيرة كلمته - التى ترددت كذلك فى أشعار غيره من الهذليين - « والموت لا يبقى على حدثانه »[٥٨] . مستعرضاً فى كل مرة نموذجاً من نماذج الخلق التى يعـتريهـا - برغم صراعـها من أجل البـقاء - عوامل الهـدم والفناء ، فتنطفئ شعلتها كما انطفأت شعلة بنيه ، وكما سوف تنطفئ شعلته وشعلة غيره ، ما دام الموت يتعقب منذ بدء الخليقة خطوات الأحياء ؛ و« المرء يَسْعَى وله راصد»[٥٩] ، و« كل امرئ هالك »[٦٠] ، و« أمر الله يحدث كل ليلة »[٦١] ، و«الدهر مؤذن بالرحيل»[٦٢]، والدنيا - بـعد - كالزاد ، تفنـى كما يفنى ، وتـزول زهرتها[٦٣] ، ولا يبقـى - وقد وجدوا فى ذلك مجالاً رحباً لـلترقيق وتقوية الوازع الدينى فى الإنسان - إلا الحى الذى لا يموت.

---

(٥٦) شعر خفاف بن ندبة السلمى ص ٤٤ .

(٥٧) المصدر نفسه ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٥٨) المفضليات ص ٤٢٢ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ (الأبيات ١٦ ، ٣٧ ، ٥١) . وديوان الهذليين جـ ١ ص ٤ : ٢١

(٥٩) شعر خفاف بن ندبة السلمى ص ١٠٠ .

(٦٠) تاريخ الطبرى جـ ٤ ص ٤٢٦ .

(٦١) الوحشيات ص ١٧٤ .

(٦٢) كتاب الردة ص ١٩٠ .

(٦٣) شرح شواهد المغنى ص ١٧٨ ، وشعر الدعوة ص ٥٣٢ .

٤- ويأتى بعد الموت القبر ، ممثلاً للمرحلة الانتقالية ، ما بين حياة الإنسان فى الدنيا وحياته فى الآخرة ، وهى التى يطلقون عليها الحياة البرزخية ، ويعتبرها بعضهم - وفى القبر سؤال ، ونعيم وعذاب - أول مراحل الآخرة ، ولا نكاد نعلم عن تلك المرحلة - من شعرهم - إلا القليل ، كصحبة العمل ، شراً كان أو خيراً ، فلا قرين للمرء فى قبره إلا ما كان يفعل من قبل :

تَجَنَّبْ خَلِيطاً من مَقالِكَ إنَّما ... قَرِينُ الفَتَى فى القَبْرِ ما كان يَفْعَلُ.(٦٤)

ولن يصحبه من بعد الموت إلا ما كان يعمل فى دنياه قبل رحيله عنها :

ولنْ يَصْحَبَ الإنسانَ من قَبْلِ مَوْتِهِ ... ومن بعدِه إلاَّ الذى كان يَعْمَلُ .

فليتجنب - من ثم - سفاسف القول وسوء الفعال ، وليعد نفسه لتلك اللحظة أيما إعداد .

ثم يكون المعاد(٦٥)، وهو « القيامة » - فى لفظهم (٦٦) - و« يوم البعث »(٦٧) ، و«يوم الحشر »(٦٨) ، و« يوم الحساب »(٦٩) ، مسبوقاً بما حدثوا عنه من الآيات ؛ كفتنة « المسيخ الدجال » :

إنَّها يا سُعادُ من حَدَثِ الدَّهْـ ... ـرِ عليكم كَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ.(٧٠)

و« النفخ فى الصور» ؛ وفيه يقول العنسى :

---

(٦٤) الإصابة جـ ٣ ص ٣٦١ ، وشعر الدعوة ص ٥٢٩ .

(٦٥) الإصابة جـ ٣ ص ٣٦١ ، وتاريخ الطبرى جـ٣ ص ١٥٠ ، والطبقات الكبرى م ٤ ص ٦١ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٣٢٣ ، وشعر الدعوة ص ١٧٩ ، ٢٨٢ ، ٥٢٩ .

(٦٦) كتاب الردة ص ٢٣٧ .

(٦٧) شرح شواهد المغنى ص ٥٢٢ ، وشعر الدعوة ص ٥٤٣ .

(٦٨) ديوان حسان ص ٣٠٩ ، والسيرة النبوية م ٢ ص ٤٢ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٧٤ ، والدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ص ٥٣٦ ، وشعر الدعوة ص ٤٥٠ .

(٦٩) وقعة صفين ص ٤٩٣ ، وحماسة البحترى ص ٢٥٠ ، وشعر الدعوة ص ٥٣١ .

(٧٠) الإصابة ١٥٧ ، وكتاب الردة ص ١٦٩ ، وشعر الدعوة ص ٨٣ .

لا لا أقـاتلُ عَـمَّــاراً على طَمَعٍ　　بعدَ الرِّوايةِ حـتى يُنْفَخَ الصُّورُ.[٧١]

وهو مما قاله يوم صـفين ، فى اعتزاله لقـتال عمار بن ياسـر رضى الله عنه ، وقد بلغه قول النبى ﷺ لعـمار «تَقْتُلُكَ الفِئةُ البـاغِيةُ»[٧٢] . فسوف يعـتزل قتاله حـتى تقوم الساعة ، وينفخ - كما ذكر - فى الصور .

و« الصيحة » ، وفيها يقول حسان :

تَبْكِى القُـبورُ إذا ما مـاتَ ميِّـتُهُم　　حتَّى يَصِيحَ بِمَنْ فى الأرضِ داعِـيها.[٧٣]

يعنى المشركين ؛ فهو يجىء فى سياق هـجائه لهم ، فقد بلغ من نتن أجسادهم أن القبور تبكى حين يموت أحدهم ، ويظل هكذا حالها مـعهم حتى « الصيحة » الكبرى ، ويوم ينادى بمن فى الأرض فيقوم الناس لرب العالمين :

ولابُدَّ بعـــدَ الموتِ من أنْ تُعِـــدَّهُ　　ليومٍ يُنادَى المَرْءُ فـيه فيُـقْبِلُ.[٧٤]

وهو يوم - كما حَدَّث القرآن الكريم[٧٥]- قريب :

أَبا عُـــبَيـــد رُفِعَ الكِتـــابُ　　واقـتربَ المَوعِـدُ والحِسـابُ.[٧٦]

فيه نلقى الله ربنا :

شَـهِدَ الحُطَيْـئـةُ يـومَ يَلْقَى ربَّهُ　　أنَّ الوَلِيــدَ أَحَقُّ بالعُـــذْرِ.[٧٧]

وإن شك من شك - كالكفار والمرتدين - فيه :

فـيـــا ابنَ الوَلِيـدِ وأنـتَ امْـرُؤٌ　　تُقَاتِلُ مَنْ شَكَّ فى السّاعهْ.[٧٨]

---

(٧١) وقعة صفين ص ٣٤٤ .

(٧٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ٤٠ ، ٤١ . وفى رواية : « تَقْتُلُكَ فِئَةٌ باغِيةٌ » بالتنكير . وفى رواية أخرى : « تَقْتُلُ عَمَّاراً الفِئَةُ الباغِيَةُ » . بالإخبار عنه بدلاً من مخاطبته .

(٧٣) ديوانه ص ١٥٣ .

(٧٤) الإصابة جـ ٣ ص ٣٦١ .

(٧٥) القمر ١ .

(٧٦) الاستيعاب ص ١٦٥١ .

(٧٧) ديوان الحطيئة ص ٢٣٣ .

(٧٨) كتاب الردة ص ١٨٦ .

فإلى الله المرجع والمصير :

فلستُ بمُبْـدٍ للعَـدُوِّ تَخَـشُّـعاً ولا جَزَعاً إنّى إلى اللهِ مَرْجِعى. (٧٩)

ولا حياة - حياة حقيقية كاملة لا يعقبها موت - إلا حياة الآخرة ؛ فـ « لا عَيْشَ إلا عَيْشُ الآخِرَة »(٨٠) - وبه ارتجز المسلمون وهم يبنون المسجد النبوى - ولا خير - كما قالت امرأة من الأنصار - إلا خيرها :

لا هُمَّ إنَّ الخَـيْـرَ خَـيْـرُ الآخِـرهْ. (٨١)

وما بعدها للصالحين - كما يقول الحطيئة - حتوف(٨٢)؛ فهى حياة خالدة ، ودوام لا يزول . وعلى حين ينفى شعراء الكفار - تبعاً لما كان عليه الجاهليون ، فيما عدا قلة منهم كقس بن ساعدة الإيادى وأمية بن أبى الصلت (٨٣) - البعث والنشور ، ويسخرون من النبى وأتباعه ، فيقول قائلهم - على سبيل التهكم والاستهزاء - يوم بدر :

يُخَبِّرُنا الرَّسُـولُ بأنْ سَنَحْـيـا وكيـفَ حياةُ أَصْـداءٍ وهامِ. (٨٤)

وفى رواية أخرى :

أَيُوعِـدُنى ابنُ كَبْـشَةَ أنْ سنحـيا وكـيـفَ حـيـاةُ أَصْـداءٍ وهامِ
أَيَعْـجَـزُ أنْ يَرُدَّ المـوتَ عنِّى ويَنْشُـرنى إذا بَلِيَتْ عِظامى؟(٨٥)

وليس بعيداً عن الأذهان ما صنع أبىّ بن خلف ، حين أتى بعظام نخرة ، وبعثر بعضها بيديه ثم قال للنبى : « أتزعم أنَّ الله يبعث هذا »(٨٦)؟ فنزل فيه قول المولى

---

(٧٩) السيرة النبوية م ٢ ص ١٧٧ ، والاستيعاب ص ٤٤١ ، وشعر الدعوة ص ٧٧ .

(٨٠) السيرة النبوية م ١ ص ٤٩٦ .

(٨١) أنساب الأشراف جـ ١ ص ٢٦٩ .

(٨٢) ديوان الحطيئة ص ٢٥٧ .

(٨٣) الإصابة جـ ٥ ص ٤١٣ ، جـ ٧ ص ٢٦١ ، والبداية والنهاية م ١ ص ٦٦٠ ، والحماسة البصرية جـ ٢ ص ٤٢٠ ، ومروج الذهب جـ ١ ص ٧٠ ، ٧١ ، والزهرة جـ ٢ ص ٤٩٦ ، ٤٩٩ .

(٨٤) السيرة النبوية م ٢ ص ٢٩ ، والإصابة جـ ٧ ص ٣٩ .

(٨٥) المستطرف ص ٥٢٦ .

(٨٦) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٥٨١ .

عزوجل ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾(٨٧).

ويقول آخر يوم أحد

وليسَ لِمـا ولَّى على ذِى حَـرارَةٍ   وإنْ طالَ تَذْرافُ الدُّمُوعِ رُجُوعُ.(٨٨)

نرى شعراء المسلمين لا يملون من ترديد فكرة البعث ، مـؤمنين بها إيماناً يقينياً ، لا يرقى إليه شك - أى شك - ولا يتطرق لديهم شيء من الارتياب فيه ، وقد أخبرهم به المولى فى غيـر ما مـوضع من القـرآن الكريم (٨٩)، وأكـده النبى ﷺ فى أكـثـر من حديث(٩٠)، فيقول قائلهم - على سبيل التمثيل -:

وأَعْلَمُ عِـلْمـاً لـيسَ بالظَّـنِّ أنَّنى   إلى اللهِ مَحْشُورٌ هُناكَ فراجِعُ.(٩١)

ويقول ثان :

يا قُـرُّ إنَّكَ لا مَـحـالَةَ مَـيِّتٌ   يومًا وأنَّكَ بعدَ مَوْتِكَ راجِعُ؟(٩٢)

وثالث :

إنِّـى بربِّـى والنَّبىِّ مُـؤمِـنٌ   والبَعْثِ من بَعْدِ المَماتِ مُوقِنُ.(٩٣)

---

(٨٧) يس ٧٨ ، ٧٩ .

(٨٨) شعر عبد الله بن الزبعرى ص ٣٨ .

(٨٩) منها : النحل ٣٨ ، والحج ٥ ، ٧ ، والجن ٧ ، والأنعام ٢٩ ، ٣٦ ، والمجادلة ٦ . ومريم ١٥ ، ٣٣ ، والتغـابن ٧ ، والمؤمنون ١٦ ، ٣٧ ، ٨٢ ، ١٠٠ ، والأعراف ١٤ ، والحـجر ٣٦ ، والشـعراء ٨٧ ، والصافـات ١٤٤ ، وص ٧٩ ، والروم ٥٦ ، ولقمـان ٢٨ ، وهود ٧ ، والإسراء ٤٩ ، ٥٨ ، والواقـعة ٤٧ ، والمطففين ٤ ، والعاديات ٩ ، والانفطار ٤ .

(٩٠) صحـيح مسلم بشـرح النووى (ط . دار الخير) جـ ١٧ ص ٢٧٢ : ٢٩٧ (كـتاب صفـة القيـامة والجنة والنار) ، ص ٢٩٨ : ٣٢٩ (كتاب الجنة وصفة نعيـمها وأهلها) ، جـ ١٨ ص ٣٣٣ : ٣٩٤ (كتاب الفتن وأشراط السـاعة) .

(٩١) جمع الجواهر فى الملح والنوادر للحصـرى القيروانى - تصحيح محمد بن الخانجى (المطبـعة الرحمانية - القاهرة سنة ١٣٥٣هـ) ص ٣١ ، وشعر الدعوة ص ٣٥٥ .

(٩٢) كتاب الردة ص ١٤٨ .

(٩٣) الإصابة جـ ١ ص ٦٩٩ ، وكتاب الردة ص ١٩٠ .

ورابع - وهو الحرث بن ربيعة الذهلى - يوم القادسية :

فإنَّما قَصْرُكَ مَوْتُ السَّاهِرَهْ ثُمَّ تَعُودُ بَعْدَها فى الحافِرَهْ

مِنْ بَعْدِ ما كنتَ عِظاماً ناخِرَهْ.(٩٤)

وآخرون (٩٥)؛ كلٌّ يؤكد أن البعث والنشور حقيقة ، وأن« المعاد » لا ريب فيه ؛ فالذى خلق أول مرة لن يعجزه - بل هو أهون عليه ، وكل لديه هين يسير - أن يعيده مرة أخرى ، وإن بليت العظام وتبعثرت فى كل الدروب .

ولولا البعث - وما سوف يتلوه من حساب وجزاء - لاستوى المحسن مع المسيء، والكفار مع المؤمنين ، ولما كان للإيمان - وما يستتبعه من العمل - معنى إن تساوى - فى نهاية الأمر - الخلائق أجمعون . لذلك نراهم يتطرقون - فى حديثهم عن البعث والنشور - إلى الحساب والجزاء ، فيسمون يوم القيامة بدايةً بـ « يوم الحساب » كما أشرت ، ومنه قول على أبى طالب رضى الله عنه :

تُبَكِّى علىَ بَعْلٍ لها راحَ غادياً فليسَ إلى يومِ الحِسابِ بقافِلِ.(٩٦)

ويشيرون إلى ما فيه من « المحاسبة» بين يدى الله عزوجل :

وإنَّكَ مُسْتَرْعًى وإنَّا رَعِيَّةٌ وكلٌّ سيَلْقَى رَبَّهُ فيُحاسِبُهْ.(٩٧)

و« المجازاة » ؛ كلٌّ بما صنعت يداه :

---

(٩٤) الإصابة جـ ٢ ص ١٣٤ ، والاشتقاق لابن دريد جـ ١ ص ٦٧ ، ١٠٨ ، جـ ٢ ص ٣١٦ .

(٩٥) ديوان حسان ص ١٥٨ ، ٣٠٩ ، وشعراء إسلاميون ص ٣٩٥ ، والسيرة النبوية م ٢ ص ٤٢ ، ١٣٣ ، وتاريخ الطبرى جـ ٣ ص ١٥٠ ، والإصابة جـ ٣ ص ٣٦١ ، والطبقات الكبرى م ٤ ص ٦١ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٣٢٣ ، ٤٧٤ ، وشرح شواهد المغنى ص ٥٢٢ ، والدر المنثور ص ٥٣٦ ، وشعر الدعوة ص ١٧٩ ، ٢٨٢ ، ٤٥٠ .

(٩٦) وقعة صفين ص ٤٩٣ ، وديوانه - ت . د . محمد عبد المنعم خفاجى - ص ١١٠ .

(٩٧) الاستيعاب ص ١٦٤ . ويقول آخر فى الإقرار والتأكيد على الإيمان به :

واعلمْ بأنَّكَ ميِّتٌ ومُحاسَبٌ فإلى متى هذى الضَّلالَةُ والرَّدَى ؟

أسد الغابة جـ ١ ص ١٤١ .

لا تَزْهَدِ الدَّهْرَ فـى عُـرْفٍ بدأتَ به   فكلُّ عَبْدٍ سَيُجْزَى بالذى فَعَلا.[98]

سواء فى ذلك « الفـعل » ، كما يشيـر البيت السابق ، أو القـول كما يشيـر قول العباس بن مرداس :

فـمَنْ مُـبْلِغٌ عنِّى النَّبِىَّ مُـحَـمَّـداً   وكلُّ امْرِئٍ يُجْزَى بما قـد تكَلَّما.[99]

والأجر أو «الثواب والعقاب» :

ومـا أَرْجُـو بَجِـيـلَةَ غـيـرَ أنِّى   أُؤمِّلُ أَجْـرَهم يومَ الحِـسـابِ.[100]

الحسنة بالحسنة ، والسيئة بالسيئة ؛ جزاءً وفاقاً لا ظلم فيه :

مَنْ يَفْعَلِ الحـسناتِ اللهُ يَشْكُرُها   والشَّرُّ بالشَّرِّ عندَ اللهِ مِثلانِ.[101]

فإما إلى «جنة» - وفـيها ما فـيها من النعيم - وإما إلى « نـار » وفيها ما فـيها من العذاب والشقاء :

يَـوْمَ يـكونُ الأَعْـطـيــــــاتُ هُـنَّـهْ
إمَّـــــا إلى نارٍ وإمَّـــــا جَـنَّهْ.[102]

ونلمح فى قول أعشى باهلة إشارة إلى طول هذا اليوم :

عليكَ بتَـقْـوَى اللهِ فى كلِّ مَـرَّةٍ   تَجِدْ غِـبَّها يومَ الحِـساب المُطَوَّلِ.[103]

وفى طوله يقول المولى عزوجل : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[104]، ويقول فـى موضع آخر من القـرآن الكريم ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[105].

---

(٩٨) العمدة جـ ١ ص ٢٩ ، والمستطرف ص ١٧٤ ، والبداية والنهاية م ٤ ص ٤٨٦ .
(٩٩) العقد الفريد جـ ١ ص ٢٨٤ ، وشعر الدعوة ص ٣٥٢ .
(١٠٠) تاريخ الطبرى جـ ٣ ص ٥٧٧ .
(١٠١) شرح شواهد المغنى ص ١٧٨ ، وشعر الدعوة ص ٥٣٢ .
(١٠٢) شعر الدعوة ص ٥٠٥ .
(١٠٣) حماسة البحترى ص ٢٥٠ ، وشعر الدعوة ص ٥٣١ .
(١٠٤) الحج - من الآية ٤٧ .
(١٠٥) المعارج ٤ .

وفى قــول أبى ذؤيب[١٠٦] - وقد مـضى - اقتـراب وقوعـه ، وفى قول أعـرابى مجهول - من أرجوزة قالها لعمر بن الخطاب- « يكونُ عن حالى لتُسْأَلَنَّهْ»[١٠٧] ، معنى قول النبى ﷺ - وقـد استوفى بعـضه - « كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ . . » فعـمر - وهو الحـاكم - سوف يسأل يوم الـقيامـة عن حال هذا الأعـرابى - لأنه أحد رعاياه- كما سيسأل عن الرعية كلها ، وهو ما كان يتخوف منه رضى الله عنه ويخشاه .

٥- أما الجنة والنار - دار جزاء ومـقامة - فقد احتلتا مكاناً واسـعاً من الحديث عن اليوم الآخر وعـقيدتهم فيه ، وارتبط ذكرهمـا - أكثر ما ارتبط - بالجهـاد فى سبيل الله ونشر دينه ، والصراع ضد الكفـار واليهود والمرتدين ، خاصة فى بيان مـصير القتلى من الفريقين ورثاء الشخصيات الكبرى ، والفخر والهجاء .

فـالجنة - وقد جـعلوها فى مواضع عـديدة جنات وجنانا - مـصيـر الشهـداء من المسلمين . يقول حسان بن ثابت فى رثاء سعد بن معاذ :

على مِلَّـةِ الرَّحْـمـنِ وارِثِ جَنَّةٍ مع الشُّهَداءِ وَفْدُها أكْرَمُ الوَفْدِ.[١٠٨]

فإن كان سعـد قد مات ، فسوف يلحق بمن سبقه مـن الشهداء فى الجنة مكرماً مع المكرمين ، وهى - كما يقـول فى القصيدة نفـسها - نعم مصيـر الصادقين . ويقول فى قصيدة أخرى :

صَـبابَةُ وَجْـدٍ ذَكَّـرَتْنِى أَحِبَّـةً وقَـتْلَى مَـضَـوْا فيـهم نُفَـيْعٌ ورافِعُ
وسَعْدٌ فأَضْـحَوْا فى الجِنانِ وأَوْحشَتْ منازِلُهم والأرضُ مـنهم بَلاقِعُ.[١٠٩]

فقد حل هؤلاء الشهداء الجنة - إيماناً منه بتحـقق هذا المصير فى الآخرة ، أو تحققه بالفعل منـذ اللحظة التى ماتوا فيـها ، فهم كـما أخبـر القرآن أحـياء عند ربهم[١١٠]،

(١٠٦) الاستيعاب ص ١٦٥١ .
(١٠٧) شعر الدعوة ص ٥٠٥ .
(١٠٨) ديوانه ص ١١٤ .
(١٠٩) المصدر نفسه ص ٢٤١ .
(١١٠) آل عمران ١٦٩ ، والبقرة ١٥٤ .

وأرواحهم كما جاء فى الحديث فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل (١١١)- وأضحت منازلهم موحشة من بعد رحيلهم عنها ، والأرض أشبه ما تكون بالخراب .

ويقول كعب بن مالك :

أَبْلِغْ قُرَيْشاً على نَأيِها ... أَتَفْخَرُ مِنَّا بما لم تَلِي
فَخَرْتُم بقَتْلَى أصابتهمُ ... فَواضِلُ من نِعَمِ المُفْضِلِ
فحَلُّوا جِناناً وأبْقَوا لكم ... أُسُوداً تُحَامِى عن الأشْبُلِ. (١١٢)

فإن كانت قريش قد فخرت يوم أحد بقتلها لبعض المسلمين - وفيهم حمزة رضى الله عنه - فلا مجال فى رأى كعب لهذا الفخر ، فقد حل هؤلاء القتلى - بسيوف الكفار - الجنة ، ونالهم فضل من الله عظيم ، وأبقوا من بعدهم جنوداً تدافع عن الحق، متأسية بهم فى استعذاب الموت من أجل مثل هذا المصير.

وهى كذلك ثواب المهتدين :

فإنَّ ثوابَ اللهِ للطالِبِ الهُدَى ... جِنانٌ من الفِردَوْسِ ذاتُ رَفارِفِ. (١١٣)

وأجر الموحدين :

لأنَّ ثوابَ اللهِ كلَّ مُوَحِّدِ ... جِنانٌ من الفِرْدَوْسِ فيها يُخَلَّدُ. (١١٤)

وجزاء المجاهدين :

ياهاشِمَ الخَيْرِ جُزِيتَ الجَنَّةْ ... قاتلتَ فى اللهِ عَدُوَّ السُّنَّةْ
أَفْلِحْ بما فُزْتَ به من مِنَّةْ. (١١٥)

(١١١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٢٦ .

(١١٢) السيرة النبوية م ٢ ص ١٦٣ ، وشعر الدعوة ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(١١٣) ديوان حسان ص ١١٤ .

(١١٤) المصدر نفسه ص ٣٣٩ .

(١١٥) الاستيعاب ص ١٥٤٧ ، وأسد الغابة جـ ٤ ص ٥٧٩ ، ووقعة صفين ص ٣٥٩ .

ورجاء العابدين :

لأنَّا عَبَدْنا اللهَ لم نَرْجُ غَيْرَهُ رَجاءَ الجنانِ إذ أتانا زَعيمُها.(١١٦)

فقد وعدهم النبى ﷺ بها ، وضمنها للمؤمنين بالله حق إيمانه ، العابدين المخلصين، الذين لا يرجون بعبادتهم أحداً سواه ، ولا يشركون به غيره .

وقد وصفوها كما وصفها الله تبارك وتعالى ورسوله ، وأشاروا إلى ما فيها من النعيم ؛ فهى « جنات عدن » وإقامة ؛ نعيمها لا ينقطع ولا يزول ، و« دار خلود » لا يعتريهم فيها الموت . يقول الحطيئة :

أنابتْ إلى جَنَّاتِ عَدْنٍ نُفُوسُهم وما بعدَها للصَّالحِينَ حُتُوفُ.(١١٧)

ويقول كعب بن مالك :

عليكَ سَلامُ رَبِّكَ فى جِنانٍ مُخالِطُها نَعيمٌ لا يَزُولُ.(١١٨)

وما أكثر ما وصفوها بالبقاء والخلود ، وجعلوا الحياة - فيها دائمة أبداً ، دواماً لا نهاية له (١١٩) . وأشاروا - بوصفها بـ « الجنات » تارةً و« الجنان » تارة أخرى (١٢٠) - إلى تفاوت درجاتها ، وذكروا « الفردوس » (١٢١) ، وهو أعلى تلك الدرجات ، وفيه

---

(١١٦) السيرة النبوية م ٢ ص ٢٥ ، وخزانة الأدب جـ١ ص ٣٣٧ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٣٩١ ، وشعر الدعوة ص ٧١ .

(١١٧) ديوانه ص ٢٥٧ .

(١١٨) السيرة النبوية م ٢ ص ١٦٢ ، والاستيعاب ص ٣٧٥ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٧٤ ، وشعر الدعوة ص ٤٤٥ .

(١١٩) ديوان حسان ص ١٠٠ ، ١١٤ ، ٣٠٧ ، ٣٣٩ ، ٣٨٠ ، وفتوح الشام جـ١ ص ٢٧ ، ١٤٠ ، وشعر الدعوة ص ١٦٨ ، ١٧٥ .

(١٢٠) ديوان الحطيئة ص ٢٥٧ ، وديوان حسان ص ١٠٠ ، ١١٤ ، ٢٤١ ، ٣٣٩ ، والسيرة النبوية م ٢ ص ١٦٢ ، ٢٥٦ ، والإصابة جـ٢ ص ٥١٧ ، والاستيعاب ص ٣٧٥ ، ووقعة صفين ص ٣٢٠ ، ٤٦١ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٧٤ ، وفتوح الشام جـ ٢ ص ٩٤ ، وشعر الدعوة ص ١٨٣ ، ٤٤٥ .

(١٢١) ديوان حسان ص ١١٤ ، ٣٣٩ ، والاستيعاب ص ١٨٢٩ ، وفتوح الشام جـ١ ص ٢٦ ، ٦٩ ، والذخائر والأعلاق ص ٢٢١ ، وشعر الدعوة ص ١٧٨ ، ٥٠٥ .

الأنبياء ؛ كإبراهيم وإسماعيل وإسحق ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين ، حيث يطيب - كما يقول بعضهم - المقام :

من الرَّحْمنِ فى أعْلَى جِنانٍ ... من الفِرْدَوْسِ طابَ به المقامُ
رَفِيقُ أَبِيكَ إبراهيمَ فيه ... وما فى مثلِ صُحْبَتِه ندامُ
وإسحقَ وإسماعيلَ فيه ... بما صَلُّوا لربِّهمُ وصامُوا.(١٢٢)

وهو مما قيل فى رثاء النبى ﷺ . وفيه كذلك ما يتمناه المرء ، كل ما يتمناه :

أَجِيبا إلى دِينِ الهُدَى وتَمَنَّيا ... على الله فى الفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ عارِفِ.(١٢٣)

وطيب العيش ، أو « العيش الرغد » على حد قول أحد أبناء الخنساء:

أو مِيتَةٍ تُورِثُكُمْ عِزَّ الأَبَدْ ... فى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ والعَيْشِ الرَّغَدْ.(١٢٤)

ويذكرون الحور العين :

فاذهبْ خُبَيْبُ جَزاكَ اللهُ طَيِّبةً ... وجَنَّةَ الخُلْدِ عندَ الحُورِ فى الرُّفُقِ.(١٢٥)

ويجعلون الجهاد فى سبيل الله - وما قد يتلوه من الشهادة - وسيلة لخطبتهن :

واخْطُبُوا الحُورَ إلى اللهِ بِقِتالِ القادِسِيَّةْ.(١٢٦)

ويشبهونهن بـ « التماثيل » محكمة الصنع - إشارة إلى ما لهن من الجمال الذى يفوق جمال نساء الدنيا ، والرقة - وهن فى « الجنة العليا » لذوى النفوس الطاهرة المطهرة النقية ، والهمم الرفيعة العالية :

مع الحُورِ أَمْثالِ التَّماثِيلِ أُخْلِصَتْ ... مع الجَنَّةِ العُلْيا لِمَنْ كانَ عالِيا.(١٢٧)

---

(١٢٢) مراثى النبى ص ١٣٣ .

(١٢٣) ديوان حسان ص ١١٤ .

(١٢٤) الاستيعاب ص ١٨٢٩ ، ومعاهد التنصيص جـ١ ص ٣٥٤ ، وشعر الدعوة ص ١٧٠ .

(١٢٥) ديوان حسان ص ٣٠٧ .

(١٢٦) شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى ص ١٩٢ .

(١٢٧) السيرة النبوية م ٢ ص ٢٤ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٣٩٣ ، وشعر الدعوة ص ٢٧٣ .

ومن صنوف النعيم فى الجنة ووسائله الحسية والروحية - غير الحور - « الروح » و «الريحان » و« الأرائك » المهيئة الممتدة :

أَبْشِرْ بحُـورِ العينِ فى الأرائكْ والرَّوْحِ والرَّيحانِ عندَ ذلكْ.(١٢٨)

والقصور الفاخرة ، المصنوعة من الذهب ، ومختلف أنواع الجواهر والحلى :

عن الحقِّ حتَّى غَدتْ رُوحُه إلى مَنْزِلٍ فاخرِ الزِّبْرِجِ.(١٢٩)

والشراب البارد :

ياحَبَّذا الجَنَّةُ واقترابُها طَيِّبَةً وبارداً شَرابُها.(١٣٠)

والرحيق العذب والسلسبيل ، والخمور - التى تختلف عن خمور الدنيا - ممتزجة بالمسك والزنجبيل :

إنهم عندَ ربِّهم فى جنانٍ يَشْرَبُون الرَّحيقَ والسَّلْسَبِيلا
من شَرابِ الأبرارِ خالَطهُ المِسْـ ـكُ وكأساً مِزاجُها زَنْجبيلا.(١٣١)

والمأكل - عموم المأكل - والمشرب - كل أنواع الشراب - و« النعيم المعجب » - هكذا على الإجمال - من كل ما قد يثير العجب فى الإنسان :

ياعِبادَ اللهِ فيم يُرْغَبُ ما هو إلا مأكَلٌ ومَشْرَبُ
وجَنَّةٌ فيها نَعِيمٌ مُعْجِبُ.(١٣٢)

وطيب المقام :

---

(١٢٨) وقعة صفين ص ٣٤٨ ، ومروج الذهب جـ ٢ ص ٣٩٣ .

(١٢٩) السيرة النبوية م ٢ ص ١٣٩ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٧٢ ، وشعر الدعوة ص ٤٦١ .

(١٣٠) العمدة جـ١ ص ٣٧ ، والسيرة النبوية م ٢ ص ٣٧٨ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٦٨٩ ، وتاريخ الإسلام جـ١ ص ٤٤٨ ، وشعر الدعوة ص ١٨٠ .

(١٣١) وقعة صفين ص ٣٢٠ ، وشعر الدعوة ص ١٧٤ .

(١٣٢) السيرة النبوية م ٢ ص ٣٤٨ ، وشعر الدعوة ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

سـيُـدْخِلُهُ جنـاناً طَيِّـبـاتٍ تكونُ مـقامَـةً للصَّالحِـينا .(١٣٣)

ولقاء الأحبة :

عسى أرَى غَـداً مَقـامَ من صَدَقْ فى جَنَّةِ الخُلْدِ وألْقَى مَنْ سَبَقْ .(١٣٤)

فهى « دار الملتقى » :

لأتْرُكَنَّ الـبِـيـضَ فـوقَ المُـرْتَقَى وأدْخُلُ الجَنَّةَ دارَ المُلْـتَـقَى .(١٣٥)

والإقامة :

ولستُ أبـالِى إنْ قُـتِلَـتُ لأنَّنِى أُرَجِّى بقَتْلِى فى الجِنانِ مَـقامِى .(١٣٦)

والمستقر :

الموتُ حَـقٌّ أينَ لى منـه المَفَــرُّ وجَنَّةُ الفِرْدَوْسِ خـيرُ المُسْتَـقَرْ .(١٣٧)

لا تقلب فيها ، ولا خوف من اختلاف الحال أو زوال النعمة وتعرض النفس لمثل ما يعتريها فى الدنيا - عند زوالها عنها - من الاضطراب .

ولجعفـر بن أبى طالب رضى الله عنه فيها جناحٌ أخضـر ، عوضه به الله عن يديه اللتين قطعتا فى الجهاد : (١٣٨)

وحَـمْـزَةُ الخَــيـرِ ومِنَّا جَـعْــفَـرُ له جَنَاحٌ فى الجِنانِ أخْـضَرُ .(١٣٩)

فهى العزاء - كمـا يفهم من حال جعفر - والسلوى، عن كل مـا يفقده المؤمن فى الدنيا ، أو يتعرض له - فى سبيل الله - من المصاب .

---

(١٣٣) السيرة النبوية م ٢ ص ٢٥٦ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٥٥٨ ، وشعر الدعوة ص ٢٥١ .

(١٣٤) فتوح الشام جـ١ ص ٢٧ ، وشعر الدعوة ص ١٧٥ .

(١٣٥) فتوح الشام جـ٢ ص ١٤٤ ، وشعر الدعوة ص ١٧٦ .

(١٣٦) فتوح الشام جـ٢ ص ٩٤ ، وشعر الدعوة ص ١٨٣ .

(١٣٧) فتوح الشام جـ١ ص ٢٦ ، وشعر الدعوة ص ١٧٨ .

(١٣٨) السيرة النبوية م ٢ ص ٣٧٨ .

(١٣٩) وقعة صفين ص ٤٦١ ، وديوان الإمام على ص ٧١ ، ٧٢ .

وحسبهم بها عظمة ومجداً أن تكون الدار التى يدعو الله إليها عباده - من يشاء من عباده ويرضى عنه - للتكريم والإنعام ؛ فحمزة رضى الله عنه :

دَعَاهُ إلهُ الحَقِّ ذو العَرْشِ دَعْوَةً ... إلى جَنَّةٍ يَحْيا بها وسُرُورِ. (١٤٠)

وكذلك سائر الشهداء :

فما بَرِحُوا يَضْربونَ الكُماةَ ... ويَمْضُونَ فى القَسْطَلِ المُرْهَجِ
كذلكَ حتَّى دَعَاهم مَليكٌ ... إلى جَنَّةٍ دَوْحَةِ المَوْلِجِ. (١٤١)

وقد وصفوها - فيما وصفوها - بالعلو :

صَلَّى عليكَ اللهُ فى جَنَّةٍ ... عاليَةٍ مُكْرَمَةِ الدَّاخِلِ. (١٤٢)

والاتساع :

ولله في عَرْضِ السَّموات جَنَّةٌ ... ولكنها مَحْفُوفَةٌ بالمكارِه. (١٤٣)

فعرضها ﴿كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ كما جاء فى القرآن الكريم (١٤٤) ، وهو يستوحيه ههنا - على سبيل الإشارة - كما يستوحى من الحديث الشريف كونها قد حُفَّتْ بالمكاره ، إشارة إلى صعوبة الطريق الموصلة إليها ، والحاجة الماسة إلى مجاهدة النفس لمن أراد الوصول ، بينما حفت النار- على النقيض - بالشهوات .

٦- ولئن كانت الجنة - فى عقيدتهم - مصير من آمن بالله وحسن عمله ، فإن النار مصير الكفار ؛ تقول امرأة من الأنصار :

وعافِهم من حَرِّ نارٍ ساعِرَهْ ... فإنَّها لكافرٍ وكافِرَهْ. (١٤٥)

---

(١٤٠) السيرة النبوية م ٢ ص ١٦٧ ، وشعر الدعوة ص ٤٥٠ .

(١٤١) السيرة النبوية م ٢ ص ١٣٩ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٧٢ ، وشعر الدعوة ص ٤٦٠ .

(١٤٢) ديوان حسان ص ٢٢١ .

(١٤٣) فتوح الشام جـ١ ص ١٤٧ ، ١٩٤ ، وشعر الدعوة ص ١٦٩ .

(١٤٤) الحديد - من الآية ٢١ .

(١٤٥) أنساب الأشراف جـ ١ ص ٢٦٩ .

وفيه تدعو الله لقومها - والمهاجرين معاً - بالمعافاة منها ، فإنها - كما وعد - للكافرين به ؛ رجالاً كانوا أو كانوا من النساء . ويقول عبد الله بن رواحة :

شَهِدْتُ بأنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وأنَّ النَّارَ مَثْوَى الكافِرِينا.(١٤٦)

ولعله يعنى بوعد الله ههنا « الموت » ، أو يكون الوعد على الإطلاق ، فوعده تبارك وتعالى حق وصدق ، والنار - وقد حرص على تأكيد شهادته - مثوى الكفار .

وهى كذلك مآل المرتدين عن الدين ؛ ما ماتوا على الردة ولم يعودوا مرة أخرى إلى الإسلام:

إنَّها رِدَّةٌ تَقُودُ إلى النَّارِ فلا تُولَعَنْ بقالٍ وقِيلِ.(١٤٧)

وقسم الجاحدين :

وقاسَمُوهُ بها الأموالَ إذ قَدِمُوا مُهاجِرِينَ وقِسْمُ الجاحِدِ النَّارُ.(١٤٨)

وموعد عبدة الأوثان - من قريش ونحوها - الذين حاربوا الله ورسوله ، وماتوا على ما هم فيه ، ولم يهتدوا - كما اهتدى غيرهم - إلى الدخول فى دين الله :

سُقْتُم كِنانَةَ جَهْلاً من عَداوَتِكم إلى الرَّسُولِ فجُنْدُ الله مُخْزِيها

أوْرَدْتُموها حِياضَ المَوْتِ ضاحِيةً فالنَّارُ مَوْعِدُها والقَتْلُ لاقِيها.(١٤٩)

وحظ أئمتهم وطواغيتهم ، كأبى جهل عمرو بن هشام ، وفيه يقول حسان متوعداً:

وزادُكَ ذَمٌّ فى الحَياةِ وإنْ تَمُتْ فحَظُّكَ رُكْنٌ من جَهَنَّمَ واسِعُ.(١٥٠)

---

(١٤٦) أمالى اليزيدى ص ١٠٢ ، وتاريخ الإسلام جـ١ ص ٤٥٦ ، وشرح شواهد المغنى ص ٢٩٠ ، وشعر الدعوة ص ١٤٥ .

(١٤٧) الإصابة جـ ٥ ص ٢٩٢ .

(١٤٨) ديوان حسان ص ٣٨٨ .

(١٤٩) المصدر نفسه ص ٢٠٥ . وهى بالسيرة النبوية م ٢ ص ١٣٢ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٦٨ . « قال ابن هشام : وتروى لكعب بن مالك وغيره » . وعلق ابن كثير قائلاً : « وقول ابن إسحق أشهر وأكثر والله أعلم » . يعنى نسبتها لحسان .

(١٥٠) ديوان حسان ص ٢٦٣ .

وأمية بن خلف الجمحى ، وفى مقتله يقول كذلك حسان :

ألا مَنْ مُـــبْلِغٌ عَـنِّى أُبَيّـــاً   لقد أُلْقِيتَ فى سحقِ السَّعير.[١٥١]

لا ينجو منها – على سبيل الإجمال – إلا نقى القلب صادق الإيمان :

لَدَى يَوْمٍ لا يَنْجُـو ولـيسَ بمُفْلِتٍ   من النَّارِ إلا طاهِرُ القَلْبِ مُسْلِمُ.[١٥٢]

فالمؤمن الحق لا يدخلها – فى عقيدة بعضهم – أبداً :

لا يَدْخُلُ النَّارَ عَــبْـدٌ مُـؤْمِنٌ أَبَداً   ولا يقولُ ذوو الألْبابِ لا قَدَرُ.[١٥٣]

وطاهر السريرة – ممن قد نزع الله الغل من صدره – لا تمسه فيمن تمس :

مَنْ يَنْزِعِ اللهُ غِـلاً من صُـدُورِهِمُ   على الأسرَّةِ لم تَمْسَسْهُمُ النَّارُ.[١٥٤]

فهم داخلون فى جملة الداخلين إلى الجـنة ، ومن دخل الجنة لم يخرج منها أبداً ، بخلاف الداخلين – أو بالأحرى بعض الداخلين – إلى النار [١٥٥].

وهل للمسلمين فيها نصيب ؛ نراهم يشـيرون إلى أصحاب بعض الكبائر – كالقتل العمـد – ويجعلونهم – متأثرين بقـول المولى عز وجل ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ [١٥٦] – فى جملة الداخلين ؛ ففى مقتل عمار بن ياسر رضى الله عنه يقول الحـجاج بن غزية – وكان فيها يبدو من أهل الشام – :

---

(١٥١) المصدر نفسه ص ٣٨٩ .

(١٥٢) السيرة النبـوية م ٢ ص ٥٠٢ ، ونهاية الأرب جـ ١٦ ص ٤٢٩ ، والاستيـعاب ص ١٤٩ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٨٣٥ ، وشعر الدعوة ص ٢٨ .

(١٥٣) شرح شواهد المغنى ص ٥٢٢ ، وشعر الدعوة ص ٥٤٣ .

(١٥٤) مروج الذهب جـ١ ص ٣٩٢ .

(١٥٥) لم يشر إلى أبدية البـقاء فى النار – فيما اطلعت عليـه من شعر تلك الفتـرة – إلا كعب بن مالك فى قوله (السيرة النبوية م ٢ ص ١٥٨ والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٧٤) :

شتَّانَ مَنْ هو فى جَهَنَّمَ ثاوياً   أبَداً ومَنْ هو فى الجِنانِ مُخَلَّدُ .

ولعله يعنى طائفة من الداخلين ؛ كطواغيت الكفار ، لا كل الداخلين . ولم يعبر عنها بالأبدية فى القرآن الكريم إلا فى سورتى الأحزاب (آية ٦٥)، والجن (آية ٢٣) .

(١٥٦) النساء ٩٣ .

فاختلَّ صَـدْرُ أبى اليَقْظانِ مُعْـتَرِضاً   للرُّمحِ قد وَجَبَتْ فينا له النَّارُ.(١٥٧)

لقول النبى ﷺ لعمـار يوم الخندق « تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البـاغِيَةُ » (١٥٨) . وربما كان هذا الشعـر من الموضوع عليه لدواع سيـاسية ، وأوضح منه فى الاستـدلال – على ما نحن بصدده – ما جاء فى مقتل الزبير رضى الله عنه ؛ ومنه على لسان قاتله :

أتيـتُ عَلِيّـــاً برأسِ الزُّبَـيْـــرِ   أبْـغِى بـه عـنـدَه الـزُّلْـفَـــــةْ
فـبَـــشَّـرَ بـالنَّارِ يَوْمَ الحِـســابِ   فبِـئْسَتْ بِشارَةُ ذى التُّحْـفَةْ.(١٥٩)

وكان رضى الله عنه قد اعـتزل – بعد أن راجع نفسه يوم الجـمل – القتال ، وترك الميدان ، فقتله ابن جرموز غيلة . وتقول عاتكة بنت زيد وكانت تحته :

واللهِ ربِّـكَ إنْ قَـتَلْتَ لَمُسْـلِمـاً   حَلَّتْ عليكَ عُقُوبَةُ المُتَعَمِّدِ.(١٦٠)

مشيرة إلى ما جاء فى آية النساء . وتقول زينب بنت العوام أخته :

قـتلـتم حَـوارِيَّ النَّبِىِّ وصِــهْـرَهُ   وصاحِبَهُ فاستَبْشِرُوا بجَحِيمِ.(١٦١)

وما جاء كذلك فى مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ كقول كعب بن مالك :

النَّارُ مَـوْعِـدُهم بقَـتْلِ إمـامِـهم   عُثْمانَ ظهـراً فى البِلادِ عَفِيف.(١٦٢)

وقد قيل فيه رضى الله عنه شعر كثير(١٦٣).

وكما ذكروا صفة الجنة وما ينتظر المؤمنين فـيها من النعيم ، ذكروا كذلك صفة النار وما فيها من الشقاء ؛ فهى بعيدة القاع شديدة العمق فى قول حسان :

(١٥٧) مروج الذهب جـ١ ص ٣٩٢ .

(١٥٨) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ٤٠ ، ٤١ . وقد جاء الحديث فيه بروايات متعددة .

(١٥٩) شـرح نهج البلاغـة جـ ١ ص ٢٣٦ ، والاسـتيـعاب ص ٥١٦ ، ومـروج الذهب جـ٢ ص ٣٧٣ ، والزهرة جـ ٢ ص ٥٣٦ .

(١٦٠) الاستيعاب ص ١٨٧٩ ، ومروج الذهب جـ ٢ ص ٣٧٣ ، وشـرح ديوان الخنساء بالإضافة إلى مراثى ستين شاعرة من شواعر العرب ص ١٦٥ .

(١٦١) نسب قريش ص ٢٣٢ ، والإصابة جـ ٨ ص ١٦٢ .

(١٦٢) تاريخ الطبرى جـ ٤ ص ٤٢٥ ، وشعر الدعوة ص ٤٣٨ .

(١٦٣) راجع : شعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى ١ – فى صدر الإسلام – ص ١١٥ : ١٢٥ .

تَرَكْناهـمُ للخـامِـعـاتِ تَـنُوبُهم ... ويَصْلَوْنَ ناراً بَعْدُ نائيةَ القَعْرِ.(١٦٤)

تتأجج فـيها النيران – وطالما سموها بـ « جهنم » و « دار الجـحيم » (١٦٥) – فلا يقوم لها بشر خلق من الطين :

اختـرتُ عاراً علـى نارٍ مُؤَجَّـجَةٍ ... ما إنْ يقـومُ لها خَلْقٌ من الطِّينِ.(١٦٥)

طعام أهلها « الزقوم » :

جَـزاكَ اللهُ فى جَـنْبى عُـقُـوقـاً ... وبعـدَ الموتِ زَقُّـومـاً وناراً.(١٦٦)

وأفضل رزقهم « حميم » و« ضريع » :

وقَتْـلاكمُ فى النَّارِ أفضَـلُ رِزقِهم ... حَميمٌ مَعاً فى جَوْفِها وضَرِيعُ.(١٦٧)

وثيابهم من « قار » :

فـأَبْشِرْ بخِـزْيٍ فى الحيـاةِ مُعَـجَّلٍ ... وسِرْبالِ قارٍ خالداً فى جَهَنَّمِ.(١٦٨)

يلفح وجوههم « الزخيخ » ، ويصلون « جمراً من لظى » :

ألم تَـرَ أنَّ اللهَ عــادَ بفَـضْـلِهِ ... فـأنْقَـذَ مـن لَفْحِ الزَّخِـيخِ خُنافِـرا

. . . .

دَعاني شِـصارٌ للتى لو رَفَـضْتُـها ... لأُصْلِيتُ جَمْراً من لَظَى الهَوْبِ واهِراً.(١٦٩)

من دخلها شغل عن كل شيء بما هو فيه من العذاب :

---

(١٦٤) ديوانه ص ٢٦٦ .

(١٦٥) مروج الذهب جـ ١ ص ٣٧٤ .

(١٦٦) شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى ص ١١٥ .

(١٦٧) ديوان حسان ص ١٠٠ .

(١٦٨) السيرة النبوية م ١ ص ٦٥٦ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٣٨٦ ، وشعر الدعوة ص ١٩٣ .

(١٦٩) الأمالى لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى (الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة سنة ١٩٧٥م) جـ١ ص ١٧٠ ، والإصابة جـ٢ ص ٣٠٥ ، وشعر الدعوة ص ٦٦ ، ٦٧ .

فأَضْـحَوْا لدى دارِ الجَحِـيمِ بمَعْزِلٍ　　عن الشَّغْـبِ والعُدْوانِ فى أَشْغَلِ الـشُّغْلِ.(١٧٠)

وهى دركات – بينما كـانت الجنة درجات ، للعلو كما أشـرت – مما يدل على أنها إنما تتجه إلى أسفل نحو الهبوط :

أولـئـكَ لا مَـنْ ثَـوَى مـنـكـمُ　　من الـنَّارِ فى الدَّرَكِ المُـرتَجِ.(١٧١)

وأشدها الدرك الأسـفل ، وفيـه المنافقون . ويقـول كعب بن مالـك فى طائفة من الكفار :

فأَمْـسَوا وَقُـودَ النَّارِ فى مُـسْتَقَـرِّها　　وكلُّ كَـفُـورٍ فى جَـهَـنَّمَ صـائرُ

تَلَظَّى عليهم وهى قد شبَّ حَـمْيُها　　بزُبْرِ الحَدِيدِ والحِـجارَةِ سـاجِرُ.(١٧٢)

فهم – كما يعتقد – « فى مستقرها » ، تتوقد بهم – وقد تأثر فى هذا المعنى بقول الله عز وجل : ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (١٧٣) – فتزداد اشـتعالاً ، ويشب لظاها بقطع الحديد والأحجار .

---

(١٧٠) السيرة النبوية م ٢ ص ١٢ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٣٩٠ ، وشعر الدعوة ص ٢٣٧ .

(١٧١) السيرة النبوية م ٢ ص ١٣٩ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٧٢ ، وشعر الدعوة ص ٤٦١ .

(١٧٢) السيرة النبوية م ٢ ص ١٥ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٣٩١ ، وشعر الدعوة ص ١٧٢ .

(١٧٣) البقرة – من الآية ٢٤ .

المبحث الخامس

سائر الغيبيات

- القضاء والقدر
- الملائكة
- الجان

القضاء والقدر

١ - ويعكس شعرهم إيماناً واضحاً عميقاً بقضاء الله وقدره ، فكل ما يجرى فى ملكه إنما يجرى بذلك القضاء ؛ الحوادث الكائنة ، وأجدر بها - لما قضى الله - أن تكون :

فإنْ صارَمْتِنِى أو كانَ كَونٌ ... وأَجْدَرُ بالحَوادِثِ أن تكُونا .[1]

فما قدر الله كان ، وما كان لشىء قدره الله ألا يكون ؛ ما أصاب لم يكن ليخطئ، وما أخطأ لم يكن ليصيب :

وقالَ كلُّ خَليلٍ كنتُ آمُلُهُ ... لا أُلْفِيَنَّكَ إنِّى عَنْكَ مَشْغُولُ

فقلتُ خَلُّوا سَبِيلِى لا أبا لَكُمُ ... فكلُّ ما قَدَّرَ الرَّحمَنُ مَفْعُولُ .[2]

يقوله كعب بن زهير - فى أول عهده بالإسلام - وهو يحمل إدراكاً عميقاً - لا يأساً كما يحلو لبعضهم أن يقول - بأن أمور الخلائق كلها ، صغيرها وكبيرها ، بيد الله، تسليماً واضحاً - مقترناً بالرضا والإيمان - لقضاء الله وقدره ؛ فإن كان قد قدر له النجاة فلا مجال للإصغاء لما يقوله الشامتون ، الذين يذكرونه كل لحظة بوعيد رسول الله له ، ولا بأس عليه مما يرجفون ، وإن كان قدر له الهلاك فلا مفر مما قضى ، ولا مهرب- وكان بعضهم قد أغراه بالهروب - ولا منجاة ، فليفعل الله ما يشاء ، وليكن بعد ما يكون .

ويقول حسان :

وتَعْلَمُ أنَّ المُلْكَ للهِ وَحْدَهُ ... وأنَّ قَضاءَ اللهِ لابُدَّ واقِعُ .[3]

فالملك لله - بل لله وحده - يتصرف فيه بقضائه كما يشاء ، وقضاء الله حتم لا يرد . وقد جاء فى مفتتحها :

---

(١) ديوان عمرو بن شأس ص ٥٩ .

(٢) ديوان كعب بن زهير ص ١٩ ، والسيرة النبوية م ٢ ص ٥١٠ ، وطبقات فحول الشعراء م ١ ص ١٠٠، ١٠١ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٦٣٨ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٨٣٦ .

(٣) ديوانه ص ٢٤٢ .

ألا يالِـقَـــومٍ هــل لما حُــمَّ دافعُ وهل ما مَضَى من صــالحِ العَيْشِ راجعُ؟

والاستفهام – فى الشطرتين – للنفى والاستنكار ، فما حم – أو قُدِّرَ – لا يدفع ، كما أن ما مـضى من العيش – صالحاً كما يقول ، أو غـير صالح – لايمكن أن يرجع أو يعود .

وطالما تردد فى شعرهم عبارات من مثل : « وليس لأمر حمه الله زاجر» [٤] و«ليس لأمر حمه الله مدفع » [٥] ، و« ليس لأمر حمه الله دافع »[٦]. إلى آخر هذه العبارات التى يصوغونها فى شكل تقريرى على أنها – وهو ما كـانوا يستشعرونه بالفعل – حقائق لاتقبل الشك .

٢ – ومن العمـوم إلى الخصوص ؛ حيث نراهم يـتحدثون عن القضـاء والقدر فى أمـور ؛ كـالرزق ، والهـداية ، والموت ، ونـزول البـلاء – من الأمـراض ونحـوها – والشفاء، والنصر أو الهزيمة ، والتوفيق والسداد .

وفى الرزق نجد على سبيل المثال :

فـمــا رُزِقتَ فــإنَّ اللهَ جـالِـبُـهُ وما حُرِمْتَ فما يَجْرِى به القَدَرُ. [٧]

فالقدر – لا الأسبـاب كما كان يُظَنُّ – هو الذى يفسر حـالات الغنى والفقر ؛ لأن الرزق والحرمان بيد الله ، يعطى من يشاء ما يشـاء كما يشاء ، ويمنع فضله عمن يشاء، وكل شىء عنده – سواء فى ذلك الـعطاء أو المنع – بمقدار ، فمـا سيق إليك من الرزق فهو الذى يسوقه ، وما حرمت فمما خط فى الأقدار .

وما دام الأمـر كذلك فمـا الذى يحول بين المرء والإنفـاق – حتى لقـد تصل الحال ببعض الناس إلى البـخل ، فيمتنعـون عن أداء حقوق الله من الزكاة ومـا أشبه – والله يخلف ما أنفقت ، إن أنفقت محتسباً ؟ ! يقول سهم بن حنظلة الغنوى :

(٤) السيرة النبوية م ٢ ص ١٥ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٣٩١ ، وشعر الدعوة ص ٢٤١ .
(٥) السيرة النبوية م ٢ ص ١٣٤ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٦٩ .
(٦) السيرة النبوية م ٢ ص ٤٦٤ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٨٠٤ .
(٧) شعراء إسلاميون ص ٦٧٤ .

لا يَحْــمِلَنَّكَ إقْــتَــارٌ على زُهُدٍ   ولا تَزَلْ فى عطاءِ الـلهِ مُــرتَغِبــا
اللهَ يخْلفُ مـا أنفقتَ مُـحْتَـسِبـاً   إذا شكرتَ ويُؤْتيكَ الذى كَتَبا. (٨)

فقد وعدهم عز وجل بأن يزيد الشـاكرين ، والإنفاق فى سبيل الله نوع من الشكر - بالفعل لا الكلمة وحدها - فمن أنفق وهو محتسب على الله ما أنفقه أخلفه من واسع فضله ورحمته ، وآتاه - بما علمه من قبل - ما كتبه وقدره .

وفى الهداية نجد قول قيس بن نشبة السلمى :

قـــد كـنتُ آملُـهُ وأنظُـرُ دَهْرَهُ   فـــاللهُ قَـــدَّرَ أنَّه يَـهْـــدِينى. (٩)

فإن كان قـد اهتدى إلى الإيمان بالنبى ﷺ ، وكان - كـما يقول - ينتظر مبعثه ، فإنما كانت هدايته بقدر الله ؛ فالله قدَّر أن يهديه ، فكان ما قدره تبارك وتعالى وقضاه.

ويقول آخر :

واللهِ لـولا اللهُ مـــا اهتَـــدَيْنا   ولا تَصَـــدَّقْنا ولا صَلَّـــيْنا. (١٠)

وهو مما كان يرتجز به المسلمون ، فلولا هداية الله لهم ما اهتدوا ، ولا كان منهم ما استتبع تلك الهداية من الصدقة والصلاة . ويقول ذباب بن فاتك الضبى :

أأنتَ الذى يَهْـدِى مَعَـداً لدينهـا   بل اللهُ يَهْدِيها وقال لكَ اشْهَد. (١١)

وكأنه ينظر إلى قول الله عز وجل ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٢) فـالنبى لا يملك إلا هداية الدلالة - كـما يقول المـفســرون، وهى المقصودة فى نـحو قوله : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١٣) - أما الحـمل على الاهتداء والتوفيق والإعانة فبيد الله .

---

(٨) الاصمعيات ص ٤٩ ، وشعر الدعوة ص ٥٣٨ .
(٩) الإصابة جـ ٥ ص ٣٨٢ ، وشعر الدعوة ص ٥٠ .
(١٠) السيرة النبوية م ٢ ص ٣٢٨ ، وقد نسب فيه لعامر بن الاكوع ، والطبقات الكبرى م ٣ ص ٥٢٧ ، وقد نسب فيه لعبد الله بن رواحة ، والاستيعاب ص ٧٨٦ مع اختلاف طفيف فى بعض الالفاظ .
(١١) الإصابة جـ٢ ص ٣٣٦ ، وأسد الغابة جـ ١ ص ٢٢٦ ، ومن الضائع من معجم الشعراء ص ٥٧ .
(١٢) القصص ٥٦ .
(١٣) الشورى - من الآية ٥٢ .

ويقول لبيد :

مَنْ هَداهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهْتَدَى ... ناعِمَ البالِ ومَنْ شاءَ أَضَلْ.(١٤)

فالهداية والضلال مقترنان – كما يرى – بمشيئة الله ، يهدى من يشاء ، ويضل من يشاء . من هنا وجدنا كعب بن مالك يجأر إلى الله داعياً :

لِنُظْهِرَ دِينَكَ اللهُمَّ إنَّا ... بِكَفِّكَ فاهْدِنا سُبُلَ الرَّشادِ.(١٥)

فالأمر كله بيد الله ، يفعل ما يشاء . وقد مر بنا فى الموت أبيات كثيرة فى قدريته، وفصلت القول هناك بما يغنى عن التكرار ههنا . أما المرض والشفاء ونحوهما فنجد قول بعضهم :

يا أَيُّها المُشْعَرُ هَمّاً لاتُهَمْ ... إنَّكَ إن تُكْتَبْ لكَ الحُمَّى تُحَمْ.(١٦)

وقد رأى بَعْضَهم وقد اهتموا لنزول الطاعون ؛ ففيم الهم وما أصاب فبقدر الله ؟ وإن كان الله قد كتب لأحدهم أن يصاب فلا مفر من أن يصاب . أما الذين خرجوا على ظهر الدواب فلن يعجزوا الله عز وجل ؛ يقول آخر فى طاعون عمواس :

لنْ يُعْجِزُوا اللهَ على حِمارِ ... ولا على ذى غُرَّةٍ مُطارِ.(١٧)

ويقول المهاجر بن خالد بن الوليد ، وقد مات من المسلمين من مات فى هذا الطاعون :

طَعْناً وطاعُوناً مَنَاياهُمُ ... ذلكَ ما خَطَّ لنا الكاتِبُ.(١٨)

فإن ما حدث لم يكن ليحدث « صدفة » ، أو « خبط عشواء » ، وإنما هو ما خطت الأقلام – منذ قديم الأزل – وجفت به الصحف ، ففيم الحزن ؟ وفيم الجزع ؟

(١٤) ديوانه ص ١٣٩ .

(١٥) السيرة النبوية م ٢ ص ٢٦٦ .

(١٦) تاريخ الطبرى جـ ٤ ص ٦٣ .

(١٧) المصدر نفسه والصحيفة . ولايرد على هذا إلا بصنيع أبى عبيدة بن الجراح حين قيل له : « أفرار من قدر الله » ؟ فقال : « نعم ، فرار من قدره إلى قدره » .

(١٨) المصدر نفسه ص ٦٥ ، والإصابة جـ ٦ ص ٢١٠ .

وإن كان الدواء سبباً – وقد جعل الله لكل داءٍ دواء – فى الشفاء فإن الشافى على الحقيقة هو الله ، ولا شفاء بغير إذنه ، ولا بغير ما قدره وقضاه ؛ يقول تميم بن أبى مقبل :

شُمٌّ مُخَصَّرَةٌ صِينَتْ مُنَعَّمَةً ... من كلِّ داءٍ بإذنِ اللهِ يَشْفِينا.[19]

فكان ولابد من هذا الاعتراض « بإذن الله » ؛ فإن الشفاء لا يتحقق إلا به . ويقول ابن أحمر الباهلى :

شَرِبْنا وداوَيْنا وما كانَ ضَرَّنا ... إذا اللهُ حَمَّ القَدْرَ ألاَّ تَداوِيا.[20]

وفيه نغمة سخرية واضحة من الأطباء وقد عجزوا معه ، فما ضره لو ترك الدواء – وقد بلغ على ما يبدو حد اليأس – وهو لا يرد القدر ولا ما حم ؟ !

٣ – وإن فتح أحدهم بلداً فبإذن الله :

فَتَحْتُ البهْرَسِيرَ بإذْنِ ربِّى ... وأَعْدَتْنِى على ذاكَ الأُمُورُ.[21]

وإن سقطت أخرى على يدى أمير لهم ، وفك القيود عن الأسارى والمستضعفين ، فبإذنه كذلك :

فعَلَى يَدَيكَ بإذنِ ربِّكَ فُتِّحَتْ ... أبوابُها وفككتَ كلَّ مُقَيَّدِ.[22]

وإن حكم بعضهم – كسعد بن معاذ فى يهود بنى قريظة وقد نزلوا على حكمه – فبما قضى الله – وقد وافق حكمه حكم الله فيهم – وما جرت به الأقدار :

بحُكْمِكَ فى حَيَّىْ قُرَيْظَةَ بالذى ... قَضَى اللهُ فيهم ما قضيتَ على عَمْدِ
فوافقَ حُكْمَ اللهِ حُكْمُكَ فيهمُ ... ولم تَعْفُ إذ ذُكِّرْتَ ما كان من عَهْدِ.[23]

---

(١٩) جمهرة أشعار العرب ص ٦٨٨ .

(٢٠) الشعر والشعراء جـ١ ص ٣٥٧ .

(٢١) شعراء إسلاميون ص ١٢٠ .

(٢٢) كتاب الردة ص ٣٣٠ .

(٢٣) ديوان حسان ص ١١٤ .

وإذا عزم آخر على فعل شيء في غد - وفي القرآن الكريم ﴿ **وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ** . . . ﴾ (٢٤) - فليعلق الأمر بمشيئته ؛ لأنه - عز وجل - قد قدر ما سوف يكون :

ولا تَقُولَنْ لشيءٍ سَوْفَ أَفْعَلُهُ ... قد قَدَّرَ اللهُ ما كُلُّ امرئٍ لاقِ. (٢٥)

وإن أخفق فليهون على نفسه ، ولا ييتئس ، فإن الأمور - جميع الأمور - بيد الله مقاديرها ، لا يصيب ما قد أخطأ ، ولا يخطئ ما قد أصاب :

هَوِّنْ عليكَ فإنَّ الأمُورَ ... بكَفِّ الإلهِ مَقاديرُها

فليسَ بآتيكَ مَنْهِيُّها ... ولا قاصِرٌ عنكَ مَأْمُورُها. (٢٦)

وماذا يجدي التلهف ؟ هل يصرف عنه الأقدار ؟

يا لَهْفَ نَفْسِي على مالِكٍ ... وهل يَصْرِفُ اللهفُ حِفْظَ القَدَرْ. (٢٧)

لقد قضى الله ما قضى :

قَضَى اللهُ فيها ما قَضَى ثُمَّت انْقَضَى ... وما ما مَضَى إلاَّ كأضغاثِ حالِمِ. (٢٨)

وقضاؤه رائح فيهم وغاد :

كانت بِلادَ خَلِيفَةٍ وَلاَّكَها ... وقَضاءُ رَبِّكَ رائحٌ أو غادِ. (٢٩)

وما قدره كائن ، بل لا يكون سواه :

وما كانَ منكم فارسٌ دونَ فارسٍ ... ولكنَّهُ ما قَدَّرَ اللهُ كائنُ. (٣٠)

---

(٢٤) الكهف ٢٣ ، ٢٤ .

(٢٥) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٤٤٩ ، والكامل للمبرد جـ٣ ص ٢٨ ، والحماسة البصرية جـ ١ ص ١١٨ .

(٢٦) العمدة جـ١ ص ٣٣ .

(٢٧) تاريخ الطبري جـ ٤ ص ٥٥٩ .

(٢٨) وقعة صفين ص ٣٤٩ .

(٢٩) المصدر نفسه ص ٢٢ .

(٣٠) المصدر نفسه ص ٤٣٣ .

أبى إلا ما أراد ، وهو القادر على إنفاذ مشيئته :

فخانُوا وقــد أعْطَوْا يَداً وتَخاذَلُوا — أَبَى اللهُ إلاَّ أمْرَهُ وهو أَصْنَعُ. (٣١)

فما حم نازل لاريب ، كل ما حمه وقدره :

المَـوْتُ حَقٌّ والحــــــيــــــاةُ باطِـلُ

وكـلُّ مــــــا حَـمَّ الإلهُ نــازِلُ. (٣٢)

ولا يستطيع المَرْءُ – وقد عجزت بإزاء إرادة الله مشيئته – صرف الأقدار ودفعها :

ألم تَرَ أنَّ الدَّهْـرَ يَعْـثُـرُ بالـفَـتَى — ولا يسـتطيعُ المَرْءُ صَرْفَ المقـادِرِ. (٣٣)

ولا يملك – وقد أحاطت قدرة الله به ، وهى القدرة التى لاتدانيها قدرة – من أمر نفسه شيئاً :

قَــضَى اللـهُ رَبُّكَ ذا غــالِب — وقُــدْرَةُ ربِّى هى القُــدْرَهْ. (٣٤)

فأين الفرار ولا مفر ؟ وأين – لا أين – المهرب :

أردتَ الفِـــرارَ وأينَ الـفِــرا — رُ من الـلهِ ربِّكَ يا قُـــرَّهْ؟ (٣٥)

٤ – لقد تمثل الشاعر – فى صدر الإسلام – القضاء والقدر فى صورة « مكتوب » ، خطت حروفه – فلا يتبدل – منذ الأزل :

وإنِّى عَـدانى عنكمُ غـيـرَ مـاقِتٍ — نَواران مَكْتُوبٌ علىَّ بغـاهما. (٣٦)

ووجد نفسه – وقد عجز عن تحقيق ما يتمنى إلا إن وافقت أمنيته القضاء – ضعيفاً بإزاء تلك القدرة المهيمنة ، قدرة من قد أبى إلا ما أراد :

---

(٣١) السيرة النبوية م ٢ ص ١٣٥ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٧٠ ، وشعر الدعوة ص ٢٥٣ .

(٣٢) السيرة النبوية م ٢ ص ١٧٠ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٧٩ .

(٣٣) ديوان أبى محجن – ت . لودفيكوس – ص ١٢ ، والأغانى (ط . الشعب) ص ٧٢٣٨ ، والوحشيات ص ١٩٢ ، وتاريخ الطبرى جـ ٤ ص ٩٧ ، ومختار الأغانى جـ ٥ ص ٣٠٥ .

(٣٤) كتاب الردة ص ١٥٣ .

(٣٥) المصدر نفسه والصحيفة .

(٣٦) ديوان الشماخ ص ٣١٢ .

يُـرِيـــدُ المَـرْءُ أنْ يُـؤْتَـى مُـنـاهُ ويَأْبَـى اللهُ إلاّ مـــا أرادا. (٣٧)

وأنفذ فيهم مشيئته :

واللهُ يَـقْــضِى مـــا يَشــاءُ ويَـفْــعَلُ . (٣٨)

كما يقول عبد الله بن بديل ، وما سنه نافذ لا يرد - كما يقول أبو الأسود - :

على غيـرِ شيءٍ غير أنّي مُـعاتِبٌ وذلكَ أمْـرٌ سَنّهُ اللهُ نافِـذُ . (٣٩)

وهو تعالى - كما يقول حسان - « ينفذ أمره » بقدرته وإرادته :

طَحَنَـتْـهـمُ واللهُ يُنْفِــدُ أمْــرَهُ حَرْبٌ يُشَبُّ سَعِيرُها بِضِرامِ. (٤٠)

فلم يجد بداً من التسليم ، وإعلان إيمانه ، دونما جدل أو خوض فى مسائل - سوف تظهر بعد - تقترب من حدود الفلسفة أو علم الكلام :

مُـؤْمِناً بالقَـضاءِ مُـحْـتَسِـباً بالـ ـخيرِ يَرْجو الثَّـوابَ بالسَّابِقاتِ. (٤١)

راضياً كل الرضا ؛ فـالقضاء والقدر بيد عادلة ، والخير - كل الخير - فى ما شاء الله ، الواحد ، القادر على إنفاذ مشيئته :

أَحْـــمَـــدُ الـلهَ فـــلا نِـدَّ له بيَـديهِ الخَيْـرُ مـا شاءَ فَـعَلْ. (٤٢)

ورد أمره لا يستطاع :

قَـوْمٌ قَـضَى الـلهُ لهم أنْ دُعُـوا وردُّ أمْـرِ اللهِ لا يُـسْـتطاعْ. (٤٣)

والعبد يركب ما قدره له :

---

(٣٧) الاستيعاب ص ١٦٤٨ ، وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٠ .

(٣٨) الاستيعاب ص ٨٧٢ ، والإصابة جـ٤ ص ١٩ ، ووقعة صفين ص ٢٤٥ ، وتاريخ الإسلام م ٢ ص ٢١٤ .

(٣٩) ديوان أبى الأسود الدؤلى ص ٤٠ .

(٤٠) ديوانه ص ١٠٩ .

(٤١) وقعة صفين ص ٤٥٩ .

(٤٢) ديوان لبيد ص ١٣٩ .

(٤٣) المفضليات ص ٣٢٣ .

فقلتُ لهـا بل يَثْرِبُ اليـومَ وَجْهُنا   وما يشأ الرَّحْمَنُ فالعَبْدُ يَرْكَبُ.[44]

ولا يملك صرف الأقدار عنه :

عَتادُ امْـرِئٍ فى الحَرْبِ لا واهِنِ القُوَى   ولا هو عَمَّا يَقْدِرُ اللهُ صارِفُ.[45]

فليقض ما هو قاض :

إليكَ إلـهَ الحَقِّ أرْفَعُ رَغْـبَـتِي   عِـيـاذاً وخَـوْفـاً أنْ تُطِـيلَ ضَـمـانِيـا

فإنْ كـانَ بُرْءاً فاجعلِ البُرْءَ نِعْـمَةً   وإنْ كانَ فَيْضاً فاقْضِ ما أنتَ قاضِيا.[46]

وماذا يملك الإنسان من أمـر نفسه والأمر كله بيد الله ؟ إنه إن كان البـرء أو الشفاء فليكن البرء نعمـة ، وإن كان الفيض أو الموت فليقض الله ما يشـاء ، لا اعتراض على قـدره ، ولا تمرد على ما قـضاه ، وإنما الصـبر - كـما يرى آخـر - خاصـة عند نزول المصاب :

فـصَـبَـرْنا لهـم كـمـا حكَمَ اللهُ وكنَّا فـى الموتِ أهْلَ تَأسِّي.[47]

ومن يدرى - وهنا يتجهـون نحو التماس الحكمة المقـترنة فى معتقـدهم بالقضاء ، خيره وشره ، وتبـرير الرضا بالإيمان - فما قد يبدو فى ظاهره شراً قـد يحمل الخير فى باطنه ، وفى بعض المكاره - كما قضى الله - الرشاد :

قَضَى اللهُ فى بعـضِ المَكارِهِ للفَتَى   رَشاداً وفى بَعْضِ الهَوَى ما يُحاذِرُ.[48]

وهو ينظر فيـه إلى قـول المولى عـز وجل ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.[49] وقوله ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .[50]

(٤٤) السيرة النبوية م ١ ص ٤٧٣ ، والاستيعاب ص ٢٦٨ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٢٠٢ ، وشعر الدعوة ص ١٠٠ .

(٤٥) المفضليات ص ٢٨٢ .

(٤٦) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٣٥٦ .

(٤٧) الإصابة جـ ٢ ص ٣٠٢ .

(٤٨) ديوان حميد بن ثور ص ٨٧ ، والزهرة جـ ١ ص ٣٦٨ ، وشعر الدعوة ص ٥٤٤ .

(٤٩) البقرة - من الآية ٢١٦ .

(٥٠) النساء - من الآية ١٩ .

٥ – لكنهم فى الوقت نفسه لم يتخذوا من الأقدار وسيلةً للتواكل وترك العمل والتقاعس عن أداء الواجبات ، بل رأينا بعضهم يسخر ممن يحتج بالقدر ويعلق عليه الأخطاء ، فعمرو بن معد يكرب – وقد حرموه الزيادة فى العطاء بعد توزيع الغنائم لأنه لم يكن من حملة القرآن – يقول يوم القادسية من أبيات :

إذا قُتِلْنا ولا يَبْكِى لنا أحَدٌ ... قالتْ قُرَيْشُ ألا تلكَ المَقاديرُ.(٥١)

وكان أحرى بهم – وقد خرج مجاهداً فى سبيل الله معهم ، وتعرض لما تعرضوا له من الموت – ألا ينقصوا من عطائه – فى رأيه – شيئاً ؛ فهو إن مات ، مات غريباً عن أهله ، ولم يجد فيمن حوله من يبكى له ، وقالت قريش – تتوارى به وتتستر خلفه – إنها الأقدار ، وكأنهم لا دور لهم فيما قد تعرض له – لو كان قد مات بالفعل – من الهلاك .

ويقول النجاشى ساخراً :

ضَرَبُونِى ثم قالوا قَدَرٌ ... قَدَرَ اللهُ لهم شَرَّ القَدَرْ.(٥٢)

وهى سخرية مرة ، من هؤلاء الذين آذوه ، وتطاولوا عليه بالضرب المهين ، ثم نسبوا الفعل – وكأنهم لا فعل لهم – إلى الأقدار ، فلم يملك إلا الدعاء عليهم بشر قدر .

ويرسم مجهول من أهل الشام صورة لا تخلو – تحت وطأة حزنه على عثمان رضى الله عنه – من التطاول على علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ فنراه وهو قابع فى بيته ، يسأل الناس عن الأخبار وهو يعرفها ابتداء ، وعليه سمت السكينة والوقار ، يرقب أن تساق له الخلافة وقد تحرك فى الخفاء من أجلها – هكذا يزعم – سوق الأقدار :

وعلىٌّ فى بَيْتِهِ يَسْأَلُ النَّا ... سَ ابْتِداءً وعِنْدَه الأَخْبارُ

(٥١) شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى ص ١١٦ .

(٥٢) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٣٣٠ .

باسطاً للتى يريدُ يَدَيْهِ وعليه سكينةٌ ووَقارُ
يَرْقُبُ الأمرَ أنْ يُزَفَّ إليه بالذى سَبَّبَتْ له الأقدارُ.(٥٣)

وهى لا تخلو كما أشرت من التطاول على علىّ ، ورميه - وقد عُمِّيَتْ الأمور وغشيت الناس الفتنة - بما لا يليق ، لكنها ذات دلالة فيما نحن بصدده ، من إثبات الفعل للناس ، والتهكم منهم حين يحاولون التنصل منه والإحالة دائماً على الأقدار ، وكأنهم لا فعل لهم على الإطلاق .

وعلى الرغم مما قد يتبدى فى ظاهر تلك الأبيات من نفى للقدر ، إلا أنهم لم يكونوا يقصدون حقيقة إلى مثل هذا النفى ، وإنما كانوا يحاولون التخفف من غلواء من سوف يسير على نهجهم الجبريون فيما بعد ؛ فلا يستطيع عاقل ذو لب سليم - فضلاً عن أن يكون مؤمناً صحيح الإيمان - أن ينفى القدر جملة :

لا يَدْخُلُ النَّارَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ أبداً ولا يَقُولُ ذوو الألْبابِ لا قَدَرُ .(٥٤)

وإن يعجب كعب بن زهير لأعجبه - شد ما يكون العجب - سعى الإنسان وقد قُدِّرَ من قبل له عمله :

لو كنتُ أعْجَبُ من شيءٍ لأعْجَبَنِى سَعْىُ الفَتَى وهو مَخْبُوءٌ له القَدَرُ.(٥٥)

ويمسى من يمسى من آل يحيى مغتبطاً ، ما لم يغلب - كما يقول عمرو بن أحمر - القدر ، والقدر لا غالب له :

مَنْ يُمْسِ من آلِ يَحْيَى يُمْسِ مُغْتَبِطاً من عِصْمَةِ الأمْرِ ما لم يَغْلِبِ القَدَرُ.(٥٦)

ولولا الإله « وما يأتى به القدر » كما يقول النعمان بن عجلان :

---

(٥٣) العقد الفريد جـ٥ ص ٤٥ .

(٥٤) شرح شواهد المغنى ص ٥٢٢ ، وشعر الدعوة ص ٥٤٣ .

(٥٥) ديوانه ص ٢٢٩ ، والشعر والشعراء جـ١ ص ١٥٢ ، والعقد الفريد جـ ٢ ص ١٩٤ ، والحماسة البصرية جـ ٢ ص ٢٣ ، والاستيعاب ص ١٣١٥ ، والإصابة جـ ٥ ص ٤٤٦ ، وأسد الغابة م ٤ ص ١٦٧ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٨٤٠ .

(٥٦) جمهرة أشعار العرب ص ٦٨٠ .

لَمَّـا تَداعَتْ لهم بالمِصْـرِ داعِـيَـةٌ إلا الكلابُ وإلا الشَّاءُ والحُمُرُ. (٥٧)

وقد « قضى الله فى الأشياء ما كان قاضياً » (٥٨) ، يسوقه نصر بن نصر بن قدامة فى الاعتذار عن عدم خـروجه إلى القتال معهم ، وقد تمـنى - بعدها - لو كان خرج ، لكنها الأقدار كما يقول .

وأى يوميه من الموت - كما يقول آخر ، وكان علىٌّ رضى الله عنه يتمثل به - يفر؟ « يوم لا يُقْدَرُ أم يوم قُدِر » ؟ فما لم يُقْـدَر لا يخاف منه ولا يخشاه - لأنه لا يكون إلا ما قُدِّر - « ومن المقْدُورِ لا يَنْجو الحَذِر » .(٥٩) و« لله فوق الصانعين صنائع» .(٦٠) ، و « الله يفعل ما يشاء » (٦١) ، والأمر له ، و « ليس لرحل حطه الله حامل » (٦٣) ، ولا « لوجه زانه الله شائن » (٦٤) ، « والله ينفذ أمره » (٦٥) . إلى آخر تلك العبارات التى ترددت فى ثنايا أشـعارهم ، مـعبرة أصـدق التعـبير عن عـمق إيمانهم بقـضاء الله وقدره، وما كانوا يعتقدونه فى أنفسهم - من ناحيتى الجبر والاختيار - إزاء هذا الإيمان، وتسليمهم - تسليمَ القناعة والرضا - دون التطرق - كما سوف نرى فيما بعد عند شعراء الفرق المذهبية كالمعـتزلة والمرجئة - إلى شىء من الجدال ، وما قد يستـتبعه من التحليل والتفصيل وسوق الحجج والأدلة ، واستخدام المنطق وضروب القياس .

---

(٥٧) وقعة صفين ص ٣٨١ .

(٥٨) الإصابة جـ ٣ ص ٣٥٥ .

(٥٩) العقد الفـريد جـ ٦ ص ١٠٨ ، ١١٩ ، وديوان الإمام على - ت . د . محمد عبـد المنعم خفاجى - ص ٦٨ .

(٦٠) السيرة النبوية م ٢ ص ٢٦٣ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٥٦١ .

(٦١) كتاب الردة ص ٢٣٩ .

(٦٢) المصدر نفسه ص ٢٤٣ .

(٦٣) العقد الفريد جـ ٢ ص ٢٩٩ .

(٦٤) الاستيعاب ص ١٨٧٧ .

(٦٥) ديوان حسان ص ١٠٩ .

الملائكة

١ - ومن الغيبيات التى اعتقدوا بوجودها - وعبر شعرهم عن هذا الاعتقاد - الملائكة ، وقد أسندوا لهم أفعالاً خاصة ، وسموا بعضهم ، وساقوا طرفاً من أخبارهم، ووصفوهم - كما وصفهم القرآن الكريم - ببعض الصفات .

فمنهم حملة العرش ، وهم « ثمانية شداد » ، مقربون من الله عز وجل :

وتَحْـــمِلُهُ ثَمـــانِيَـــةٌ شِـــدادٌ ... مَـــلائكـةُ الإلهِ مُـــقَـــرَّبِينا.[١]

وهم المعنيون - وقد تأثر به الشاعر ههنا - بقول الله عز وجل : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾.[٢]

ومنهم المنتشرون فى الآفاق يوم البعث - يقومون على تدبير ما فى ذلك اليوم ، ويسوقون الناس إلى المحشر - وفيهم يقول حسان ، وقد وصفهم بأنهم « أبرار » :

مـاذا تَقُـولونَ إنْ قـالَ الـنَّبِىُّ لكم ... حينَ المـلائكةُ الأبرارُ فـى الأُفُقِ؟[٣]

ومنهم الذين يتنزلون - بالوحى ونحوه - على النبى ، ثم انقطع نزولهم بانتقاله ﷺ إلى ربه وانتهاء الوحى . وإلى هؤلاء يشير كعب بن مالك بقوله فى رثاء النبى :

لِفَـقْـدِ النَّبِىِّ إمـامِ الهُـدَى ... وفَـقْـدِ الملائكـةِ المُنْزَلِـينا.[٤]

ومنهم من جاء للقتال مع المسلمين فى حروبهم ضد الكفار :

ذَرُوا فَلَجاتِ الشَّامِ قد حالَ دُونَها ... ضِـرابٌ كأفـواهِ اللِّقـاحِ الأَوارِكِ

بأَيْدِى رِجـالٍ هاجَرُوا نَحْـوَ ربِّهم ... وأنْصارِهِ حَـقّاً وأيْدِى المَلائكِ.[٥]

---

(١) أمالى اليزيدى ص ١٠٢ ، والاستيعاب ص ٩٠١ ، وبهجة المجالس جـ ٢ ص ٣٦ ، وشرح شواهد المغنى ص ٢٩١ ، وتاريخ الإسلام م١ ص ٤٥٦ ، وشعر الدعوة ص ١٤٦ .

(٢) الحاقة - من الآية ١٧ .

(٣) ديوان حسان ص ٣٠٧ ، والسيرة النبوية م ٢ ص ١٧٧ .

(٤) ديوان كعب بن مالك الأنصارى - ت . د . سامى مكى العانى - رقم ٦٤ ، ومناقب آل طالب للمازندرانى جـ ١ ص ٢٤٤ ، ومرائى النبى ص ١٩٩ .

(٥) ديوان حسان ص ١٦٤ .

وهو مما قاله حسان بن ثابت فى يوم بدر الآخرة ، وقد أثبت لهم - وهو ثابت فى القرآن (٦) ، وفي كتب السيرة (٧) - قتالاً ، وإن لم يبين لنا كيفية هذا القتال .

٢ - ويسمون - فيما اطلعت عليه - اثنين منهم ؛ جبريل وميكال ، يخصونهما - من بين الملائكة بكثرة الإشارة والحديث . أما جبريل فهو « أمين الله » و « روح القدس» وليس له - فى قول حسان - مثيل :

وجِـبْـريلٌ أمينُ اللـهِ فِـينا ... ورُوحُ القُـدْسِ ليسَ له كِفـاءُ. (٨)

وقد أنيط به الوحى ، فهو يروح ويغدو به - حتى مات النبى - فى قول أبى سفيان ابن الحرث :

فَـقَـدْنا الوَحْـىَ والتَّنْزيلَ فِـينا ... يَرُوحُ به ويَغْـدُو جِـبْـرَئيلُ. (٩)

وكم قـد حـضـرهم بالآيات - ثم غـاب كـذلك بموت النبى - فى قـول إحـدى شواعرهم :

وكـانَ جِبْـرِيلُ بالآياتِ يَحْضُـرُنا ... فغابَ عنَّا وكلُّ الخَيْرِ مُحْتَجِبُ. (١٠)

كما كان ينتابهم بالشريعة - أو « فرائض الإسلام » على حد قول كعب بن مالك - ممثلة فيما ينقله عن رب العزة من آيات الأحكام :

يَنْتـابُنا جِـبْـريلُ فى آبائـنا ... بفَرائضِ الإسـلامِ والأحْكامِ. (١١)

وينزل ليبلغ أمـر الله للنبى - وللمؤمنين من بعده - بقـتل رأس من رءوس يهود ، وطاغوت مـن طواغيتـهم ، لم يأل جهـداً فى التأليـب على الإسلام والتـشبيب بـنساء المسلمين ككعب بن الأشرف :

---

(٦) الأنفال ٩ ، ١٢ .

(٧) السيرة النبوية م ١ ص ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، م ٢ ص ٤٤٩ .

(٨) ديوانه ص ٧٥ .

(٩) مراثى النبى ص ١٣٩ .

(١٠) المصدر نفسه ص ١٧٨ .

(١١) أنساب الأشراف ص ٢٦٨ .

غَــداةَ رأى اللهُ طُغْيــانَهُ   وأعْــرَضَ كــالجَــمَــلِ الأَجْنَفِ
فــأنــزلَ جِــبْــرِيلَ فى قَــتْلِهِ   بوَحْيٍ إلى عَــبْــدِهِ مُلْطِفِ. (١٢)

ويسميه كعب بن مــالك بـ « الروح » ، ويصف نزوله من السماء بـ « التدلى » ، ويشير إلى مجيئه من عند ربه بالوحى ثم ارتفاعه مرة أخرى فى كل مــرة يبلغ فيها عن ربه طيلة حياة النبى :

تَدَلَّى عليــه الرُّوحُ مــن عندِ ربِّهِ   يُنَزَّلُ من جَوِّ السَّــماءِ ويُرْفَعُ. (١٣)

وقد اعتبره - لهذا كله - مران بن ذى عمير خديماً للنبى ؛ فقال فى رثائه له :

بَكَتِ الأرضُ والسَّــمــاءُ عليــه   وبكاهُ خَــدِيمُــهُ جِــبْــرِيلُ. (١٤)

٣ - ولم يقف الأمر - فيما يتعلق بجبريل عليه السلام - عند الوحى وحده ، وإنما رأيناهم يتحدثون عن مشاركته - مع سائر الملائكة - فى القتال ضد الكفار ، فقد كان « مدداً » لهم فى قول قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى :

هــذا اللــواءُ الذى كــنا نَــحُفُّ بــه   معَ النَّبيِّ وجِــبْــرِيلٌ لنا مَــدَدُ. (١٥)

وكان معهم تحت لواء واحد يوم بدر ، هو والنبى ، يرد وجوه الكفار :

وبِبِــئْــرِ بَدْرٍ إذ يَــرُدُّ وُجُــوهَهم   جِبْــرِيلُ تحتَ لِوائنا ومُحَــمَّدُ. (١٦)

وكم تقدم كتائب المسلمين - حتى تحقق لهم النصر - فى قول حسان :

نُصِــرْنا فمــا تَلْقَى لنا من كَــتِــيبَــةٍ   يد الدَّهْرِ إلا جِبْرَئيلُ أمــامَها. (١٧)

وفيــه يثبت مشــاركة له فى غــير بدر ، أو يقوله للكفــار - بعد بدر - على ســبيل

---

(١٢) السيرة النبوية م ٢ ص ١٩٧ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٩٦ ، وشعر الدعوة ص ١٩٦ .
(١٣) السيرة النبوية م ٢ ص ١٣٣ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٤٦٩ ، وشعر الدعوة ص ٢٥٢ .
(١٤) مراثى النبى ص ١٧٥ .
(١٥) الاستيعاب ص ١٢٩٢ ، وأسد الغابة جـ ٤ ص ١٢٠ .
(١٦) ديوان المعــانى جـ ١ ص ٨١ ، والســيرة النبــوية م ٢ ص ١٥٨ ، والبــداية والنهــاية م ٢ ص ٤٧٣ ، وشعرالدعوة ص ٤٤٨ .
(١٧) ديوان حسان ص ٣٩٦ .

التهديد . وفى حنين يجىء على لسان رجل منهم ، معتذراً عما حل بهم من هزيمة :

فضاربُوا النَّاسَ حتَّى لم يَرَوْا أحَداً — حَولَ النَّبيِّ وحتَّى جَنَّهُ الغَسَقُ
ثُمَّت نُزِّلَ جِبْريلٌ بنَصْرِهمُ — من السَّماءِ فمَهْزُومٌ ومُعْتَنَقُ
مِنَّا ولو غَيْرُ جِبْرِيلٍ يقَاتِلُنا — لَمَنَّعَتْنا إذنْ أَسْيافُنا العُتُقُ. (١٨)

وهى إشارة صريحة – تجىء على لسان خصم من خصوم الإسلام – بمشاركة الملائكة – خاصة جبريل – فى حروب المسلمين ضد خصومهم .

وقد وضعوه – عليه السلام – موضع القيادة – يعنون بذلك الملائكة – في مواضع؛ منها :

وفينا جُنودُ اللهِ حينَ يُمِدُّنا — بهم فى مَقامٍ ثَمَّ مُسْتَوْضَحِ الذِّكْرِ
فشَدَّ بهم جِبْرِيلُ تحتَ لوائنا — لَدَى مَأزِقٍ فيه مَنَاياهُمُ تَجْرِى. (١٩)

ولأيمن بن خريم فى مقتل عثمان رضى الله عنه :

ثَمانِينَ أَلْفاً دِينُ عُثْمانَ دِينُهم — كتائبُ فيها جِبْرئيلُ يَقُودُها. (٢٠)

وأما ميكال – أو ميكائيل – عليه السلام ، فقد اقترن ذكره مع جبريل فى نصرة الإسلام ؛ فهو فى شعر حسان يرفع النصر – وقد بعث الله به وبجبريل مدداً – يوم بدر :

ويومَ بَدْرٍ لَقِيناكُم لنا مَدَدٌ — فيَرْفَعُ النَّصْرَ مِيكالٌ وجِبْرِيلُ. (٢١)

وكلاهما – عنده أيضاً – مدد من عند الله عز وجل للنبى ﷺ :

---

(١٨) السيرة النبوية م ٢ ص ٤٧٥ ، والإصابة جـ ٥ ص ٩٣ ، ٩٤ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٧٩٥ ، ٧٩٦، وتاريخ الإسلام م ١ ص ٤٩٥ ، وشعر الدعوة ص ٢٦٧ .

(١٩) السيرة النبوية م ٢ ص ٩ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٣٩٠ ، وشعر الدعوة ص ٢٤٤ .

(٢٠) وقعة صفين ص ٥٥٦ .

(٢١) ديوان حسان ص ٣٩٤ . ونسب قريش – وقد نسب فيه لكعب بن مالك – ص ١٢ .

مـيكالُ مَعْكَ وجِبْـرئيلُ كِلاهُمـا مَدَدٌ لنَـصْرِكَ من عَزيـزٍ قادِرِ .[٢٢]

وعند كعب بن مالك :

بنَصْـرِ اللهِ رُوحُ القُـدْسِ فـيهـا ومـيكالٌ فـيـا طِيْبَ الملاءِ .[٢٣]

وهو مما قاله فى يوم بدر . وباسـتثناء ذلك لانجد له - فـيما اطلعت عليه - عـملاً آخر تم إسناده إليه ، اللهم إلا ما جاء منسوباً إلى ورقة بن نوفل من مشاركته جبريل فى المجىء إلى النبى - حين استشارته خديجة فى أمره ﷺ أول بعثته - بالوحى .[٢٤]

❦ ❦ ❦ ❦

الجان

١ - عالم آخر من عوالم الغيب يتحدث عنه الشعراء فى صدر الإسلام ، مسجلين فى ثنايا هذا الحديث ما كانوا يعتقدونـه فيه ؛ من الوجود بدايةً إلى الصفات والنعوت ، والأنواع والأعمال وعلاقته بالإنسان ودوره فى الوجود .

وهم - كالبشـر - طائفتان ؛ طائفة مؤمنة بالله ، وأخـرى كافرة ، مما يبعد شـبهة التسـخير عنهم ، فليـسوا كالدواب ونحـوها ، وليسوا كـالملائكة . وفى سورة الجن : ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ .[٢٥] وفيها كذلك : ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ⑬ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ⑭ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ .[٢٦] وفى شعرهم إشارات كثيرة إلى هاتين الطائفتين .

---

(٢٢) الروض الأنف جـ ٢ ص ٩١ ، وشعر الدعوة ص ٣٥٣ . وليس فى ديوانه .

(٢٣) السيرة النبوية م ٢ ص ٢٦ ، وشعر الدعوة ص ٢٤٧ .

(٢٤) تاريخ الإسلام م ١ ص ٦٠ .

(٢٥) آية ١١ .

(٢٦) الآيات ١٣ : ١٥ .

أما الطائفة المؤمنة - ولا يطلقون عليها على تعدد الأسماء إلا الجن أو الجان - فمنهم من استمع إلى القرآن من النبى - وقد صرفهم الله عز وجل إليه - وهم الذين هدى الله :

ألا انْعِ النَّبِىَّ إلى مَنْ هَدَى ... من الجِنِّ لَيْلَةَ إذ تسمعونا.[٢٧]

وهو معنى قوله تعالى : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.[٢٨]

وهؤلاء لا يأمرون إلا بخير - فلا علاقة لهم - كما كانت حالهم قبل الهداية - بإغواء الإنسان ، أو تحريضه على معصية الله :

وكانَ مضِلِّى مَنْ هُدِيتُ برُشْدِهِ ... فللهِ مُغْوٍ عادَ بالرُّشْدِ آمِرا.[٢٩]

بل إن منهم - كشصار صاحب خنافر بن التوأم الحميرى - من يدعو صاحبه -وكان لايزال على الكفر - إلى الدخول فى الإسلام :

دعانى شِصارٌ للتى لو رَفَضْتُها ... لأُصْلِيتُ جَمْراً من لَظَى الهَوْبِ واهِرا

فأصبحتُ والإسلامُ حَشْوُ جَوانِحِى ... وجانَبْتُ مَنْ أَمْسَى عن الحَقِّ نائرا.[٣٠]

ويجىء آخر فى المنام إلى خفاف بن نضلة ليبشره بالنبى - وقد بعث - يقول خفاف وقد وفد عليه ﷺ :

إنِّى أتانِى فى المَنامِ مُخَبِّرٌ ... من جِنِّ وَجْرَةَ فى الأُمُورِ مُواتِ

يَدْعُو إليكَ لَيالِياً ولَيالِياً ... ثم احْزَأَلَّ وقالَ لَسْتُ بآتِ

فَرَكِبْتُ ناجِيةً أَضَرَّ بِمَتْنِها ... جَمْرٌ تَخُبُّ بِهِ على الأَكَماتِ

---

(٢٧) ديوان كعب بن مالك الأنصارى - ت . د . سامى مكى العانى - رقم ٦٤ ، ومناقب آل طالب للمازندرانى جـ ١ ص ٢٤٤ ، ومراثى النبى ص ١٩٩ .

(٢٨) الجن ١ ، ٢ .

(٢٩) الأمالى لأبى على القالى - جـ ١ ص ١٧٠ ، وشعر الدعوة ص ٦٧ .

(٣٠) الأمالى لأبى على القالى - جـ١ ص ١٧٠ ، والإصابة جـ ٢ ص ٣٠٥ ، وشعر الدعوة ص ٦٧ .

حَتَّى وَرَدْتُ إلى المَدِينَةِ جاهِداً كَيْما أراكَ فتَفرِجَ الكُرُباتِ. (٣١)

وكذلك رئى سواد بن قارب – وكان سواد كاهناً فى الجاهلية – وقد ظل يأتيه ثلاث ليالٍ متواليات ، وفيه يقول :

أتانِى نَجِيِّى بعدَ هَدْءٍ ورَقْدَةٍ ولم يكُ فيما قد بَلَوْتُ بكاذِبِ
ثلاثَ لَيالٍ قَولُهُ كلَّ ليلةٍ أتاكَ رَسُولٌ من لُؤَىِّ بنِ غالِبِ. (٣٢)

وينسب إلى بعضهم – مع احترازنا من مثل هذا الشعر الذى ينسبه العرب إلى الجان – قوله لخريم بن فاتك الأسدى ، وقد استعاذ حين نزل وادياً بكبير الجن ، كما كانوا يصنعون فى جاهليتهم :

وَيْحَكَ عُذْ باللهِ ذى الجَلالِ مُنَزِّلِ الحَرامِ والحَلالِ
ووَحِّدِ اللهَ ولا تُبالِى ما هَوْلُ ذى الجِنِّ من الأَهْوالِ. (٣٣)

لكنه فيما يبدو – كسائر الشعر المنسوب إليهم فى تلك الفترة – شعر موضوع ، صنعه الرواة بآخرة ، ليضفوا نوعاً من الطرافة والغرابة على ظهور الإسلام وصراعه ضد الوثنية والكفر .

٢ – وأما الكفار منهم – ويطلقون عليهم عادة « الشياطين » ، ويسمون كبيرهم «إبليس » – فقد ربط الشعراء بينهم وبين الغواية والضلال والحض على المعصية والكفر؛ فهم يذهبون بالإنسان فى الشر كل مذهب :

فإنَّ شَيْطانِى كَبِيرُ الجِنِّ يذهبُ بى فى الشَّرِّ كلَّ فَنِّ. (٣٤)

---

(٣١) الإصابة جـ٢ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ووقعة صفين ص ٢٩٢ ، ومن الضائع من معجم الشعراء ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٣٢) الحماسة البصرية جـ ١ ص ١١٧ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٥٥ ، والزهرة جـ ٢ ص ٨٤٠ ، ٨٤١، ونهاية الأرب جـ ١٨ ص ١٤٤ ، والاستيعاب ص ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، وتاريخ الإسلام م ١ ص ٩١ ، والبداية والنهاية م ١ ص ٧٨٤ ،وتفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٦٨ ، وشعر الدعوة ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٣٣) أسد الغابة جـ ٤ ص ٢٥٤ ، والإصابة جـ ٥ ص ٥٥٤ ، وشعر الدعوة ص ٥٣٢ .

(٣٤) الوحشيات ص ١١٩ .

ويسيرون بهم فى سنن الغى :

إذ أُبارِى الشَّيْطانَ فى سُنَنِ الغَىِّ ومَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ. (٣٥)

ولا ينفك كبيرهم إبليس يزل الكفار عن الحق ، ويصدهم عن الإيمان :

طَغَوْا وتَمَنَّوْا كِذْبَهُ وأَزَلَّهم عن الحَقِّ إبْليسٌ فخابُوا وخُيِّبُوا. (٣٦)

ويدفع بهم ويقودهم - فى محاولة منه لوأد الإسلام فى مهده - إلى قتال المسلمين، ثم لا يلبث - كعادته - أن يخيس بهم ، ويبرأ - وقد عاين الأمر - منهم؛ لأنه يرى ما لا يرون ، ويعلم - ولديه خُبْرٌ لا يوجد فى الحق لديهم - ما لا يعلمون ، ويخاف عقاب الله ونقمته :

لِواءَ ضَلالٍ قادَ إبْليسُ أهْلَهُ فخاسَ بهم إنَّ الخَبيثَ إلى غَدْرِ
وقالَ لهم إذ عاينَ الأمرَ واضِحاً بَرِئْتُ إليكم ما بِىَ اليومَ من صَبْرِ
فإنِّى أرَى ما لا تَرَوْنَ وإنَّنى أخَافُ عِقابَ اللهِ واللهُ ذو قَسْرِ
فقَدَّمَهم للحَيْنِ حَتَّى تَوَرَّطُوا وكانَ بِما لم يَخْبُرِ القومُ ذا خُبْرِ. (٣٧)

ولأن الإخزاء طبيعة فى الشيطان ، والتخلى عمن أطاعه حين يجد الجد - كما يرون - فإن مصير أتباعه الإخفاق دوماً والفشل ، وكذلك كان مصير الكفار :

طاوَعُوا الشَّيْطانَ إذ أخْزاهمُ فاستَبانَ الخِزْىُ فيهم والفَشَلْ. (٣٨)

لقد أذلهم الله - وقد أطاعوا الشيطان طاعة عمياء ، وانساقوا له سوق من لا عقل له - بعبادته :

واللهُ أهْلَكَهُمْ وفَرَّقَ جَمْعَهم وأذَلَّهم بعِبادَةِ الشَّيْطانِ. (٣٩)

---

(٣٥) شعر عبد الله بن الزبعرى ص ٣٦ ، وديوان حسان ص ١٠١ .

(٣٦) السيرة النبوية م ١ ص ٤٧٣ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٢٠٢ ، وشعر الدعوة ص ١٠٠ .

(٣٧) السيرة النبوية م ٢ ص ٩ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٣٩٠ ، وشعر الدعوة ص ٤٣ .

(٣٨) البداية والنهاية م ٢ ص ٤٧٥ ، وشعر الدعوة ص ٣٣٦ .

(٣٩) السيرة النبوية م ٢ ص ٤٥٩ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٨٠٢ ، وشعر الدعوة ص ٢٦٦ .

فهو يكيد للكفار ، فيصدرون فى كيدهم للإسلام عنهُ :

وإنَّمـا كَـيْـدُ مـن تَخْـشَى بَوادِرَهُ كَيْـدُ الشَّياطِين كـادَتْهُ لكُفَّارِ .(٤٠)

ويغويهم ثم - كعادته - يسلمهم ، وهو غرار لمن والاه ، يعدهم بالنصرة ، ويقول « إنى لكم جـار » ، فإذا ما اسـتوثقـوا به أوردهم شـر المـوارد ، حيث الخـزى وحيث العار :

دَلاَّهُمُ بـغُـرُورٍ ثم أَسْـلَمَـهـم إنَّ الخَـبِـيثَ لمَنْ والاهُ غَـرَّارُ

وقـالَ إنِّى لكـم جـارٌ فـأَوْرَدَهم شَرَّ المَوارِدِ فـيه الخِـزْىُ والعارُ .(٤١)

وفى وصفه بالخبث مـا يكفى - فى إبراز حقيقته - عن غيـره من الأوصاف الكثيرة والنعوت ، فلا يحـتاج الشاعر إلى تعدادها بقـدر ما يحتاج إلى تأكيـد هذه الصفة على نحو خاص ، للإقناع بها - من خلال ما يقدم من الأدلة - كما صنع حسان ، وغالباً ما تنحصر تلك الأدلة فى الكيد والإغواء ثم التخلى عن صاحبه بعد أن يكون قد أورده فيما لا يحمد عقباه .

٣ - ويشير بعـضهم إلى وجود علاقـة بين الشياطين والسحـر ، فقد دخل جندب على الوليد بن عقبة - وكان والياً - « وعنده سـاحر يكنى أبا شيبان ، يأخذ أعين الناس فيخرج مصارين بطنه ثم يعيدها فيه ؛ فجاء من خلفه فقتله ، وقال :

الْعَنْ وَلِيـداً وأَبا شَـيْـبـانِ وابنَ حُـبَيْـشٍ راكبَ الشَّـيْطانِ

رَسُـولَ فِرْعَـونَ إلى هامـانِ» .(٤٢)

فـقد وصـف الساحـر بأنه على اتصـال بالشـيطان ، أو على حـد قـوله « راكب الشيطان» ، ولم ير جرما فى قتله .

ويربط بعضهم بين الجن - على عمومه - والأمراض ، كالطاعون - ولعلها رواسب

(٤٠) الروض الأنف جـ ٢ ص ٦ ، وشعر الدعوة ص ١٠٢ .

(٤١) ديوان حسان ص ٣٨٨ .

(٤٢) الأغانى (ط . الشعب) ص ١٧٨٨ ، ومختار الأغانى جـ ٨ ص ٢١٤ .

(٤٣) ديوانه ص ٣٨٥ .

من معتـقدات قديمة – على نحو خـاص ، فيقول حسـان وقـد تفشى فى بلد من بلاد الشام :

فأَعْجلَ القَوْمَ عن حاجاتِهم شغلٌ   من وَخزِ جِنٍّ بأَرْضِ الرُّومِ مَذْكُورِ .(٤٣)

ولعله لا يتعدى الاستعارة – مشبهـاً على سبيل التخييل آلام المرض بوخز الجان فى شدته – فلم نجد أحداً من شعراء تلك الفترة يتابعه عليه .

ويذكر خطر بن مالـك – وكان كاهناً فى جاهليتـه – استراق الشيـاطين – ويصفهم بأنهم « عتـاة الجان » – السمع من السـماء ، ثم منع الله لهم – مع بعـثة النبى ﷺ – وقذفهم بالشهب ونحوها ، فنراه يقول :

أقـسـمتُ بالكَعْبَـةِ والأرْكـانِ   والـبَلَـدِ المـؤمن الـسَّـدانِ

قـد مُنِـعَ السَّمْعَ عُـتـاةُ الجـانِ   بثـاقـبٍ بكَـفٍّ ذى سُلْـطانِ

من أجلِ مَـبْـعُـوثٍ عَظِيمِ الشَّانِ   يُبْـعَثُ بالتَّـنْزِيلِ والقـرآنِ .(٤٤)

وقد أخبـر الله عز وجل فى القرآن الكريم بقصـة السمع هذه ؛ فقد جـاء فيه على لسان بعضهم : ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ⑧ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ .(٤٥)

وكانوا يستعيذون بالجن كلمـا نزلوا وادياً من الأودية ، وقد سجل حجاج بن علاط قبيل إسلامه تلك الاستعاذة فقال :

أُعِـيـذُ نَفْـسِى وأُعِـيـذُ صَـحْـبِى   من كـلِّ جِنِّـىٍّ بهـــذا النَّـقْبِ

حـتَّى أؤوبَ سـالماً وركْـبِى .(٤٦)

لكنهم – وقد أسلموا – صاروا يستعيذون بعد بالله .(٤٧)

(٤٤) الاستيعاب ص ١٣٤٢ ، والإصابة جـ ٥ ص ٥١١ .
(٤٥) الجن ٨ ، ٩ .
(٤٦) أسد الغابة جـ ١ ص ٥٢٠ .
(٤٧) ديوان أبى الأسود الدؤلى ص ٤١ ، ١٣٢ ، وشعراء إسلاميـون ص ٢٣٨ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٦٨٠ ، ونهـاية الأرب جـ ١٨ ص ١٤٨ ، والإصابة جـ ٥ ص ٥٥٤ ، وأسد الغـابة جـ ٤ ص ٢٥٤ ، والبداية والنهاية م ١ ص ٨٠٧ ، وشعر الدعوة ص ٥٣٢ .

ويذكر عـمر بن الخطاب – وينسب كذلك لورقة – تسـخير سليمـان للجان [٤٨] . بينما يرمى حسـان – فى إطار الهجاء – هند بنت عتبة بأن قوابلـها – وقد باتت تُمَخَّضُ بالوادى – كن من الجن [٤٩] . ويشير آخرون إلى « شياطين الشعر » على اعتبار أنَّ هذا الفن قد يكون له علاقة – من ناحية الإلهام – بهم [٥٠] ، وقد عجزوا – فيما أتصور – عن الوصول إلى تفسـير صحيح للشاعرية ، فـراحوا يربطون بينها – من ثم – وبين هذا العالم المجهول .

٤ – ونلمح فى صورهم وتشـبيهاتهم – من خـلال أوجه الشبه تحـديداً – طرفاً مما كانوا يعتقدونه فى الجان ؛ كالقوة التى تفوق قوتهم ، والبأس الذى لا حدود له :

وَيْلٌ لأشْـــرافِ النِّـــــاءِ مِنِّى صَمَـخْمَحٌ كـأنَّنى من جِنِّ. [٥١]

والصوت المبهم كالصفير – وقد شبه هزيز الريح به – أو العزيف :

كـــأنَّ هَزِيزَ الرِّيحِ بـينَ فُـرُوجِــهِ عَوازِفُ جِنٌّ زُرْنَ جِناً بجَيْهَما. [٥٢]

والتلون – وقد يفهم منه القدرة على التجسد فى أشكال مختلفة – وعدم الثبات :

فـما تَدوُمُ على حـالٍ تكونُ بهـا كما تَلَوَّنُ فى أثْوابِها الغُولُ . [٥٣]

---

(٤٨) العمدة جـ ١ ص ٣٤ ، وتاريخ الطبرى جـ ٤ ص ٢٢٠ ، والحماسة البصرية جـ ٢ ص ٤٢٥ ، ومروج الذهب جـ ١ ص ٢٧٤ ، والبداية والنهاية م ١ ص ٧٣٧ ، والروض الأنف جـ ١ ص ١٢٥ .

(٤٩) ديوانه ص ٣٨١ .

(٥٠) ديوان حسان ص ٣٢٩ ، ٣٩٧ ، وديوان المعانى جـ ١ ص ١١٣ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٤٧ : «الفصل الرابع : فى قول الجن الشعر على ألسنة العرب » .

(٥١) تاريخ الطبرى جـ ٤ ص ٣٣١ . ويذكر آخر – مما يؤكد هذه القوة فى معتقدهم – أنهم لا طاقة لهم بقتال هؤلاء الجان :

أعاذِلُ لو كانَ البَدادُ لقُوتِلُوا ولكنْ أتَوْنا كلُّ جِنٌّ وخابِلٍ .

البرصان والعرجان للجاحظ – ص ١٤ .

(٥٢) ديوان الشماخ ص ٤٦١ .

(٥٣) ديوان كعب بن زهير ص ٦ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٦٣٣ ، والسيرة النبوية م ٢ ص ٥٠٥ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٨٣٦ ، وتاريخ الإسلام م ١ ص ٥١١ .

والسرعة الفائقة وشدة العدو :

خَـيْلاً كـأمـثـالِ السَّعـالِى شُـزَّباً   تَعْدُو ببيضٍ فـى الكَرِيهَةِ شُوسِ. (٥٤)

والإغواء والمكر :

تَراءتْ لنا جِنِّـيَّـةٌ فى مَسـاجِـدٍ   وثَوبَىْ حَرِيرٍ فوقَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ. (٥٥)

ويختفى أو يكاد – مع تمكن العقيدة الصحـيحة – الحديث عن السعالى والغيلان – وكنا نرى أسلافهم الجاهليين يستفيضون فيه (٥٦) – ليعود مـرة أخرى إلى الظهور بشكل أكثر استفاضة فى العصر الأموى (٥٧).

---

(٥٤) المثل السائر جـ ٢ ص ٣١ .

(٥٥) ديوان عمرو بن شاس ص ٤٣ .

(٥٦) ديوان دريد بن الصمة ص ٤٨ ، الشعر والشعراء جـ ١ ص ٣١٤ ، العمدة جـ ١ ص ٢٨٨ ، ديوان المعانى جـ ١ ص ١١٢ ، والاشتقاق لابن دريد جـ١ ص ٢٢٧ ، الكامل للمبرد (ط . بيروت) جـ٢ ص ٨١ ، الحيوان للجاحظ جـ١ ص ١٨٥ ، جـ٦ ص ١٩٧ ، السيرة النبوية م ١ ص ٤٠ .

(٥٧) الحماسة البصرية جـ ٢ ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، الشعر والشعراء جـ ٢ ص ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، المثل السائر جـ٢ ص ١٤ ، بهجة المجالس جـ٢ ص ١٧٦ : ١٧٩ .

المبحث السادس

ثلاثة من شعراء العقيدة

- النعمان بن بشير
- النابغة الجعدى
- أبو قيس صرمة بن أبى أنس الأنصارى

من بين عشر قصائد - يزيد طول كل منها عن ستة أبيات - وخمس عشرة قطعة ومقطوعة - تتراوح بين البيت الواحد وستة الأبيات - هى جملة ما وصلنا من شعر النعمان ، نجد له قصيدتين كاملتين - من أطول قصائده بالديوان - مما يمكن أن نسميه بـ « شعر العقيدة » ، وهما مما قاله - على ما رجح محقق شعره وتشهد له القرائن به - فى صدر الإسلام ، عدا ما تناثر فى ثنايا القصائد الأخرى والقطع والمقطوعات .

أما القصيدة الأولى فدالية ، يستغرق الجزء الأول (وهو يشمل الأبيات من ١ : ٨) ذكر الله عز وجل ، على نحو يظهر لنا فيه - وقد شُغِلَ عن التقديم بالوقوف على الأطلال أو النسيب أو غيرها من المقدمات التى كانوا يضعونها فى مفتتح قصائدهم - عقيدته ، وعقيدة أهل الإسلام ، فى الله تبارك وتعالى ؛ فهو الذى لا يبيد ، وكل ما عداه يبيد ، له الخلود - خلوداً دائماً أبداً - لا يعتريه الموت كما يعترى غيره من المخلوقات ، وكيف يعتريه الموت وهو « المليك » ؟ تنزه سبحانه عن كل نقص ، واستحق الحمد ؛ فهو « المحمود » من قبل ومن بعد :

كلُّ شيءٍ سِوَى المَليكِ يَبِيدُ ... لا يَبِيدُ المُسَبَّحُ المَحْمُودُ.(١)

وهو يفيد فى هذا المطلع من قول سلفه لبيد :

ألا كلُّ شيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ ... وكلُّ نَعِيمٍ لا مَحالَةَ زائلُ.(٢)

وكلاهما يستمد - إن كان لبيد قد قال قصيدته هذه فى الصدر على ما ذهب إليه ابن عبد البر (٣) - من قول المولى عز وجل : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٤).

---

(١) شعر النعمان بن بشير الأنصارى - ت . د . يحيى الجبورى - ط ٢ (دار القلم للنشر والتوزيع - الكويت سنة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥م) ص ٨٥ .

(٢) ديوانه ص ١٣٢ .

(٣) الإصابة جـ ٥ ص ٥٠١ .

(٤) الرحمن ٢٦ ، ٢٧ .

ثم يستمر فى عرض صفاته تعالى ،فيصفه - وله الكمال والجلال - بأنه لا يشاركه فى ملكه أحد ، وله الحكم ، يفعل - بقـدرته - ما يريد ، ناظراً إلى قوله : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥)، وقوله : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦) . وأنه « عالم الغيب والشهادة » ، وهو لفظ ما جـاء فى سورتى الحـشر والأنعـام ؛ ففى الحـشر : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٧) ، وفى الأنعام ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٨) . وإن اكتفى بالعبارة الأولـى - دونما تصرف يذكر - من الآيتين . ويضيف إلى هذا العلم الذى لا يقف - كعلم البشر - عند حدود الظاهر وإنما يمتد إلى الغيب « الفضل»، وأنه « ذو المن » وذو « الجلال » ، و« الحميد » المشتق أساساً - كالمحمود - من الحمد :

مـــالكُ المُلْكِ لا يُشـــارِكُ فـيـــه   وله الحُكْـمُ فـــاعِـــلاً مـــا يُرِيدُ

عـالِمُ الغَـيْبِ والشَّهـادَةِ والفَـضْـ   ـلِ وذُو المَنِّ والجَـلالِ الحَـمِيـدُ .

وله - من دلائل وجوده وقدرته - الدين ، يقضى ما يشـاء كما يشاء ، وهو الكبير المتعال ، يبدئ ويعيد - كما أخبر عن نفسه ، وقد استمد منه النعمان - ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (٩) . وله الخلق جميعاً ؛ شيبهم وشبـابهم والطفل الصغير ، وله السفن - يحملها الموج بقدرته - فى البحار ، جـارية - يصدر عن شقهـا للموج صوت - أو ثابتة فـوق ظهر الماء ، وله الطير فى جـو السماء ، يظن الناظر - حين يـنظر إليهن - أنهن قريب ، وهن بعـيد ، يحول بينه وبينهن الفضاء :

---

(٥) الحديد ٢ .

(٦) آل عمران ١٨٩ .

(٧) من الآية ٢٢ .

(٨) من الآية ٧٣ .

(٩) البروج ١٣ : ١٦ .

وَلَهُ الدِّينُ قاضِياً مُتَعالِ هو يُبْدِى بِعِلْمِهِ ويُعِيدُ

وَلَهُ الشَّيْبُ والشَّبابُ جَمِيعاً كُلُّهُمْ والمُرَشَّحُ المَوْلُودُ

ولهُ الجارياتُ فى لُجَجِ البَحْرِ فمنها مَواخِرٌ ورُكُودُ

ولهُ الطَّيْرُ فى السَّماءِ تَراهُنَّ قَرِيباً ودُونَهُنَّ صُعُودُ.

ويخلص من هذا كله إلى أن الله تبارك وتعالى ليس له – فى الأرض ولا فى السماء – ند أو شبيه أو مثيل :

لَيسَ للهِ ذِى المَعارِجِ فِيمَنْ تَحْمِلُ الأَرْضُ والسَّماءُ نَدِيدُ.

ثم ينتقل – دون أن تفقد الأبيات خيط ترابطها – إلى الأمم السابقة ؛ كقوم تبع وثمود ، وكيف – وقد رأينا مساكنهم خاوية من بعدهم – قد أبادهم الله ؛ بكفرهم ومعصيتهم ، وتكذيبهم الرسل ؛ كشعيب وهود ، ويونس الذى ذهب مغاضباً فالتقمه الحوت فدعا فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين :

قد رَأَيْتُم مَساكِناً كانَ فيها قَبْلَكم قَوْمُ تُبَّعٍ وثَمُودُ

وقُرُونٌ لَقَتْهُمُ رُسُلُ اللهِ شُعَيْبٌ فكَذَّبُوهُ وهُودُ

وابنُ مَتَّى الذى تَدارَكَهُ اللهُ (م) من الغَمِّ وهو فيه عَمِيدُ

فدعا دَعْوةً وقد غَيَّبَتْهُ ظُلَمٌ دونَها حَنادِسُ سُودُ.

وهو فى هذا كله ينظر إلى آيات كثيرة من القرآن ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (١٠) ، وقوله : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (١١)، وقوله : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ

(١٠) الدخان ٣٧ .

(١١) الأعراف ٧٣ : ٧٨ .

ثَمُودُ ﴾ (١٢)، وقوله : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ (١٣) ، وقوله : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٤) ، وقوله : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٥) .

وينتقل – وقد ذكّرنا بهؤلاء الأنبياء ومواقف أممهم منهم وما صنع الله بهم – إلى النبى ، وما جاء به من الكتاب ، وما يحوى هذا الكتاب بين دفتيه من الآيات التى تقشعر منها الجلود ، فليتقوا الله ، وليحذروا يوماً عبوساً قمطريراً ؛ يوم الهول العظيم، ويكتفى من هذا اليوم – والموقف موقف ترهيب – بما فيه من العذاب الشديد ، ويستعرض جانباً من جهنم ؛ حيث نرى الغواة ؛ طعامهم من ضريع ، وشرابهم من حميم ، كلما حاولوا الخروج منها أعيدوا إليها ، لا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا هم منها يخرجون ، وإذا قيل للنار هل اكتفيت قالت هل من مزيد :

قَدْ أَتَاكُمْ مَعَ النَّبِيِّ كِتَابٌ ... صَادِقٌ تَقْشَعِرُّ منه الجُلُودُ
فَاتَّقُوا اللهَ واحْذَرُوا شَرَّ يومٍ ... قَمْطَرِيرٍ عَذابُهُ مَشْهُودُ
فطعامُ الغُواةِ فيها ضَرِيعٌ ... وشرابٌ من الحَمِيمِ صَدِيدُ
كُلَّما أُخْرِجَ اللعِينُونَ منها ... ساعةً من عَذابِ غَمٍّ أُعِيدُوا
وإذا قِيلَ هل تَقارَبَ منها ... قالتِ النَّارُ هل لَدَيْكُمْ مَزِيدُ؟

---

(١٢) هود ٨٤ : ٩٥ .
(١٣) هود ٥٠ : ٦٠ .
(١٤) القلم ٤٨ : ٥٠ .
(١٥) الصافات ١٣٩ : ١٤٤ .

وواضح أنه يعمد - في إخباره عن هذه الغيبيات - إلى آيات من القرآن الكريم ، ينظم معانيها نظماً ، أقربها : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[١٦]، و ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [١٧] ، و ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾[١٨] ، و ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [١٩] ، و ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [٢٠] ، و ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [٢١].

ويستهويه يوم القيامة - وقد ملك عليه وجدانه - فيستعرض مشاهد منه للتذكير والترقيق ؛ الناس - من شدة الهول - كأنهم سكارى ، وما هم بسكارى ولكنه العذاب الأليم :

وترى النَّاسَ يُحْسَبُونَ من الكَرْ ... بِ سُكارَى بل العَذَابُ شَدِيدُ.

كما قال الله عز وجل في سورة الحج : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [٢٢]. يكاد المعنى يتكرر في بيت النعمان بلفظه - إلا مع اختلافات طفيفة - وبإيحاءاته .

واجتماع الناس للحساب في موقف واحد ، فمنهم شقي واقع في العذاب ، وسعيد مزحزح عنه برحمة الله وفضله ، لا بالأعمال كما أخبر رسول الله ، وإنما تكون

(١٦) ق ٣٠ .
(١٧) الزمر ٢٣ .
(١٨) الإنسان ١٠ .
(١٩) الغاشية ٦ .
(٢٠) يونس - من الآية ٤ .
(٢١) الحج ٢٢ .
(٢٢) من الآية ٢ .

الأعمـال سبباً فى نيل تلك الرحـمة وذلك الفضل من الله ، فـرحمته تنجى يومـئذ من عذابه ، وبهـا تكون النجاة ، والنبـيون بين يديه فى مكان عال - إشـارة إلى تكريم الله لهم - يشفع منهم - كمـحمد ﷺ - من يشفع ، والصالحون جـالسون ، لا يجدون ما يجده غيرهم من المشقة والرهق :

وَقَفَ النَّاسُ للحِسـابِ جَمِيعاً ... فـشَـقِىٌّ مُـعَـذَّبٌ وسَعِـيـدُ
والنَّبِيُّـونَ عـندَه بمَـكانٍ ... فى عَـلاءِ والصَّالِحُونَ قُـعُـودُ
رَحْـمَـةُ الـلهِ يومَ ذاكَ تُنَجِّى ... مَنْ نَجا مـن عَـذابِهِ والجُـدُودُ.

وقوله « فشقى معذب وسعيد » مستمد من قول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بِإذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (٢٣) . ولا أدرى ما قيمـة « الجد » فى هذا السياق ، إلا أن يكون قد عنى به - وأظنه يعنى ذلك بالفعل - ما كتب على الإنسان - قبل مولده - من السعادة أو الشقاء ، وهو جزء من القضاء والقدر المستمد - كما بينت- من عقيدة الإسلام ، أو تكون الكلمة محرفة عن كلمـة أخرى ، وهو احتمال ضعيف ،لايقل عنه ضعفاً أن تكون الكلمة صحيـحة وقد عنى بها « الحظ » على طريقة الجاهليين، وهو من هو فى الإسلام .

وفيما يشبـه التأمل - والنظر العميق فى الحياة وما بعدها - يقـرر النعمان أن الحياة الدنيا ما هى إلا ظل زائل ، أو - كمـا قرر القرآن الكريم - غرور ﴿ . . . وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٢٤) . وسوف يعقبها - خلافاً لما كـان يعتقده الجاهليون - حياة أخرى خالدة ، تبدأ أول مـا تبدأ بالفصل ، فتوفى كل نفس أجـرها ، ويجازى كل عبد عما قدم من قبل :

إنَّمـــا هذه الحـيـــاةُ غُـــرُورٌ ... بَعْـدَها الفَـصْلُ بيـنكم والخُلودُ.

وما دام الأمـر كذلك ، فلا أقـل من أن يتوجه إلى الله بالـدعاء ، أن ينال - وهو

---

(٢٣) هود ١٠٥ .

(٢٤) آل عمران - من الآية ١٨٥ .

الذى قد ظلم نفسه ظلماً كثيراً – العفو عنه ؛ بمغفرته ورحمته ، فهو « الغفور الودود »، وأن يقيه شر ما يخشى ، يوم البعث ، حين يمثل بين يديه وتنشر صحيفته وفيها ما فيها من المعاصى والذنوب ، ويتملكه الخوف – كما تملكه من قبل الرجاء – وهو يتذكر تلك الذنوب ، ويقرأ ما يقرأ فى القرآن من آيات الوعيد :

رَبِّ إنِّى ظلمتُ نَفْسِى كَثيراً فاعْفُ عَنِّى أنتَ الغَفُورُ الوَدُودُ
وقِنى شَرَّ ما أخافُ فإنِّى مُشْفِقٌ خائفٌ لما تَسْتَعِيدُ
من خُطُوبٍ إذا ذَكَرْتُ ذُنُوبِى وقرأتُ القرآنَ فيه الوَعِيدُ.

يوم يدعى إلى الحساب ويساق – كما تساق الخلائق كلها – إليه سوقاً ، أو كما يقول المولى عز وجل – وقد استمد منه – ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[٢٥]:

يَوْمَ نُدْعَى إلى الحِسابِ ومَعْنا يَوْمَ نَأتِيكَ سائقٌ وشَهِيدُ.

ثم يختم – وقد خرج من الخصوص إلى العموم – بحكمة مستمدة من عقيدته التى رسخها فى نفسه دين الإسلام .

خَيْرُ ذُخْرٍ معَ اليَقِينِ لعَبْدٍ عَمَلٌ صالحٌ وقَوْلٌ سَدِيدُ.

فليس هنالك أفضل من العمل الصالح والقول السديد واليقين – جامعاً بين النية والقول والفعل ، وهى كل ما يصدر عن الإنسان – يدخره العبد – وقد اختار هذا الوصف تحديداً لما له من دلالة فى هذا السياق ، فهى تشير إلى حقيقته وهى أنه مجرد عبد وتذكر بالله فى آن – لذلك اليوم .

وفى داليته الثانية نراه يبدأ – كما بدأ القصيدة السابقة – بذكر الله :

تَبَارَكَ ذو العَرْشِ الذى هو أيَّدَا لنا الدِّينَ واختارَ النَّبِىَّ مُحَمَّدا.[٢٦]

---

(٢٥) ق ٢١ .

(٢٦) شعر النعمان بن بشير الأنصارى – ت . د . يحيى الجبورى – ص ٩٢ .

تقدس وتنزه عن كل نقص ، « ذو العرش » - كما جاء فى سورة البروج [٢٧] - الذى اختار لنا - بفضله ونعمته - الإسلام ديناً ، ومحمداً نبياً ورسولاً ؛ يتلو علينا القرآن ، وينذر - عن طريق الوحى - من النار وهول الجحيم :

رسولاً لنا يَتْلُو علينا كِتابَهُ ويُنْذِرُ بالوَحْيِ السَّعِيرَ المُوَقَّدا .

وقد أفاد فى البيتين معاً من قول الله عز وجل : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾[٢٨] .

لقد بنى - وهو من آيات قدرته ونعمة من نعمه فى الوقت نفسه - سبع سموات ، بعضها فوق بعض ، وجعل الأرض مثلهن ، ومهدها وذللها بأمره ، وثبتها - أن تزول أو تتلاشى - بالجبال ، وضمن لنا فيها الأرزاق :

بَنَى فَوْقَنا سَبْعاً طِباقاً وتَحْتَها من الأرْضِ سَوَّى مِثْلَهُنَّ ومَهَّدا

وذَلَّلها حَتَّى اطْمَأَنَّتْ بأَمْرِهِ وعَمَّ علينا رِزْقَهُ ثم أَوْتَدا

عليها الجبالَ الرَّاسياتِ فشَدَّها فأَرْسَى لكم سَهْلَ المَناكِبِ مُلْبِدا .

وهو ينظر - فيما يتعلق بالسموات السبع والأرض الممهدة والجبال - إلى قوله تعالى ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا** ﴾ [٢٩] ، وقوله فى السورة نفسها : ﴿ **وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا** ﴾ [٣٠] .

ويعود بنا إلى تلك اللحظة التى أخرج فيها الله عز وجل - كما يقول المفسرون - الذريات من الظهور ، وأشهدهم على ربوبيته فشهدوا له ، حتى لا تكون لهم حجة ،

---

(٢٧) آية ١٥ .

(٢٨) آل عمران ١٦٤ .

(٢٩) النبأ ٦ ، ٧ .

(٣٠) النبأ ١٢ .

أو يستشـهدوا – إن ضلوا – بضلال من كان قبلهم من القرون ؛ نصـارى كانوا أو كانوا من اليهود :

وأخـرجَ ذُرِّيَّاتِكُمْ مـن ظُهُـورِكم ... جَميعـاً لِكَيْما تَسْتَقِيـمُوا وأشْهَدا
علـيكم ونـاداكُمْ أَلَـسْتُ بربِّـكُمْ ... فـقُلْتُمْ بَلَى عَـهْداً عَلَـيْنا مُؤَكَّـدا
لِكَيْـلا يَقُـولُوا إنَّـمـا ضَلَّ قَـبْلَنا ... القُرُونُ نَصاراهُمْ ومَنْ قد تَهَوَّدا .

وواضح أنه يعمد فى هذه الأبيات إلى قول المولى عز وجل : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ (٣١) فينظم المضمون نظماً .

وحتى لا يقولوا إننا كنا خلوفاً بعد تلك الأمم ، لا كـتاب لنا نهتدى به ولم يجعل الله لنا موعداً ، فهذا كتاب قد أنزل على محمد ، وهو كتاب صادق سوف ينتفع به من خاف الله ربه ووفق للسداد :

وكُنَّا خُلُوفـاً بَعْـدَهـم لم يكن لنا ... كِتـابٌ ولم يَجْعَلِ لنا اللهُ مَـوْعِدا
فـهـذا كِـتـابٌ صـادِقٌ يَدْرسُـونَهُ ... لِمَنْ خـافَ منكـم رَبَّهُ ثم سَـدَّدا .

لقد أرسل الله محمداً إليكم بالقول الصادق الحكيم ، فبلغكم ولم يأل جهداً – كما ينبغى على كل رسول – فى التبليغ ؛ تبليغاً عاماً سمع به القـاصى والقريب ، فلا تك معرضاً عن الهدى ، صداداً عن قصد السبيل ، أصم وأنت تدعى إلى الهدى متكبراً عن اتباع الحق شأن الكفار والمشركين :

ألم تَعْلَمُـوا أنْ قـد أتاكُمْ رَسُـولُهُ ... بقـولِ حكيـمٍ صـادِقٍ ثم وَصَّـدا
وبَلَّغَكُمْ مـا قـد أتاكم من الهُـدَى ... وعَـمَّ عـليـكـم بـالنِّداءِ ونَـدَّدا
فلا تكُ صَدَّاداً عن القَصْدِ والهُدَى ... أَصَمَّ إذا تُدْعَى إلى الحَقِّ أَصْيَدا .

---

(٣١) الأعراف ١٧٢ ، ١٧٣ .

ثم ينجرف - وقد ارتدى ثوب الوعاظ - فى سوق النصح والإرشاد ، وكأنه خطيب فوق منبر ، لا ينفك يُذَكِّرُ تارةً ، ويأمر وينهى - فى أسلوب يعتمد المباشرة - تارة أخرى ، وقد ينتقل من الخاص إلى العام ، متصيداً حكمة هنا أو مثلاً هناك ؛ فحين يأمر بالتقوى ويحض على اتباعها لا ينسى أن يذكرنا بأن المرء يسير على ما قد تعود السير عليه ، وكأن الأمور - ومنها التقوى - إنما ترسخ حتى تصبح كالعادة بالتعهد والمتابعة ، ويتساءل كيف لو أن الله لم يخلق النهار وترك الليل سرمداً إلى يوم القيامة -وهنا يحض بشكل غير مباشر على تلمس الحكمة فى مظاهر الخلق - وهل من إله غير الله يأتيكم بنهار ؟ ومن الذى يرزقكم إن أمسك الرزق عنكم ولا رازق غير الله ؟ ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ (٣٢) .

عليكم بعاداتِ التُّقَى واتِّباعِها ... وكلُّ امْرِئٍ جارٍ على ما تَعَوَّدا

فكيفَ لو انَّ الليلَ كان عليكمُ ... ظَلاماً إلى يَوْمِ القيامَةِ سَرْمَدا

مَن الخالقُ البارِى لكم كنَهارِكُمْ ... نَهاراً يُجَلِّى لَيْلَهُ المُتَغَمِّدا

ومَنْ ذا الذى إنْ أَمْسَكَ اللهُ رِزْقَهُ ... أتاكُمْ برزْقٍ مِثْلِه غَيْرِ أنْكَدا؟

ويتوجه بالخطاب - متحولاً عن جماعة المتلقين - إلى الله ، فى مناجاة هادئة ، معترفاً بما له تبارك وتعالى على الإنسان من فضل وما قد وصف به نفسه من العظمة والقدرة ؛ ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴾ (٣٣) ، فهذا ماؤه مستساغ والآخر مر لا يستساغ ؛ ﴿وهو الَّذى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ . . . ﴾ (٣٤) ، يحمل الفلك فوق أمواجه ؛ ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ ﴾(٣٥) ، وسخر الرياح ، فهى تجرى بها ، فإذا ما سكنت ركدت وظلت ثابتة

---

(٣٢) الملك ٢١ .

(٣٣) الرحمن ١٩ ، ٢٠ .

(٣٤) الفرقان ٥٣ .

(٣٥) الرحمن ٢٤ .

مكانها لا تبرح عنه :

مَـرَجْتَ لنا البَحْـرَينِ بَحْراً شَـرابُهُ فُراتٌ وبَحْراً يَحْـمِلُ الفُلْكَ أَسْوَدا
أُجاجـاً إذا طابتْ له رِيحُـهُ جَرَتْ بهِ وتَـراها حِينَ تَسْـكُنُ رُكَّــــدا .

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ (٣٦) ، فلا يستطيع الإنســان حصر نعم الله عليه وإن طال به العد ، وهى نعم عامة تفيـض على جميع الخلق - مؤمنهم وكافرهم - دونما تخصيص :

سِوَى أَنَّها عَمَّتْ على الخَلْقِ كُلِّهم لأفـضلِ ذى فَـضْلٍ وأَحْـسَنهُ يَدا .

غير أن المؤمنين - وقد عاينوا نعم الله التى لا حصر لها فى الدنيا - سوف يخصهم من دون الناس بما فى الآخرة من النعيم ؛ ثواباً بما عملوا ، ونـعم أجر العاملين . وكما استهوته النار فى الـقصيدة السابقة - والموقف - كمـا أشرت - هنالك موقف ترهيب ، تستهويه الجنة ههنا والموقف موقف ترغيب ؛ فيذكر ما فيها من جواهر وحلى ؛ ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (٣٧) ، ولهم فيها ما تشتهى الأنفس ، ويلذ العين ؛ نعيماً دائماً أبداً ، لا ينتهى ولا يزول ؛ ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝٧٠ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣٨) . يقول النعمان :

سَـيَجْـعلُ جَنَّاتِ النَّعِـيم لِبـاسكُمْ إذا مـا التَقَـيْتُمْ أَيُّكُم كـانَ أَسْعَـدا
ثَواباً بما كـــانوا إلى الله قَـــدَّمُـوا يُحَلَّوْنَ فـــيـهـــا لُؤْلُؤاً وزَبَرْجَــــدا
لهم ما اشْـتَهَتْ فيهـا النُّفُوسُ ولَذَّةٌ (م) العُيُـونِ فكانتْ مُسْتَـقَراً ومَقْـعَدا .

ولا عليه وقـد بلغ تلك الرسالة أن يترك أو يهـجر - من بعد - القـريض ، سوى -وهو ما قد نعتبره نوعاً من التوظيف أو التوجيه للشعر فى ظل الدين الجديد - « مدحة

(٣٦) إبراهيم - من الآية ٣٤ .

(٣٧) فاطر ٣٣ .

(٣٨) الزخرف ٧٠ ، ٧١ .

لله » ، أو اعتراف بفضل لذوى الفضل كالآباء ؛ فلطالما تنكب به الشعر عن الحق من قبل إذ هو – كأكثر الشعراء – فى الضلال يهيم :

فهذا وإنِّى تاركُ الشِّعْرَ بَعْدَها ... لخَيْرٍ من الشِّعْرِ اتِّباعاً وأرْشَدا

وقد كنتُ فيما قد مَضَى من قَرِيضِهِ ... تَنَكَّبْتُ منه مـــا أرادَ وأفْنَدا

سِوَى مِدْحَةٍ للهِ أو ذِكْرِ والدٍ ... على والِدِ الأقْوامِ فَضْلاً وسُؤْددا

إمامِ الهُدَى للنَّاسِ بالحَقِّ لم يَزَلْ ... على ذاكَ كَهْلاً فى المَشيبِ وأمْرَدا.

وليتفرغ لما هو – فى رأيه – أجدى من الشعر ، وأكثر خيرية ، وأدنى للرشاد .

لكننا لا نعتقد – وفى ديوانه الذى بين أيدينا الدليل – أنه كف عن الشعر بعدها ؛ فقد ظل يقول الشعر – وهو رسالته – فى عهد علىٍّ ، والسنوات التى قضاها – وهى تربو على العشرين – فى عهد الأمويين . ويتناثر داخل هذا الشعر – ويعنينا منه ما قاله فى الصدر سواء قبل هذه القصيدة أو بعدها – لمحات وإشارات عقدية ، لن نطيل على أية حال فيها القول – وفيما قدمنا ما يكفى – فقومه وإن اعترف لهم – فى إطار الفخر بهم – بالنصرة والعون ، جعل تلك النصرة وذلك العون – وهما صادران عن العباد – بعد الله :

أولئكَ بَعْدَ اللهِ عَوْنِى وناصِرِى ... إذا خِفْتُ فى الأقْوامِ من رَهَقٍ كَرْبا.(٣٩)

وإن لم يُلْفَ ليلة – طوال الدهر – « عاريا متقسما » ، أو مظلوماً متهضماً ، فالفضل فيه إلى الله :

وإنِّى بحَمْدِ اللهِ لم تُمْسِ لَيْلَةٌ ... من الدَّهْرِ أُلْفَى عارياً مُتَقَسَّما.(٤٠)

وإن غررت به من كان يكن لها فى قلبه حباً ، وحاولت وده وقد نأت بودها ، وهو ظلم واضح صراح ، فقد أبى الله له أن يُظْلم أو يتهضم طوال حياته الماضية ، ولن يتغير اليوم عما بالأمس قد أباه له الله .

(٣٩) شعر النعمان بن بشير الأنصارى – ت . د . يحيى الجبورى – ص ٨٣ .
(٤٠) المصدر نفسه ص ١١٤ .

تُحـــاولُ ودِّى إذْ تَـولَّتْ بـودِّها أبَى اللهُ قَبْلَ اليومِ أنْ أتَهَضَّما. [41]

والله للظالم العادى - كما يقول فى مقطوعة أخرى - بمرصاد . [42]

***

النابغة الجعدى

وفى شعر النابغة الجعدى نجد إشارات كثيرة كتلك الإشارات ، وكان الرجل من المعمرين - عاش مائتى سنة - قضى جزءاً كبيراً منها فى العصر الجاهلى ، يذبح كما يذبحون على الأوثان ، ثم قدر الله له أن يعيش حتى جاء محمد ﷺ بدين الهدى والفرقان :

قـالتْ أُمامَـةُ كمْ عَـمِرْتَ زَمَـانَةً وذَبَحْتَ من عِـتْـرٍ على الأوْثانِ

. . . .

وعَمِرْتُ حتى جـاءَ أحمدُ بالهُدَى وقَـوارِعٍ تُتْلَى مـن الفُـرْقـانِ. [1]

وفيه إشارات ثلاث ؛ إحداها إلى النبوة ، والثانية إلى الكتاب - وما يحوى من قوارع الآيات - والثالثة إلى منسك من مناسك الجاهلية فيه ما فيه - مما كانوا عليه قبل إسلامهم - من تقديس الأوثان .

وفى وفادته - بعد أن أعلن إسلامه - على رسول الله :

أتَيْتُ رَسُـولَ اللهِ إذ جاءَ بالهُـدَى ويَتْلُو كِـتـاباً كـالمجَـرَّةِ نَيِّـرا. [2]

---

(٤١) المصدر نفسه ص ١١١ .

(٤٢) المصدر نفسه ص ١٢٨ .

(١) الإصابة جـ ٦ ص ٣٠٩ ، والمعمرون ص ٨٢ ، وأمالى المرتضى جـ ١ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، وشعر الدعوة ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) الأغانى (ط . الشعب) ص ١٦٥٣ ، والشعر والشعراء جـ١ ص ٢٨٩ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٦١٨ ، وأمالى المرتضى جـ ١ ص ٢٦٧ ، والإصابة جـ ٦ ص ٣١٢ ، والاستيعاب ص ١٥٢١ ، وأسد الغابة جـ ٤ ص ٤٩٦ ، وشعر الدعوة ص ٦٢ .

وهو مما أنشده بين يديه ﷺ ، وفيه إقرار بنبوته واعتراف بالقرآن ، وأن ما يدعو إليه من الإسلام هدى وحق . وفيها :

أُقيمُ على التَّقْـوَى وأَرْضَى بفِعْلِها وكنتُ من النَّارِ المَخُـوفَةِ أحْـذَرا.

وهو يحمل – على إيجاز عبارته – تحولاً جذرياً ، فى حياته – وحياة أمثاله من أهل ذلك العصر – حين انتقل إلى الإسلام ؛ فقد صارت التقوى – وهى قيمة إسلامية جديدة – محور تلك الحياة ، يقيم عليها ، ويرضى بها ، ويصدر عنها فى سكناته وحركاته ، لأنه يؤمن أن هناك حياة أخرى ، فيها ثواب وعقاب ، وفيها – وقد خص النار بالذكر – جزاء ، فهو يحذر ذلك اليوم ويخشى ما فيه .

والله يعلم ما يكتمون ، فلا يقف علمه تبارك وتعالى عند الظاهر فحسب ، أو -كالبشر – عند ما يعلنون :

أُكَنِّى بغَيْـرِ اسْـمِـهـا وقـد عَلِمَ (م) اللهُ خَـفِـيَّـاتِ كـلِّ مُكْتَـتَمِ.[3]

وقد تأثر فيه بالمعنى القرآنى الذى يحمله نحو قول الله عز وجل : ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [4] ، وقوله : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [5] ، وقوله : ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾[6]. وإذن فهى صفة – وإن اشتركت فى ظاهر الاسم مع ما يوصف به الخلق – تليق – كسائر صفاته – بذاته وجلاله ، وتختلف عن صفاتنا نحن البشر التى يعتريها – ولا كمال لنا – النقص والعجز .

ويشف شعر النابغة عن إيمان عميق بفكرة القضاء والقدر ، فهو إن خرج غازياً فكتاب الله – ولايملك الإنسان أن يمنع ما أراد الله أو يحول دون تنفيذ إرادته – وراء هذا

---

(٣) الأغانى (ط . الشعب) ص ١٦٧٠ ، والكامل للمبرد (ط . بيروت) جـ٢ ص ٥ .

(٤) التغابن – من الآية ٤ .

(٥) النحل ١٩ .

(٦) الممتحنة – من الآية ١ .

الخروج ، وإن رجع مرة أخرى إلى أهله - وقد لامته ابنة عمه فى هذا الخروج - فبقدر الله كذلك سوف يكون الرجوع :

باتتْ تُذَكِّرُنى باللهِ قاعِدَةً ... والدَّمْعُ يَنْهَلُّ من شَأْنَيْهِما سَبَلا

يا ابْنَةَ عَمِّى كتابُ اللهِ أَخْرَجَنِى ... كُرْهاً وهل أَمْنَعَنَّ اللهَ ما فَعَلا

فإنْ رَجَعْتُ فربُّ النَّاسِ يُرْجِعُنِى ... وإنْ لَحِقْتُ بربِّى فابْتَغِى بَدَلا.(٧)

والهداية والضلال جزء - فى عقيدته - من القضاء والقدر ؛ فالله يهدى من يشاء، ويضل من يشاء ، وليس لمن أضله الله - أو قَدَّرَ له الضلال - من هاد :

أَضَلَّ اللهُ سَعْىَ بَنِى قُرَيعٍ ... وليسَ لما أَضَلَّ اللهُ هادِ.(٨)

بل إن الأمور كلها إنما تجرى بقضاء الله وقدره ، فلم الجزع مما قضى الله ؟ أحرى بنا - والأمر كذلك - أن نستقبل هذا القضاء - خاصة حين يتعلق الأمر بالمحن والمصاب- بالرضا والصبر ؛ فإن الجزع لايرد ما فات ، ولا يجدى البكاء ولا الحزن :

وإنْ جاءَ أَمْرٌ لا تُطِيقانِ دَفْعَهُ ... فلا تَجْزَعا مما قَضَى اللهُ واصْبِرا

ألم تَرَيا أنَّ المَلامَةَ نَفْعُها ... قَليلٌ إذا ما الشىءُ وَلَّى وأَدْبَرا

تُهِيجُ البُكاءَ والنَّدامَةَ ثم لا ... تُغَيِّرُ شَيْئاً غَيْرَ ما كانَ قَدَّرا.(٩)

ولاندرى هل دفعه هذا الإيمان - القائم أساساً على التسليم - إلى اليأس فرأى الحياة قائمة على الخير والشر ثم غلب كفة الشر ، أم هو مجرد التحذير - دون أن يكون لذلك علاقة بيأس ونحوه - مما فى الحياة من الشرور هى التى دفعته إلى أن يقول :

كذاكَ لَعَمْرِى الدَّهْرُ يَوْماً فاعْرِفُوا ... شُرُورٌ وخَيْرٌ ، لا ، بل الشَّرُّ أَكْثَرا.

---

(٧) الشعر والشعراء جـ١ ص ٢٩٣ ، وشعر الدعوة ص ٢١٦ .

(٨) الحماسة البصرية جـ ٢ ص ٢٦٣ ، والوحشيات ص ٢٢٧ .

(٩) جمهرة أشعار العرب ص ٦١٨ ، ٦١٩ ، والحماسة البصرية جـ١ ص ٧ .

وواضح أن الاحتمال الثانى هو الأرجح ، خاصة أن هذه النغمة لم تتردد - شأن اليائسين من الشعراء - فى سائر شعره ، كما أن كلمة « فاعرفوا » وقد اعترضت بين المبتدأ والخبر مما قد يؤكد - فى ظنى - رجحان هذا الاحتمال .

وإذا انتقلنا من الإشارات المبثوثة فى ثنايا الأبيات إلى القصائد الكاملة فسوف تلقانا الميمية ذات المطلع الشهير :

الحَمْدُ للهِ لا شَرِيكَ لَهُ   مَنْ لم يَقُلْها فنَفْسَهُ ظَلَما .(١٠)

وهى أروع قصائده - فى هذا المجال - على الإطلاق ، غير أنها - وقبل أن نخوض فى تحليلها - تثير مشكلتين رئيستين ؛ الأولى أن من المصادر - كمروج الذهب(١١) - والرواة - كأبى عبيدة (١٢) - من ينسبها لأمية بن أبى الصلت ، والثانية أن بعض من ينسبها للنابغة - كابن عبد البر (١٣) - يذكر أنه قالها فى الجاهلية ، وهما مرتبطتان على نحوٍ ما ؛ فكلاهما يخرج بها - فيما يعنينا - عن حدود الصدر .

أما المشكلة الأولى فقديمة ، قدم الشاعر نفسه ؛ ففى طبقات فحول الشعراء أنه استأذن عثمان بن عفان - أثناء خلافته - فى الخروج إلى البادية ، فأذن له بعد أن ضرب له أجلاً ، « فدخل على الحسن بن علىّ فودعه ، فقال له الحسن : أنشدنا من بعض شعرك . فأنشده :

الحَمْدُ للهِ لا شَرِيكَ لَهُ   مَنْ لم يَقُلْها فنَفْسَهُ ظَلَما

فقال له : يا أبا ليلى ! ما كنا نروى هذه الأبيات إلا لأمية بن أبى الصلت ؟ قال: يا

---

(١٠) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٢٩٤ ، وشعر الدعوة ص ١٣٨ . وقد جاء البيت الأول فى مصادر متعددة ؛ منها :الأغانى (ط . الشعب) ص ١٦٥٣ ، وطبقات فحول الشعراء م ١ ص ١٢٧ ، ومروج الذهب جـ١ ص ٧١ ، والإصابة جـ ٦ ص ٣١٠ ، والاستيعاب ص ١٥١٥ .

(١١) جـ ١ ص ٧١ .

(١٢) طبقات فحول الشعراء م ١ ص ١٢٨ .

(١٣) الاستيعاب ص ١٥١٥ .

ابن رسول الله ، والله إنى لأولُ الناس قالها ، وإن السَّرُوقَ من سَرَقَ أُمَيَّةَ شعْرَهُ»(١٤) .
فإن كان من الناس من يرويها لأمية فى ذلك الوقت البعيد - وهم قريبو عهد بالشاعرين - فتلك عادة الناس فى كل العصور ؛ أن تنسب الشعر الطريف النادر الذى يسير فى اتجاه ما - أى اتجاه - إلى شاعر كبير معروف به أكثر من غيره من الشعراء؛ فإن كانت فى الزهد فهى لأبى العتاهية ، وإن كانت فى الخمر فهى لأبى نواس، وإن كانت فى مدح النبى ونصرة الدين فهى لحسان ، وهكذا ، ولا عليهم أن يتثبتوا - وهم أناس عاديون - من صحة النسبة ؛ فالنسبة فى حد ذاتها قد لاتعنيهم فى شىء ، ثم ينقل عنهم الرواة ذلك ويشيع من بعد ، وكم من الشعر الذى نسب لأبى العتاهية أو أبى نواس أو حتى حسان - وهم مجرد أمثلة - مما قد صح نسبته لشعراء آخرين أقل شهرة - فى تلك الاتجاهات - من هؤلاء .

وقد جزم النابغة أنها من شعره ؛ فهو - على حد قوله - أول من قالها ، وما كان ليسرق شعر أمية أو غيره وهو فى غنى عن مثل تلك السرقات .

ثم إن المصادر التى تنسبها لأمية كانت تكتفى عادة بالبيت الأول منها ، بينما تُرْوَى كاملةً للنابغة فى المصادر الأخرى التى تصحح نسبتها إليه ، وهو ما يعطى احتمالاً -لايسعنا رفضه،ولا يسعنا فى الوقت نفسه الجزم به- أن يكون النابغة قد صاغ القصيدة-وهى له على هذا الأساس- على منوال بيت أو أبيات لأمية ، وأن يكون هذا البيت أو تلك الأبيات قد تداخل- على نحو ما - فى شعره أثناء تنقله على ألسنة الرواة.

وثالثاً - وهو الأهم - أن من الثقات من صحح نسبتها للنابغة دون أمية ، وهم - كما صرح ابن عبد البر - يونس بن حبيب وحماد الراوية وابن سلام الجمحى والأخفش، ونص عبارته : « . . . وقد قيل إن هذا الشعر لأمية ، ولكنه قد صححه يونس بن حبيب وحماد الراوية ومحمد بن سلام وعلى بن سليمان الأخفش للنابغة الجعدى »(١٥).

(١٤) طبقات فحول الشعراء م ١ ص ١٢٧ ، ١٢٨ .
(١٥) الاستيعاب ص ١٥١٥ .

وفى قوله : « . . . قيل » ما يوحى بضعف نسبته إلى أمية ، فهى ليست من العبارات الجازمة ، كقوله بعدها فيما يتعلق بالنابغة « ولكنه قد صححه . . . » . مع ما فيه من الاستدراك على ما سبق (١٦) .

وأما نسبتها إلى العصر الجاهلى ففى القصيدة نفسها – وقد سكت ابن قتيبة عن تحديد زمنها – ما يكفى للرد ؛ فالشاعر يقتبس اقتباساً واضحاً – على نحو ما سوف يتبين لنا عند التحليل – من القرآن الكريم ، وينقل أحياناً بالنص ، وفى آخرها – كما جاءت فى الشعر والشعراء وسوف نعتمد روايته – ذكر لزوال دولة الفرس وامتلاك بلادهم ، وهذا كله مما لم يك إلا بعد الفتح (١٧) .

الحمد لله المستحق للحمد ، المتفرد بالوحدانية لاشريك له ، من لم يقلها – الشهادة ممتزجة بالحمد – مؤمناً بها ، متيقناً حق اليقين ، فقد ظلم نفسه ، وما أشد ظلم النفس:

الحَمْدُ للهِ لا شَرِيكَ لَهُ   مَنْ لم يَقُلْها فنَفْسَهُ ظَلَما .

المولج الليل فى النهار فهو يخلفه ويعقبه ، والنهار فى الليل حتى تنفرج الظلمة ويغشى البياض السواد :

المُولِجِ اللَّيْلَ فى النَّهارِ وفى اللَّيْلِ نَهاراً يُفَرِّجُ الظُّلَما .

فلم يجعل الزمان نهاراً سرمداً ولا ليلاً أبداً ، وفى تعاقبهما فضل ورحمة يدركهما ذوو العقول والألباب . وقد تأثر فيه – مستمداً مع المعنى بعض الألفاظ – بقوله تعالى فى سورة فاطر – من الآية الثالثة عشرة– ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ .
وهو سبحانه وتعالى – المستحق كما ذكر بدايةً للحمد – « الخافض الرافع » ؛ رفع السماء ولم يجعل لها دعماً ترتكز فوقها على الأرض ، وفى القرآن : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ**

(١٦) وفى طبقات فحول الشعراء (م١ ص ١٢٦ ، ١٢٧) : « . . . قلت ليونس : كيف تقرأ (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) ؟ فقال : قال الجعدى ، وهو من أفصح العرب : . . . فجعل يونس القصيدة للجعدى . وسمعت أبا الورد الكلابى سأل عنها أبا عبيدة فقال لأمية ، ثم أتينا خلفاً الأحمر فسألناه ، فقال : للنابغة، وقد يقال لأمية » .

(١٧) شعر الدعوة ص ١٣٩ .

السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [١٨] . « الخالق البارئ المصور » - هكذا ، وكذلك جاءت بلفظها وترتيب كلماتها فى القرآن [١٩] - ثم يذكر مراحل تخلق الجنين - وهى المراحل نفسها المشار إليها فى القرآن - منذ أن يكون نطفة ، ثم تصير دماً ، ثم عظاماً ، ثم يكسى العظام لحماً ، ثم يغطى اللحم بالجلد والأبشار ، حتى يكتمل الخلق وتصير للمخلوق ملامح واضحة من الصوت واللون . ويشير إلى الحياة إشارة عجلى ؛ المعايش، والأخلاق المختلفة ، واللغات المتباينة واللهجات ؛ ليختصر - باختصار الإشارة - مرحلة طويلة من مراحل الإنسان ، فإذا به وجهاً لوجه مع ما هو أهم ؛ الاجتماع لدى الخالق يوم القيامة ، ليبدأ منذ تلك اللحظة - وقد أقسم متيقناً بوجود هذا اليوم - حياته الأخرى :

الخافِضِ الرَّافِعِ السَّماءَ على الْـ	أَرْضِ ولم يَبْنِ تَحْتَها دِعَما
الخالِقِ البارئِ المُصَوِّرِ فى الْـ	أَرْحامِ ماءً حَتَّى يَصِيرَ دَما
من نُطْفَةٍ قَدَّها مُقَدِّرُها	يَخْلُقُ منها الأَبْشارَ والنَّسَما
ثُمَّ عِظاماً أَقامَها عَصَبٌ	ثُمَّتَ لَحْماً كَساهُ فالْتَأَما
ثم كَسا الرِّيشَ والعَقائِقَ أَبْـ	ـشاراً وجِلْداً تَخالُهُ أَدَما
والصَّوْتَ واللَّوْنَ والمَعايِشَ والْـ	أَخْلاقَ شَتَّى وفَرَّقَ الكَلِما
ثُمَّتَ لابُدَّ أنْ سَيَجْمَعُكُمْ	واللّٰهِ جَهْراً شَهادَةً قَسَما .

فلنأتمر ما بدا لنا الآن ، ولنعتصم إن كان ثمت معتصم ، ولاعصمة - فى الأرض ولا فى السماء - إلا لمن رحم :

فائْتَمِرُوا الآنَ ما بَدا لَكُمُ	واعْتَصِمُوا إنْ وَجَدْتُمُ عِصَما
فى هذه الأَرْضِ والسَّماءِ ولا	عِصْمَةَ منه إلاَّ لِمَنْ رَحِما .

---

(١٨) الرعد - من الآية ٢ .

(١٩) الحشر - من الآية ٢٤ .

وفى القرآن على لسـان نوح عليه السلام : ﴿قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾ [٢٠] . ويضرب لنا مثـلاً - للعظة والاعتبار - على أن الحيـاة الدنيا ليست بدار قرار ، وأننا راحلون عنها - طالت أو قصرت الأعمـار - اليوم أو غداً أو بعد غد ؛ فلا بقاء على وجهها ولا خلود لأحد فيهـا ، بفارس - وهم بهم قريبو عهد - وكيف دالت دولتهم ، وصـاروا - بعد أن كـانوا سادة وملوكـاً - موالى بينهم وعـبيـداً يرعون الإبل والشاء ، وكـان ملكهم لم يدم إلا ريثـما يستـيقظ النائم من المنام ، وكـأنه لم يكن إلا حلماً من الأحلام :

يا أيُّـهــا النَّاسُ هل تَـرَوْنَ إلى ... فـارِسَ بـاتتْ وخَـدُّها رَغَــمـا
أَمْـسَوْا عَـبِـيداً يَـرْعَوْنَ شـاءَكُمُ ... كـأنَّمـا كـانَ مُلْكُهُمْ حُـلُمـا.

ويوغل فى الزمن قليـلاً ليلتقط لنا مـثلاً آخـر من سبأ ذات الحـضارة والعـمران ، وسدها العظيم « مأرب » الذى كان يحول بينهم وبين تدفق الماء ، حتى أصابه ما أصابه ، وأرسل الله عليهم - بإعراضـهم - « سيل العرم » ، فتمزقـوا فى البلاد ، وذاقوا الذل والهوان ، وبدلوا بطيب العيش الشقاء ، ولم يعد لهم من بعد قائمة تذكر :

أو سَبَـأَ الحـاضِـرِينَ مَـأْرِبَ إذْ ... يَبْنُونَ مـن دُونِ سَـيْلِـهِ العَـرِمـا
فـمُزِّقُـوا فى البِلادِ واعْـتَرَفُـوا الْـ ... ـهُـونَ وذاقُـوا البَـأْساءَ والعَـدَمـا
وبُدِّلُـوا السِّـدْرَ والأَراكَ بـه الْـ ... ـخَمْطَ وأَضْـحَى البُنْيانُ مُنْهَـدِما.

فليأتمروا - كما ذكر بداية - أمرهم ، وليعتبروا إن كان ثمت معتبر ، ويعدوا العدة للرحيل .

---

(٢٠) هود - من الآية ٤٣ .

أبو قَيْس صِرْمَة بن أبى أنَس الأنصارى

يدل شعـر أبى قيس ، أو بالأحرى مـا وصلنا منه ، على قلته - ويـنبغى فى هذا السياق أن نفرق بينه وبين شـاعر آخر معاصر له ، يتفق مـعه فى الاتجاه ، والطائفة التى ينتميـان إليها معـاً ؛ وهى طائفة الأنصار ، وكلاهمـا قد تحنف فى الجاهلية ونبـذ عبادة الأوثان ورفض الدخول فى أىٍّ من الأديان ، ثم هما يلتقـيان معاً فى الكنية ؛ وأعنى به أبا قـيس بن الأسلـت ، وقـد اخْـتُلِفَ فى إسـلامـه ، بينمـا لم يُـخـتلف فى إسـلام شاعرنا[1]- أقول يدل شـعره - ونحن نرجح ضيـاع كثيـر منه - على طول دربة وتمكن وشدة مراس وتفـوق - كان يكفله له وصول شعـره كله - فى الاتجاه نحو ما نسـميه بـ «شعر العقيدة » ونزعم أنه كان من الاتجاهات المزدهرة - على الرغم من إغفال الدارسين له - فى الصدر .

كان أبو قيس « قد ترهب فى الجاهلية ، ولبس المسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة ، وهم بالنصرانية ، ثم أمسك عنها ، ودخل بيتاً له فاتخذه مسجداً لا يدخل عليه فيه طامث ولا جنب ، وقال : أعبد رب إبراهيم . فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلم فحسن إسلامه ، وهو شيخ كبيـر ، وكان قوالاً بالحق ، معظماً لله فى الجاهلية ، ثم حسن إسلامه ، وكـان يقول فى الجاهلية أشعاراً حساناً يعظم الله تعـالى فيها ، وهو الذى يقول :

يقـولُ أبو قَـيْسٍ وأَصْبَحَ نـاصِحـاً	ألا ما اسْتَطَعْتُمْ من وَصاتِى فافْعَلُوا
أُوصِـيكُمُ باللهِ والـبِـرِّ والتُّــقَى	وأَعْراضِكم والبِـرُّ باللهِ أَوَّلُ » .[2]

---

(1) انظر فى أبى قـيس بن الأسلت : السيرة النبوية م ١ ص ٥٨ ، ٥٩ ، ١٣٣ ، ٢٨٣ ، ٤٣٧ ، ٥٥٦ ، والطبقات الكبرى م ٤ ص ٤٥٠ : ٤٥٢ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ١٨٢ : ١٨٥ ، وتاريخ الإسلام م ١ ص ٢٦٠ .

(2) الاستيعاب ص ١٧٣٥ ، ١٧٣٦ .والأبيات كـذلك فى المصدر نفسه ص ٧٣٨ ، وأنساب الأشراف جـ ١ ص ٢٦٨ .

ثم ذكر الأبيات – حتى آخرها . وهى على ما يبدو – وإن كنا لا نستطيع الجزم – مما قاله – وكان كما يدل التقديم من الحنفاء – فى الجاهلية قبل ظهور الإسلام ، فهو إذن اتجاه أصيل لم يبتدعه الإسلام لديه ابتداعاً ، وإنما وجد لديه – كما وجد لدى آخرين كالنابغة الجعدى ولبيد – استعداداً ، فأتاح له – وقد هيأ التربة الصحيحة الخصبة – النمو والازدهار .

وهذا النصح – الذى يعتمد أكثر ما يعتمد المباشرة ويتسم بالشفافية والصدق – سوف نراه فى قصيدته اللامية التى احتفظ لنا منها ابن هشام – فى السيرة [٣] – بخمسة عشر بيتاً ، وتناقلتها مصادر أخرى [٤] ، وفيها يدعو – والخطاب كما سوف يتضح مع الدخول فى قلب القصيدة لبنيه – إلى تنزيه الله وتقديسه ، وذكره طرفى النهار والليل :

سَبِّحُوا للهِ شَرْقَ كلِّ صَباحِ   طَلعتْ شَمْسُهُ وكُلَّ هِلالِ

وتسبيح الله مما حث عليه تبارك وتعالى – فلعله قد تأثر به ههنا – فى مواضع كثيرة من القرآن ، كقوله : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾ [٥] ، وقوله : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [٦] ، وقوله : ﴿ ومنْ آناءِ اللَّيْلِ فسبِّحْ وأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾ [٧] . إلى آخر ما جاء فيه من الآيات [٨] .

ويصفه تبارك وتعالى بالعلم – جامعاً ما بين الظاهر والباطن أو على حد تعبيره «السر والبيان » – وأن ما قاله ومنه فيما أتصور دعوته إلى الإسلام وذكر الغيبيات كالآخرة ونحوها – ليس بكذب أو افتراء أو حيد – جل سبحانه عن ذلك كله – عن الهدى والحق :

---

(٣) م ١ ص ٥١١ ، ٥١٢ .

(٤) كالبداية والنهاية م ٢ ص ١٨٦ ، والاستيعاب ص ١٧٣٦ ، ١٧٣٧ ، والمعارف لابن قتيبة (ط . الصادى) ص ٢٨ ، ٢٩ ، وشعر الدعوة ص ١٣٤ : ١٣٦ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ .

(٥) آل عمران – من الآية ٤١ .

(٦) مريم – من الآية ١١ .

(٧) طه – من الآية ١٣٠ .

(٨) فصلت ٣٨ ، الفتح ٩ ، النور ٣٦ ، الأنبياء ٢٠ ، غافر ٥٥ ، ق ٣٩ .

عــالِمِ السِّــرِّ والبــيَـانِ لَـدَيْنا ... ليسَ مــا قــالَ ربُّنا بضَــلالِ.

وله – ويأخذ منذ تلك اللحظة فى رصد بعض آيات الله ودلائل قدرته – الطير فى جو السماء ، تذهب فى طلب رزقها ثم تعود إلى وكورها آمنة – وقد رزقها الله – بالجبال ، والوحش بالفلاة فيما تكدس واستدار من الرمال ، وقد جعل لها مأوى وظلاً:

ولهُ الطَّـيْـرُ تَسْـتَـرِيدُ وتَأوِى ... فى وُكُــورٍ من آمِنات الجِــبــالِ

ولهُ الـوَحْشُ فى الفَــلاةِ تَـراها ... فى حِـقـافٍ وفى ظِلالِ الرِّمـالِ.

وله – تبارك وتعالى – دانت يهود ، وعبدت – مُبالغَةً فى عبادتها – النصارى ، فحبسوا من حبسوا أنفسهم له من الرهبان ، وانقطعوا عن الدنيا ، وتركوا خلف ظهورهم كل ما فيها من الترف والنعيم :

ولـهُ هَوَّدَتْ يَـهُــودُ ودانَـتْ ... كلَّ دينٍ إذا ذَكَــرْتَ عُــضــالِ

ولهُ شَـمَّسَ النَّـصارَى وقـامُـوا ... كلَّ عِــيـدٍ لربِّهـم واحـتِـفـالِ

ولهُ الـرَّاهِبُ الحَـبِـيـسُ تَراهُ ... رَهْنَ بُـؤْسٍ وكــانَ ناعِـمَ بالِ.

ثم يوصى – مخاطباً بنيه – بصلة الأرحام ، وتقوى الله فى اليتامى ، وألا يدفع ضعف هؤلاء اليتامى – وهو ما قد يبدو فى الظاهر – إلى ظلمهم ؛ فإن لهم ولياً يعلم كل شىء ويهتدى دونما سؤال ،ويؤكد خاصة على ما قد يكون لهم من الأموال ، فلا يقربوها ، وكأنه ينظر إلى قول المولى عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٩) . يقول أبو قيس :

يا بَنِيَّ الأرْحــامَ لا تَقْطَعُــوها ... وصِلُوها قَــصِــيــرةً من طِوَالِ

واتَّقُوا اللهَ فى ضِـعافِ اليَـتامَى ... رُبَّمـا يُسْتَـحَلُّ غَـيْـرُ الحَـلالِ

واعْلَمُــوا أنَّ للِيَـتِــيمِ وَلِيّـاً ... عـالِمـاً يَهْـتَدِى بغَـيْـرِ السُّؤالِ

ثُمَّ مــالَ اليَــتِــيمِ لا تَـأْكُلُوهُ ... إنَّ مــالَ اليَتِــيمِ يَرْعـاهُ والِى.

(٩) النساء ١٠ .

ويوصى بالتخوم ألا تخذل - على رواية ؛ وفيها معنى التعهد بالحفظ والرعاية والصيانة ، خاصة من قِبَلِ جنود الفتح والقائمين على أمر تلك الحدود - أو تخزل - على رواية أخرى ؛ وفيها تحذير من قطعها أو اجتيازها ، وهى أقرب للسياق - فإن خزلها مما تمنعه خشيته على هؤلاء الأبناء ، أو تأباه - على الخذلان - المروءة والأخلاق. ويحذر من الأيام ومكرها ، والليالى وكرها ، فإنما الخلق - وهو ما يتحقق بمر الزمان - للنفاد ، ما كان جديداً منه أو قديماً بالياً ، وليجمعوا أمرهم بعد على البر والتقوى واجتناب الذل - وطرقه الحرام شرعاً - وأخذ ما قد أبيح لهم من الحلال :

يا بَنِيَّ التُّخُومَ لا تَخْزِلُوها ... إنَّ خَزْلَ التُّخُومِ ذو عُقَّالِ

يا بَنِيَّ الأيَّامَ لا تَأْمَنُوها ... واحْذَرُوا مَكْرَها ومَرَّ اللَّيالِي

واعْلَمُوا أنَّ مَرَّها لِنَفادِ الخَلْقِ ما كانَ من جَدِيدٍ وبالِي

واجْمَعُوا أمْرَكُمْ على البِرِّ والتَّقْوَى وتَرْكِ الخَنا وأخْذِ الحَلالِ.

والقصيدة - على هذا النحو - تضع بذوراً للشعر التعليمى ، الذى سوف ينمو ويزدهر فى القرن الثانى الهجرى ، مع الاتصال بالثقافات الأجنبية - كالهندية واليونانية- وإتساع أنواع المعارف والعلوم .

ومثل هذه البذور نجدها كذلك فى قصيدة له أخرى يؤرخ فيها - وقد تناقلتها من ثم كتب السير والتاريخ [(١٠)] - لبعثة النبى ﷺ ، ويحدد - بشكل يجعل الطبرى يعول عليه فى الترجيح بين الأقوال [(١١)] - المدة التى قضاها ﷺ فى مكة ، يدعو إلى الله ، ويعرض - وقد عز الصديق وقل المولى والنصير - فى أهل المواسم دعوته ، حتى أعزه الله بالأنصار وأظهر دينه ، ووجد فى طيبة ما جعله يصبح مسروراً راضياً ؛ الصديق أو النصير ، والأمان أو الاستقرار ، أو فى كلمة واحدة « التوفيق » :

---

(١٠) السيرة النبوية م ١ ص ٥١٢ ، والبداية والنهاية م ٢ ص ٢٣٨ ، وتاريخ الطبرى جـ ٢ ص ٣٨٥ ، ومروج الذهب جـ ٢ ص ٢٨٧ ، والاستيعاب ص ٧٣٨ .

(١١) تاريخ الطبرى جـ ٢ ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

ثَوَى فى قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صَدِيقاً مُواتيا

ويَعْرِضُ فى أهْلِ المَواسِمِ نَفْسَهُ ... فلم يَرَ من يُؤْوِى ولم يَرَ داعِيا

فلَمَّا أتانا أظْهَرَ اللهُ دِينَهُ ... فأصبحَ مَسْرُوراً بطِيبَةَ راضِيا

وألْفَى صَدِيقاً واطْمَأنَّتْ به النَّوَى ... وكانَ له عَوْناً من اللهِ بادِيا.

ويذكر كيف كان ﷺ يقص عليهم - عن طريق الوحى - طرفاً من أخبار الرسل السابقين مع أقوامهم ، كموسى ونوح عليهما السلام :

يَقُصُّ لنا ما قالَ نُوحٌ لقَوْمِهِ ... وما قال مُوسَى إذ أجابَ المُنادِيا.

وكيف أصبح فى المدينة لا يخشى - وقد وجد النصرة - أحداً من الناس ؛ قريباً كان - ككفار قريش - أو غير قريب - كسائر الكفار ؛ فقد بذلوا له الأموال ، والأنفس- فى الحروب - والأرواح :

فأصبحَ لا يَخْشَى من النَّاسِ واحداً ... قَرِيباً ولا يَخْشَى من النَّاسِ نائيا

بَذَلْنا لـه الأمْوالَ من جُلِّ مالِنا ... وأنْفُسَنا عندَ الوَغَى والتَّآسِيا.

ويقرر بعد - وهو معلوم لديهم - أن الله حق ، وأن ما يعبد من دونه ضلال ، فلاشىء - على الحقيقة - غيره ، ولا معبود بحق سواه ، وأنه - تبارك وتعالى - أفضل هاد ؛ فلا غرابة إن عادوا فيه كل من عاداه ، وإن كانوا الأهل أو الصحب أو - على حد تعبيره - الأحباب :

ونَعْلَمُ أنَّ اللهَ لا شىءَ غَيْرُهُ ... ونَعْلَمُ أنَّ اللهَ أفْضَلُ هادِيا

نُعادِى الذى عادَى من النَّاسِ كُلِّهم ... جَمِيعاً وإنْ كانَ الحَبِيبَ المُصافِيا.

ثم يتجه - مع تحول الضمير - إلى مناجاة الله :

أقُولُ إذا أدْعُوكَ فى كلِّ بَيْعَةٍ ... تَبارَكْتَ قد أكْثَرْتُ لاسْمِكَ داعِيا

أقولُ إذا جاوَزْتُ أرْضاً مَخُوفَةً ... حَنانَيْكَ لا تُظْهِرْ علىَّ الأعادِيا.

وفيها يتبدى - وقد اقتربت لغته من لغة الوجد الصوفى - ممن قد هام فى الله

تقديساً وحباً ، وهو يختار الكلمات التى توحى بهذا التقديس وذلك الحب ؛ كالـ «بيعة»- ولها فى « اللاوعى الجمعى » حضور خاص ، بارتباطها تاريخاً ومجتمعاً بالقديسين والرهبان - و« تباركت» و « حنانيك » ونحوها .

ثم يجىء بعدها فى السيرة ثلاثة أبيات ، الأول والثانى منها لأفنون التغلبى - كما يقول ابن هشام - والثالث يرتبط - على نحو ما - فى المعنى بهما ، أكثر من ارتباطه بسائر الأبيات .

وحسب القصيدة - في الختام - أنَّ ابن عباس - كما جاء فى الخبر [(١٢)] - كان يختلف إلى صاحبها يتعلم منه بعضها ، وحسب صاحبها أن يكون - بها وبغيرها مما أوردت له من شعر ، وما رجحت ضياعه أيضاً - أحد من أرسى - مع غيره من شعراء الصدر كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة والنعمان بن بشير والنابغة الجعدى - أصول هذا الاتجاه الذى يرتبط فيه الشعر ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة فى تاريخ الأدب العربى .

---

(١٢) وصدره : « ذكر سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد قال سمعت عجوزاً من الأنصار تقول : رأيت ابن عباس يختلف إلى صرمة بن قيس يتعلم منه هذه الأبيات : . . . . » . ثم أورد الأبيات السبعة الأولى منها . الاستيعاب ص ٧٣٨ .

خاتمة

. . . وبعد :

فلعله قد بات واضحاً أن التحول العقدى - وهو ما سعى هذا الكتاب عبر مباحثه المختلفة إلى إثباته - قد ترك آثاراً واضحة فى شعر الصدر ، وأن هذه الآثار - فيما أزعم - كانت مظهراً لا يمكن التغاضى عنه - وقد تغاضى عنه كثيرون ممن تعرضوا لدراسة تلك الحقبة - بحال ، أو التقليل من أهميته ، خاصة فيما يتعلق بالقضية الأم « الإسلام والشعر » ، وتطور الحياة الأدبية بعامة فى ظل هذا الدين .

لقد جاء الإسلام بمفاهيم جديدة ، تمثل - فيما يرى البحث - تحولاً جذرياً فى جانب العقيدة عما كان عليه العرب فى جاهليتهم ؛ منها ما يتصل بالدين نفسه - سواء فى ذلك الدين الجديد والأديان السابقة عليه ، سماوية كانت أو غير سماوية - ومنها ما يتصل بالغيبيات ؛ الله ذاتاً وصفات ، والرسل والرسالات ، والموت وما بعده ، والقضاء والقدر ، والملائكة والجان ، فكانت من ثم تلك المباحث المتعددة - التى يجمع بينها على تعددها خيط واحد - وقد عنى كل مبحث منها بموضوع من هذه الموضوعات، وما يندرج تحته - مع الحذر من الاسترسال قدر الإمكان - من التفاصيل والجزئيات .

فالإسلام فى عقيدة أصحابه - وقد تبدى صدى ذلك واضحاً فى شعرهم - هو الدين عند الله ، ويعنون بذلك أنه الحق الذى قد لا يكون هناك حق سواه ، فلا يسع أصحاب الأديان السابقة ، من اليهودية والنصرانية وغيرها - وقد انحرفوا بها فى معتقدهم عما كانت عليه - إلا اتباع شريعته والتصديق بما جاء به ، فهو ناسخ لما قبله ، وهو دين الهدى والرشاد ، هدى به الله القلوب من العمى ، واتضحت فى ضوئه معالم الطريق ، وهو دين الله ، ارتضاه لهم ، وتكفل بنصرته وإظهاره ، وأمرهم بالتمسك به والذود عنه ، فضربوا أروع الأمثلة فى التضحية والثبات ، وظهرت نماذج تحتذى ، على رأسها النبى ﷺ ، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار .

والإسلام - فيما يستشف من شعرهم - دين يتسم بالبساطة ، وعدم الغموض أو التعقيد ، فهو يقوم - أول ما يقوم - على التوحيد ، والتصديق بنبوته ﷺ - وعليهما مدار الأمر كله - والالتزام بالشريعة والمنهج ، والطاعة والاتباع . ويتردد على ألسنتهم وصفه بأنه « دين الحنيفة » ، ووصف أتباعه بالحنفاء ؛ تأكيداً لانتمائه - وانتمائهم بالتبعية - إلى ملة إبراهيم عليه السلام ، فلا يمكن أن يكون هذا الوصف - مع كثرة

تردده وتكراره - لمجرد المعنى اللغوى ، الذى يـفسر الحنف بالميل ، ويخصه فيـما يتعلق بالجاهلية بتلك الطائفة التى مالت عن عبادة الأوثان ، وبحثت عن الإله الحق ؛ كزيد بن عمـرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة الإيادى ؛ فـهؤلاء- وإن اهتدوا بعـقولهم إلى رفض الوثنية وطقوسها - لم يكونوا على شريعة يتبعونها كسائر أهل الإسلام ، فشريعة محمد ﷺ هى امتداد - كمـا يفهم من إشاراتهم ،وهى فى الحق كثيرة - لشـريعة إبراهيم عليه السلام ، أو هكذا كان يفهم هؤلاء الشعراء معنى الإسلام .

والإسلام فى عقيدتهم - كما عبر شعرهم كذلك - يحول بين صاحبه وبين الرذائل والنقائص ، وينهى عن الغى ، وهـو دين للناس كافة ، لا لأمة دون أمـة ، ولا لشعب دون شعب ، وقد اقـتضت عالميته الجهـاد فى سبيل نشره ، فكانت حركة الفـتوحات ، وقد واكب هذه الحركة شعر كثير ، فيه تصور واضح لعمومية الإسلام . ويعتبر المسلمون أنفسهم جنود الله ؛ لأنهم حملوا على عاتقهم عبء نشر دينه فى الآفاق ، وارتطموا من أجله بأهل الملـل والأهواء من سـائر الأجناس ، ويرون أنهم كـذلك خـيـر الناس ، لا لعصبية جـنسية ، ولا لأنهم - كما زعم اليهود فى أنفســهم - شعب الله المختار ، وإنما لاتباعـهم لهذا الدين الذى هو خاتم الأديان ، والمهـيمن - فى عقـيدتهم على ما سبـقه منها، والذى هو - فى معتقدهم أيضاً - أعظمها على الإطلاق .

وللمـسـلم على المسلم حقـوق يوجبـها الإسـلام ؛ منها المـودة والإخاء ، وحـرمة العرض ، وعصمة المال والدماء ، ويفسد الدين - فيـما يفسده - الغدر ، كما يفسده - ومن دلائله حب أعـدائه وموالاتهم - النفاق ، فـتراهم يفيضـون فى ذكر هذه الحـقوق وتلك المفسدات فى إطار ماكانوا يعتقدونه فيه .

أما غـير المسلمين - وقـد تعرض شـعرهم خـاصة ما تعلـق منه بالجانب العـقدى للضياع، وامتدت إليه مع الزمان يد البلى والفقد - فقد نظروا إلى الإسلام - فيما وصلنا منه ، وهو قليل بالقياس إلى شعر المسلمين - على أنه دين لا حـقيقة له ، وأن أصحابه مجرد غـواة خاطئين ، ويرمونهم - فى كثيـر منه - بأنهم « صابئة » خالفـوا ما وجدوا عليه آباءهم ومـا كان عليه الأجداد ، ويعجـبون من لوم شعراء المسلمين لـهم ووصفهم بالشرك والكفـر والضلال ، ويسخـرون - الوثنيون على وجه الخـصوص - بالمعتـقدات الإسلامية ، ومنهـا عقيدة « البعث » ، وبالشريعة ومـا تتضمنه من الأوامر والنواهى أو «الحلال والحرام » .

وفى شعر المسلمين ما يجسم كذلك عقيدة هؤلاء الخصوم فى دينهم ، ويبرز رأيهم فيهم ؛ فهم يقولون عن رسول الله ﷺ إنه « ساحر » ، ولا يجىء الساحر بدين صحيح، إنما يجىء بالباطل والزور ، فيرمونه ويرمون أتباعه من ثم بالسفه والضلال ، ويعتبرونهم غواة مضللين ، قد غرر بهم ، ناقصى عقول أو سفهاء .

ولانعدم - على الرغم من هذا - فى شعر الخصوم رأياً يقترب إلى حد ما من وجهة نظر المسلمين ، خاصة عند من أسلم منهم أو أبدى استعداداً للدخول فى الإسلام؛ فيذكر غير واحد من أهل الكتاب بشارة التوراة والسابقين من الرسل بالنبى ، ووصية عيسى عليه السلام بموالاته والتصديق به ، ويستبطئ بعضهم - قبل جهره ﷺ بالدعوة - ظهوره ،ويعد بنصرته واتباعه ، ويتوقع - على طريقة القياس بحال الأمم السابقة مع الأنبياء والمرسلين - ارتطام قريش به ومن والاها من الوثنيين .

وفى إطار الردة عنه فإن مصادرنا القديمة لم تحتفظ - فى الحق - إلا بالنذر اليسير من شعر المرتدين ،وتبدو على بعضه - خاصة فيما نسب إلى طليحة ومسيلمة وأضرابهما من الرءوس - سمات الوضع ؛ للسخرية من قائليه . ويعجز ما وصلنا من شعرهم عن تصوير عقيدتهم تصويراً كاملاً ؛ تتضح لنا فيه أبعاد حركتهم وحقيقة تمردهم، كما يصور شعر المسلمين ، فما هى إلا لمحات تتناثر هنا وهناك - وقد أصبح من العار عليهم بقاء هذا الشعر الذى قالوه فى ردتهم ، وقد عادوا مرة أخرى إلى الإسلام ، لما قد يكون فيه من نيل من الإسلام والمسلمين ، وحض على الثأر ، وإعلاء للعصبيات ، مما يفسر ضياع كثير منه - لا تقدم فى مجموعها إلا صورة هزيلة لتلك الحركة - على خطورتها - فى الجانب العقدى ؛ ومنها ما يحمل إيماناً بنبوة بعضهم - كمسيلمة - وتصديقاً بما يدعو إليه ، واعتبار ما كان يموه به على أتباعه من الأكاذيب والترهات آيات واضحة - فى الدلالة على نبوته - وضوح الشمس ، ومنها ما يدل على أن بعض من سار فى ركاب المرتدين كان يتظاهر بموالاة رءوس الفتنة - خوفاً وتقية - وهو يضمر الإيمان ، وبعضهم لم يمنع الصلاة وإن جادل حول الزكاة ، وهو يظن أن الصلاة - وهو عماد الدين - تحرم دمه ، حرمه سائر دماء المسلمين ، ويرى أنه لم يخرج عن الإسلام إلى دائرة الكفر.

أما سائر أهل الإسلام - ممن ثبتوا على إسلامهم وحارب بعضهم هؤلاء المرتدين - فقد رموهم بالكفر صراحة ، على اعتبار أن إنكار ركن من أركان الدين - معلوم

بالضرورة فرضيتـه - كالزكاة ونحوها كفر ، وهى ردة بعضهم ، فـضلاً عن ادعاء النبوة أو التصديق بأنبياء بعد محمـد ، وهى ردة آخرين . ويضيف بعضهم إلى الكفر البغى ، ويحذرون من أن يحـيق بهم ما حاق بأمم سـابقة كعـاد وثمود . وهى - أعنى الردة - على الجملة - فيما تعكس أشعارهم - سبيل غى ، ونكث للعهود ، ونصب عداوة لله، وحيد عن الطريق . وهم - أعنى المرتدين - « جـموع الأخابث » ، دينهم « دين سوء» ممحوق ، وهو كذلك دين لا أصل له .

والردة على اختلاف أنواعها - من ادعاء نبوة ، أو منع زكاة أو صلاة ، أو انسلاخ تام عن الإسلام ونبذ يد الطاعـة وعدم الاعتراف بالخلافة والتمـرد على الولاة - تشترك فى نظرة أهل الإسلام إلى أصحابها ؛ فجميعهم خارجون - فى عقيدتهم - عن الدين ، دونما تمييز بين نوع ونوع أو صـنف وآخر ، ولا مصير لهـؤلاء الخارجين - إن ماتوا على ما هم علـيه - إلا النار ، فكثـرت من ثم فى أشعار الـعائدين - أيّاً ما كـانت ردتهم - التوبة؛ يسوقونها مع الاعتذار ، والتأكـيد مع كل فرصة سانحة على اتباع الدين والبراءة ممن أغروهم بالضلال .

وتعود النقائض - وكـانت قد خفتت حدتها ؛ بدخول مكـة فى الإسلام ، وانتهاء الصـراع مع المشركين ، وانكسـار شوكـة يهود - إلى الظهـور من جديد ، ويبـرز على استحياء فيها جدل المعتـقدات ، فيما يمكن أن يعد - ولو بصورة أولية - بذوراً للنقائض المذهبية على وجه خاص .

ولا تخـتلف نظرة المسلمين - فيـمـا وصلنا من شعـر ذلك العصـر - إلى اليهـود والنصارى عن نظرتهم إلى غيرهم من سائر الأديان ، إلا فى التسليم بصحة أصل هاتين الديانتين ، قبل أن يعتريهما ما اعتراهما - فى معتقدهم - من التحريف والبهتان ؛ فهما ينتمـيان - كما ينتـمى الإسلام - إلى السماء ، وقـد جاء بهما رسـولان يوجب عليهم دينهم الإيمان بهما إيمانهم بمحـمد ﷺ ، وكتابان أصلهما كـذلك من عند الله كالقرآن . ولأن الشعر الذى قالوه فـى اليهود والنصارى قد قيل أكثـره فى خضم الصراع مع هاتين الطائفتين ، ومع ما نشـأ بينهما وبين الإسلام فى ظل عدم اعـترافهما به ولا بنبـيه عليه السلام ، كانت نظرة المسلمين لهم ولدينهم على السواء .

فاليـهود لم يحفظوا الكتاب الذى أوتـوه ، فكفروا بالقرآن وأنكروه ، ولم يعتـرفوا بالنبى ﷺ ، وهم أحـرص الناس على حـياة ؛ أىّ حـياة ، حـتى لو كانت مـصطبغـة

بالذل، فهم يكرهون الموت ، ولا يحبون لقاء الله ، وهم كذلك - بما جبلوا عليه من الخيانة وسوء الأخلاق - لا عهد لهم ولا أيمان ، ولقد أعانوا الكفار ، ولولا كفرهم بالإسلام لما أعانوا عليه ، ونصروهم فى مواضع عدة ، منها الأحزاب ، فلا غرابة إن تبرأ المسلمون منهم كما تبرأوا هم أيضاً من الإسلام ، ولا غرابة إن وصفوا دينهم بأنه غير ذى شكول ؛ أى بدع لا نظير له ، وليس له ما يعضده من الحقائق ، أو يجعله مقبولاً مستساغاً فى النفوس ، أو صفوه - وقد صار إلى ما صار إليه - بأنه لا يشبه دينهم فى شيء ، وعيروا من يوالى أصحابه ، من ضعاف الإيمان ومن المنافقين ، وسفهوا الباكين على قتلاهم ممن كانوا لا يزالون يكنون لهم بعض الولاء .

والنصارى - ومنهم الروم الذين اصطدم بهم المسلمون فى حركة الفتوحات - «عبَّاد الصليب» ؛ به يقسمون ، وهو - من شدة تقديسهم له - أصدق قسمهم وآكد أيمانهم، تراهم على تلك الصلبان عكوفاً ؛ عكوف الكفار على الأوثان ، ويرمونهم كما رموا اليهود من قبل - ويعنون بذلك من انحرف من هؤلاء وأولئك عن أصل الدين - بالكفر، ويبرأون من دينهم - وقد اعتراه ما اعتراه فى عقيدتهم من التغيير - لمخالفته دين الإسلام . لكننا لا نعدم - على الرغم من ذلك - وجود اتجاه آخر ، يقف فيه أصحابه عند وصف الرهبان ، وما هم عليه من شدة نسك وعبادة لله تبارك وتعالى، وإن كان هذا الاتجاه أقل وضوحاً - بطبيعة الحال - من الاتجاه الأول ، فى ظل ما أشرت إليه من الصراع .

وتتبدى الوثنية - فى عقيدة أصحابها - ديناً ، له طقوسه وشعائره ، كسائر الأديان، وعلى الرغم من ضياع أكثر شعر هؤلاء الوثنيين - وهو ما نميل إليه - خاصة ما تعلق منه بجانب المعتقدات فى بداية صدر الإسلام ، قبل هيمنة الدين الجديد وانتشاره - كما ضاعت أشعار يهود والنصارى والمرتدين المتعلقة بالجانب نفسه ؛ لارتطامها بالإسلام، ومخالفتها لعقيدته وما تحمله من فكر عقدى جديد - فقد بقيت إشارات - وإن كانت فى الحق قليلة - تعبر عن عقيدة الوثنيين ؛ ومنها ما يعبر عن تقديسهم للأنصاب ، وتمسكهم بها ، ودهشتهم ممن يدعونهم لتركها وهى تمثل إرث الآباء والأجداد .

وفى شعر المسلمين - وهو يقدم وجهة النظر الأخرى - صورة أكثر وضوحاً وتفصيلاً من تلك الإشارات ؛ منها عبادتهم لـ « هبل » و « العزى » و « اللات » و «

يغوث » و « يعوق » وغيرها ، وطالما رموهم - وقد اتخذوا تلك الأصنام وسيلة إلى الله - بالشرك ، ووصفوهم فى مواضع كثيرة بـ « الكفار » وبأنهم « أعداء الله » ، وأشاروا إلى تكذيبهم للرسول وعدم إيمانهم به وعداوتهم له ، وربط بعضهم بين الوثنية وعبادة الشيطان . أما رموزهم - ومنهم أُبَىٌّ بن خلف والوليد بن المغيرة وأبو جهل عمرو بن هشام - فقد تعددت فيهم الأشعار ، تبين سوء مصيرهم فى الآخرة ، وما حاق بهم فى الدنيا ، وما كانوا عليه من الإفك والضلال .

ومع انكسار شوكة الوثنية وانتشار الإسلام كانت الثورة الهائلة على الأوثان ، وهى ثورة لم يشهد لها - فيما يتعلق بالوثنية والأوثان - تاريخ الأدب العربى فى القديم أو الحديث مثيلاً ، وإن كانت بذورها قد وجدت فى الشعر الجاهلى . على أن كثيراً من الشعر الذى قاله شعراء الصدر فى تلك الثورة إنما يرجع إلى عهد النبوة ، ويرتبط أغلبه بإسلام أصحابه وتوديعهم لماكانوا عليه من الكفر ، يفتتحون به صفحة جديدة فى ظل الدين الجديد .

ونستبين من خلال ما قالوه أوجه العجز والقصور فى الآلهة المزعومة التى كانوا يعبدونها قبل الإسلام ، وبراءتهم منها وممن لا يزالون يدينون لها بالتبعية والطاعة من المشركين والكفار ، ويسخرون منها ومما حاق بها على أيدى المسلمين من الهوان . والحقيقة أنه لولا الإسلام وما يدعو إليه من نبذها وتسفيهها لما كانت مثل تلك المراجعات، ولظل ما فيها من نقص يخفى على عقولهم ، وهم يرزحون تحت وطأة التقليد والاتباع الأعمى ، فى ربقة الغى والضلال .

ويشغل ذكر الله عز وجل - خلافاً لما كانت عليه الحال فى العصر الجاهلى - جزءاً كبيراً من شعر صدر الإسلام ، وهم إذ يذكرونه إنما يشفون عن عقيدتهم فيه ، ذاتاً وصفات ، دونما خروج عن الإطار العام الذى رسمه القرآن الكريم وحديث النبى ﷺ ، أو ولوج فيما سوف يخوض فيه فلاسفة العرب - تأثراً بالفلسفات الوافدة - وعلماء الكلام فى عصور تالية ؛ فهم يثبتون له ما أثبته الوحى على الإجمال ، ويمسكون عما سكت عنه أو حذرهم النبى ﷺ من مغبة الخوض فيه ، فلا تكييف ، ولا تعطيل ، ولا تفصيل - إلا فى حدود ضيقة جداً - لما أجمل ، ولا استخدام لمصطلحات - لم يكن لهم بها قبل أو عهد فى تلك الفترة الباكرة - من مصطلحات الفلاسفة - كالعلة الأولى، وواجب الوجود ، والقديم ، ونحوها - مما سوف يشيع بعد .

ويأتى الحديث عن الذات مجرد إشارات ، نفـهم من خلالها أن لله ذاتاً فحسب ، أما ما يتعلق بكنه هذه الذات وماهيتها فـهو مما لا مجال لأن يخوضوا - ولو على سبيل الظن - فيـه . وتعلو نبرة الإيمان بالله تعالى واضـحة ، إيماناً يتجلى فيـه التسليم به رباً وإلها معبوداً ، يعلنها الشاعر بين الفينة والأخرى ، ولا يكل عن ترديد نغمتها اللسان .

ويسوقون فى إطار دعوتهم للإيمان بالله - أو حتى مجرد إعلان الإيمان - غالباً آيات دالة على وجوده وقـدرته ، وهو منهج قرآنى فى الأصل ، وقـد يأتى الحديث عن تلك الآيات - فى أحايين أخرى - مجرداً عن الدعوة ، فيشبه إلى حد بعيد - ترانيم التمجيد والتقديس التى نراها فى شعر المتصـوفة والزهاد ، والتى كنا نرى جذوراً لها من قبل فى شعر بعض الحنفاء .

ويعد التوحـيد ركناً أساسيـاً فى عقيدتهم بالله ، ويشـمل أبواباً ثلاثة ؛ الربوبية ، والألوهية ، والأسـماء والصفـات . وتعكس أشعارهم - فـيما يتـعلق بالباب الأول - الاعتراف به رباً ، وكانوا فى الجاهلية يعترفون بالربوبية لله ، لكنهم كانوا يشركون به ، فكان التوحيد - قبل ظهور البدع والأهواء - هو السمة الرئيسة فى هذا الباب عند شعراء الإسلام . ولا يقف الأمر عند حد الاعتراف ، وإنما يمتد إلى الرضا ، وتسرى فى الرضا روح التسليم .

وفى الباب الثانى توحيد الألوهية ، أو التوجه بسائر العبادات لله وحده ، فلا يعبد أحد سـواه ، وهو ماكـان يفتقـده - وبحق - سائر أهل الجـاهلية ، فـيما عـدا قلة من أصحاب الأديان السمـاوية السابقة وممن عرفوا بالحنفاء ، وهو كـذلك ما انحرف عنه - فيما بعد - أهل البدع والأهواء ؛ ممن أشركـوا - بعبادتهم - مع الله معبودات أخرى ، ولم يخلصوا العبادة لله . ويلحق بهذا الباب كل فعل يصدر - على سبيل العبادة - عن الإنسان ؛ كالاستعاذة ، والدعاء ، والتوكل ، والاستغفار ، والخوف ، والرجاء .

ويشمل الباب الثـالث الأسماء والصفات ، وقد أثبـتوا فيها لله ما أثبتـه لنفسه فى القرآن الكريم ، دونما تـعطيل أو تأويل ، فسمـوه بما سمى به نفـسه - وكان أكـثر هذه الأسماء دوراناً فى شـعرهم « الله » - ووصفوه بالعلم ؛ وعلمه تعـالى - ولم يخوضوا فيما سـوف يخوض فيه الشعراء فـيما بعد - علم يليق بذاته ، كسائر الـصفات التى قد يتشابه ظاهرها مع ما يوصف به العباد ، انطلاقاً من القاعدة التى تقول كما أن لله ذاتاً لا تشبهها الذوات فكذلك صفاته لا تشبهـها الصفات ، وهى المستمدة من قوله تعالى : ﴿

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ . ولا يقف علمه تعالى - كما يقف علم البشر - عند حد الظاهر ، وإنما يمتد إلى الغيب ، ولا يحتاج - كعلمنا - إلى الأسباب .

ويصفونه بالسمع والإبصار ، وأكثر ما يجيء السمع إنما يجيء مقترناً بالبصر ، كما اقترن اسما « السميع » و« البصير » فى غير ما موضع من القرآن الكريم . ويصفونه كذلك بالإرادة ، والقدرة ، والحياة ، والكلام ، والعلو ، ويجعلون له - كما أخبر فى قرآنه - عرشاً ، ويثبتون له فوقية عليه . ومما أوَّلته المعتزلة « اليد » ؛ فقالوا المقصود بها وصفه تبارك وتعالى بالقدرة ، ونفتها عنه - خشيه التشبيه - طوائف أخرى ، ووجدنا الشعراء فى الصدر يصفون بها - على طريقتهم فى سائر الصفات - الله ؛ وصفاً يتطابق مع ما جاء فى القرآن ، دونما تأويل أو نفى ، بل لم يزيدوا - فيما اطلعت عليه - عن قولهم « يد الله » ، أما حقيقة هذه اليد فلا نجد لديهم أى نوع من التفسير يقدمونه عنها .

وإذا كان الإيمان بالله عز وجل - وجوداً وربوبية وكمال صفات - يشكل المحور الرئيس فى عقيدة الإسلام ، فإن الإيمان بالرسل والأنبياء - وما يستتبع ذلك من الكتب والرسالات - هو المحور الذى لا ينفصل بحال عن المحور السابق؛ فهو الذى يؤدى إليه أولاً ، ويمثل من ناحية ثانية ضرورة فى ذاته ؛ فلا يعد مسلماً من آمن بالله ولم يؤمن بنبوة محمد أو أنكر رسالته ، فكان الإيمان به ﷺ صنو الإيمان بالله ، بل لا يملك المسلم - صحيح الإسلام - إنكار ما هو معلوم بالضرورة من نبوة مَنْ ذُكِرَ فى القرآن الكريم من الأنبياء والرسل ، من لدن آدم عليه السلام حتى محمد ﷺ . ويستتبع هذا الإيمان بما أنزله الله عليهم من الكتب ؛ كالتوراة والإنجيل - قبل أن يعتريهما ما اعتراهما فى عقيدتهم من التحريف - وغيرهما ، فلم يكن بغريب إذن أن نجد فى شعر صدر الإسلام هذا الاحتفال الكبير بذكر الرسل والأنبياء السابقين وكتبهم ، وشيئاً من أخبار أممهم ، وأكثرهم دوراناً فيه موسى وعيسى - أقربهم زمناً من نبى الإسلام ، وصاحبا الديانتين الباقيتين اللتين احتك بأهلهما المسلمون عن كثب - عليهما السلام .

ويشغل النبى ﷺ حيزاً أكبر مما يشغله غيره من الأنبياء والرسل السابقين ، بل يشكل محوراً من المحاور الرئيسة التى دار حولها الشعر فى ذلك العصر يستحق دراسة خاصة ، وفيما يتعلق بنبوته ورسالته - وهو ما شغلنا به عن غيره لطبيعة البحث - يلقانا أول ما يلقانا الاعتراف به نبياً مرسلاً ، مع ما يترتب على هذا الإيمان من لزوم الطاعة

والاقتداء والسير على منهجه ومنواله ، والشعر فى هذا كثير ، بل كثير جداً . ولا يقف الأمر ببعضهم عن حد الإقرار ، وإنما نراه - وقد اتخذ من الشعر وسيلة للدعوة - يدعو غيره - وخاصة القرشيين - إلى الإيمان بما آمن به ؛ من صدق نبوته ﷺ ورسالته ، واتباع الدين الذى جاء به ، وترك ما هم عليه من السفاهة والضلال .

ويؤكدون - خاصة من كان منهم على دين سماوى سابق أو كان على معرفة أو اتصال بتلك الأديان - على تبشير الأنبياء والرسل بنبوة محمد ورسالته . ويستلزم الإيمان به الإيمان بما أنزل عليه من الكتاب ، وقد تردد ذكره فى مواضع عديدة ، وصفوه فيها بالوحى ، وأنه منزل من عند الله ، وأنه - من ثم - كتاب الله ، ينسب إليه تبارك وتعالى من دون الخلق . ووصفوه كذلك بالنور - ويعنون بذلك الهداية والخروج بهم من دائرة الضلال - والحكمة والفرقان ، ووقفوا عند بعض سوره وآيه ، وما يحمله فى ثناياه من الشريعة والمنهج ، وأشاروا إلى بعض حقوقه ؛ كالتلاوة ، والتدبر ، والائتمار بما أمر ، والانتهاء عما قد نهاهم عنه .

ونلمح فى ثنايا وصفهم للنبى ﷺ - وقد وصفوه بصفات كثيرة - التركيز على صفات أربع ، هى - فى الحق - شروط من شروط النبوة والرسالة - لأداء المهمة على وجهها - كما يقول الفقهاء ؛ الصدق ، والأمانة ، والتبليغ ، والفطانة أو الذكاء . إضافة إلى ما قد تعكسه صفات أخرى ، تضعه ﷺ - وأكثرها خُلُقى - فى مرتبة الكمال البشري ، وتتبوء به - وهو ما قصدوا إليه قصداً - مرتبة الإنسان المثال .

ويثبتون له ﷺ - فيما يعتقدون - الشفاعة يوم القيامة ، فهو شفيعهم عند الله ؛ ليغفر لهم ، ويتجاوز عنهم ، ويدخلهم الجنة بفضله ورحمته ، وينجيهم من عذاب النار . ويعتقدون بأفضليته وخيريته على سائر البشر ؛ فهو « سيد ولد آدم » ، و « سيد العالمين» ، وأقربهم إلى الله منزلة ومكانة . ولا يكتفون بتفضيله على سائر البشر - فقد يقول قائل إن هذا التفضيل إنما يجيء على اعتبار نبوته ورسالته - فنراهم يفضلونه على سائر الأنبياء والمرسلين - وقد فضل الله بعضهم على بعض - لكنهم لا يطيلون فى ذلك، ولا يفصلون القول كما يفعل المتصوفة فى عصور متأخرة ، ولا يتعرضون كذلك - كما يتعرض هؤلاء الصوفيون - للمفاضلة بينه وبين الملائكة أو غيرها من الخلائق كالعرش واللوح والقلم .

ويجعلون له ﷺ - وهى جزء من عقيدتهم فيه - خصوصيات ؛ منها أنه « خاتم

الرسل والأنبياء » ؛ فلا رسول بعده ولا نبى ، وهو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، وأول من يشفع للخلائق بين يدى الله ، وله كان المعراج ؛ حيث أعرج به إلى السماء ، ودنا من الله دنواً لم يبلغه أحد سواه ، وكلمه الله - بغير واسطة أو وحى - وكلم الله . ويسجل بعضهم استسقاءهم به فى وقت الجدب ، ويذكر آخرون حفظ الله له وعصمته من الناس ، لكنهم فى هذا كله لم يخرجوا به - كما خرجت اليهود بعزير والنصارى بعيسى بن مريم - عن حدود البشر ، ولم يجعلوا له - كما صنعت المتصوفة - طبيعة خاصة ؛ تفترض له - تحت ما أسموه بـ « الحقيقة المحمدية » - وجوداً قبل وجود الخلق ، ونوراً يتنقل فى الأصلاب الطاهرة من لدن آدم عليه السلام حتى أبيه عبد الله ؛ فهو ﷺ - فى نهاية المطاف - « عبد رسول » ، اصطفاه الله وارتضاه ليبلغ عنه - إلى العباد - رسالته الخاتمة .

وفيما يتعلق بالموت ، فقد كان الشاعر الجاهلى يؤمن بأنه واقع لا محالة ، طال الزمان أو قصر ، وأنه لا مهرب منه ولا مفر ، فكل الناس - وهو ما يدركه بالبديهة والمشاهدة - ميتون ، ولا خلود لأحد ، سوقة كان أو كان من الملوك ، غير أن هذه الحتمية قد تحولت فى صدر الإسلام - نتيجة الدين الجديد وما جاء به من مفاهيم عقدية - إلى ما يمكن أن يسمى بـ « القدرية » ؛ فهو لا يجىء - كما كان يُظَنُّ - خبط عشواء، يصيب من يصيب ، فمن أصابه مات ، ويخطئ من يخطئ ، فيعمر حتى يهرم من أخطأه ، وإنما هو أمر محكم - لا مجال للخطأ فيه - يقدر الله له وقتاً ، فلا يقدم ولا يؤخر، ولا يبدل ولا يرد ، وقد كثر من ثم وصفه بـ « المكتوب » ، ولم يكن محض صدفة أن يشيع فى شعرهم لفظ « الأجل » فى التعبير عنه .

ويرون - وهو ملمح من ملامح قدريته كذلك - أنه صيرورة إلى الله ورجوع إليه ، فمن مات عاد - لا فات - ليبدأ منذ مجىء الموت مرحلة « البرزخ » - لا الفناء - ثم يتلوها - حين يشاء الله - البعث . ويشيرون إلى الروح - إشارات سريعة - فى معرض حديثهم عن الموت ، بما يمكن أن نعتبره ملمحاً آخر من ملامح هذه القدرية ؛ فالعلاقة بين الروح - استلالاً وقبضاً - والموت - ولا أكاد أجد لها ذكراً فيما اطلعت عليه من شعر الجاهليين - قد صارت من الأمور الواضحة المقررة فى الإسلام ، ولطالما تحدثوا - فى هذا السياق - عن ملك - أو ملائكة - الموت ، وعن حشرجة الروح فى الصدر ، وبلوغها حد التراقي ونحوها .

ولأن الموت نازل - بما قضى الله - لامحـالة ، فهو الحقيقـة الراسخة التى لا شك فيهـا ، بينما الحياة - بكل ما فـيها - زيف وزور ، وما الحيـاة إلا عارية ، لابد يوماً - كمـا يقتضى حق الإعـارة - أن تعود ، وما العمـر إلا وديعة ، والمرء إلا كالشـهاب ، يشتـعل ويزداد اشتعالاً ، ثم يخـبو ، ويصيـر - بعد تأججه - كـومة من تراب ، وهو ضيف على أهله ، يقيم قليـلاً بينهم ، ثم لا يلبث أن يحزم أمتعتـه ويتأهب للرحيل ، ولا دوام إلا للحى الذى لا يموت .

ويأتى بعد الموت القبر ، ممثـلاً للمرحلة الانتقالية ، ما بين حـياة الإنسان فى الدنيا وحياته فى الآخرة ، وهى التى يطلقون عليها الحياة البرزخية ، ويعتبرها بعضهـم - وفى القبر سؤال ، ونعيـم وعذاب - أول مراحل الآخرة ، ولا نكاد نعلم عن تلك المرحلة - من شعرهم - إلا القليل ؛ كصحبة العمل ، شراً كان أو خيراً ، فهو القرين الذى يلازم صاحبه ، ولا يتركه حين يتخلى عنه الآخرون . ثم يكون المعاد ، وهو « القيامة » - فى لفظهم - و« يوم البعث » و « يوم الحشر » و« يوم الحساب» ، مسبوقاً بما حدثوا عنه من الآيات - التى يعتقـدون بحدوثها - كفتنة « المسـيخ الدجال » و « النفخ فى الصور » أو «الصيحة » ، وهو يوم - كمـا يرون - قريب ، فيه نلقى الله ربنا ، وإن شك من شك - كالكفـار - فيه ، فـإلى الله المرجع والمصيـر ، وما بعدها للصـالحين حتوف ، حـياة خالدة ودوام لا يزول .

وعلى حين ينفى شعـراء الكفار - تبعاً لـما كان عليه أسلافـهم - فكرة البعث نرى شعراء المسلمـين لا يملون من ترديد هذه الفكرة ، مؤمنين بها إيماناً يقينـياً ، لا يرقى إليه الشك ، ولا يتطرق لديهم شىء من الارتياب فـيه ؛ فالذى خلق أول مرة لـن يعجزه - بل هو أهون عليه ، وكلٌ لديه هين يسـير - أن يعيده مـرة أخرى ، وإن بليت العظام ، وتبعثرت الأشلاء فى كل الدروب ، ولولا البـعث - وما سوف يتلوه من حساب وجزاء - لاستـوى المحسن والمسىء ، والكافر والمـؤمن ، ولما كان للإيمان - وما يسـتتبـعه من العمل - معنى إن تساوى - فى نهاية الأمر - الخـلائق أجمعون ، لذلك نراهم يتطرقون فى حديثهم عن البعث والنشور إلى الحساب والجزاء ، فيسمون يوم القيامة بداية بـ « يوم الحساب » ، ويشيرون إلى ما فيه من « المحاسبة » ، و« المجازاة » ؛ كلٌ بما قدمت يداه، والأجر أو « الثواب والعقاب » ؛ الحسنة بالحسنة ، والسيئة بالسيئة ، جزاء وفاقاً لا ظلم فيه .

أما الجنة والنار - دار جزاء ومقامة - فقـد احتلتا مكاناً واسعاً من الحديث عن اليوم الآخر وعقيدتهم فـيه ، وارتبط ذكرهما - أكثر ما ارتبط - بالجهـاد فى سبيل الله ونشر دينه ، والصـراع ضد الكفـار واليهود والمـرتدين ، خاصـة فى بيان مصـير القـتلى من الفريقين ، ورثاء الشخصيات الكبرى ، والفخر والهجاء .

فـالجنة - وقد جـعلوها فى مـواضع عـديدة جنات وجناناً ؛ إشـارة إلى اختـلاف درجاتها - مصـير الشهداء من المسلمين ، وهى كذلك ثواب المهـتدين ، وأجر الموحدين المخلصين ، وجزاء المجاهدين ، ورجاء العابدين . وقد وصفـوها كما وصفها الله تبارك وتعالى ورسوله ، وأشاروا إلى ما فيها من صنوف النعيم ؛ فهى « جنات عدن » وإقامة، نعيـمها لا ينقطع ، ودار خلـود ، ويذكرون « الفردوس » ؛ وهو أعلى درجـاتها ، و« الحور العين » ، و« الروح » و« الريحان » ، و« الأرائك » ، و« القـصور» ، والشراب البارد ، والرحـيق العذب والسلسـبيل ، والخـمور - التى تخـتلف عن خمـور الدنيا - ممتزجة بالمسك والزنجبيل ، والمآكل - عموم المآكل - وطيب المقام ، ولقاء الأحبة ؛ فهى دار الملتقى والإقامـة والمستقر ، لا تقلب فـيها ، ولا خوف من اخـتلاف الحال أو زوال النعمة وتعـرض النفس لمثل ما يعتريها فى الدنيـا - عند زوالها عنها - من الاضطراب . ووصفـوها كذلك بالعلو ، والاتساع ، وأشـاروا إلى أن الطريق الموصلة إليها قـد حفت بالمكاره ، بينما حفت النار - على النقيض - بالشهوات .

ولئن كانت الجنة - فى عـقيدتهم - مصـير من آمن بالله وحسن عـمله ، فإن النار مصير الكفار ، وهى كذلك مآل المرتدين عن الدين ؛ ما ماتوا على الردة ولم يعودوا مرة أخرى إلـى الإسلام ، وقسم الجـاحدين ، ومـوعد عـبدة الأوثان ، الذين حـاربوا الله ورسوله ، وماتوا عـلى ما هم فيه ، وحظ أئمتـهم وطواغيتهم ، لا ينجـو منها - على الإجمال - إلا نقى القلب صادق الإيمان ، فالمؤمن الحق لا يدخلها - فى عقيدة بعضهم - أبداً ، وطاهر السريرة - ممن قد نزع الله الغل من صدره - لا تمسه فيمن تمس .

وكما ذكروا صفة الجنة وما ينتظر المؤمنين فيها من النعيم ذكروا كذلك صفة النار وما فيها من صنوف الشقـاء ؛ فهى بعيدة القاع شديدة العمق ، تتأجج فـيها النيران - وطالما سموها بـ « جهنم » و« الجحيم » - فـلا يقوم لها بشر خلق من الطين ، طعـام أهلها « الزقوم » ، وأفضل رزقهم « حمـيم وضريع » ، وثيابهم من « قار » ، وسرابيلهم من « قطران » ، يلفح وجوههم « الزخيخ » ، ويصلون «جمراً من لظى » ، من دخلها شغل

عن كل شيء بما فيه من العذاب الأليم ، وهى دركات ، مما يدل على أنها إنما تتجه - على النقيض من الجنة - إلى أسفل نحو الهبوط ، وأشدها الدرك الأسفل ، وفيه طواغيت الكفار والمنافقون .

ويعكس شعرهم إيماناً واضحاً عميقاً بقضاء الله وقدره ، فكل ما يجرى فى ملكه إنما يجرى وفق ذلك القضاء ؛ الرزق ، والهداية ، والموت ، ونزول البلاء - من الأمراض ونحوها - والشفاء ، والنصر أو الهزيمة ، والتوفيق والسداد ، فالقدر - لا الأسباب كما كان يُظَنّ - هو الذى يفسر حالات الغنى والفقر ، لأن العطاء والحرمان بيد الله ، يعطى من يشاء ما يشاء كما يشاء ، ويمنع فضله عمن يشاء ، وكل شيء عنده بمقدار ، فما سيق إليك من الرزق فهو الذى يسوقه ، وما حُرِمتَ فمما خُطَّ فى الأقدار ، ولولا هدايته - إرشاداً وحملاً - ما اهتدى أحد ؛ فالهداية والضلال مقترنان بمشيئته ، يهدى من يشاء ، ويضل من يشاء ، وما أصاب - وقد نزل الطاعون بهم - فبقدر الله ، ولا مهرب مما قدره الله ، وإن كان الدواء سبباً فى الشفاء فإن الشافى على الحقيقة هو الله ، ولا شفاء بغير إذنه ، ولا بغير ما قدره وقضاه ، وإن فتح أحدهم بلداً فبإذن الله ، وإن عزم آخرعلى فعل شيء فإننا نراه يعلق الأمر بمشيئة الله ، ولا يستطيع المرء - وقد عجزت بإزاء إرادة الله مشيئته - صرف الأقدار ودفعها ، فلا دافع لها على الإطلاق .

لقد تمثل الشاعر فى صدر الإسلام القضاء والقدر فى صورة « مكتوب » ، خطت حروفه - فلا يتبدل - منذ الأزل ، وجفت به الصحف ورُفعت عنه الأقلام ، ووجد نفسه - وقد عجز عن تحقيق ما يتمنى إلا إن وافقت أمنيته القضاء - ضعيفاً بإزاء تلك القدرة المهيمنة ، فلم يجد بداً من التسليم ، وإعلان إيمانه دونما جدل أو خوض فى مسائل - سوف تظهر بعد - تقترب من حدود الفلسفة وعلوم الكلام ، ومن يدرى - وهنا يتجهون نحو التماس الحكمة المقترنة فى معتقدهم بالقضاء ، خيره وشره ، وتبرير الرضا بالإيمان - فما قد يبدو فى ظاهره شراً قد يحمل الخير فى باطنه ، وفى بعض المكاره - كما قضى الله - الرشاد . لكنهم فى الوقت نفسه لم يتخذوا من الأقدار وسيلة للتواكل وترك العمل والتقاعس عن أداء الواجبات ، بل رأينا بعضهم يسخر ممن يحتج بالقدر ويعلق عليه الأخطاء .

ومن الغيبيات التى اعتقدوا بوجودها - وعبر شعرهم عن هذا الاعتقاد - الملائكة ، وقد أسندوا لهم أفعالاً خاصة ، وسموا بعضهم ، وساقوا طرفاً من أخبارهم ،

ووصفوهم – كما وصفهم القرآن الكريم – ببعض الصفات ؛ فمنهم حملة العرش ، وهم ثمانية شداد مقربون من الله عز وجل ، ومنهم المنتشرون يوم البعث فى الآفاق ، يقومون على تدبير ما فى ذلك اليوم ، ويسوقون الناس إلى المحشر ، ومنهم الذين يتنزلون – بالوحى ونحوه – على النبى ، ثم انقطع نزولهم بانتقاله ﷺ إلى ربه واكتمال القرآن ، ومنهم من جاء للقتال مع المسلمين فى حروبهم ضد الكفار . ويسمون – فيما اطلعت عليه – اثنين منهم ؛ جبريل وميكال ، يخصونهما – من بينهم – بكثرة الحديث والبيان .

والجان عالم آخر من عوالم الغيب ، يتحدث عنه الشعراء فى صدر الإسلام ، مسجلين فى ثنايا هذا الحديث ما كانوا يعتقدونه فيه ، من الوجود بداية إلى الصفات والنعوت ، والأنواع ، والأعمال ، وعلاقته بالإنسان ، ودوره فى الوجود . وهم كالبشر طائفتان ؛ طائفة مؤمنة بالله ، وأخرى كافرة ، مما يبعد شبهة التسخير عنهم ، فليسوا كالدواب ونحوها ، وليسوا كذلك كالملائكة . أما الطائفة المؤمنة – ولا يطلقون عليها على تعدد الأسماء إلا الجن أو الجان – فمنهم من استمع إلى القرآن من النبى – وقد صرفهم الله عز وجل إليه – وهم الذين هدى الله ، وهؤلاء لا يأمرون إلا بخير ، ولا علاقة لهم – كما كانت حالهم قبل الهداية – بإغواء الإنسان ، أو تحريضه على معصية الله . وأما الكفار – ويطلقون عليهم عادة « الشيطان » ، ويسمون كبيرهم «إبليس» – فقد ربط الشعراء بينهم وبين الغواية والضلال ، والحض على المعصية والكفر، فهم يذهبون بالإنسان فى الشر كل مذهب ، ويسيرون بهم فى سنن الغى .

ويشير بعضهم إلى وجود صلة بين الشياطين والسحر ، ويربط آخرون بين الجن – على عمومه – والأمراض ، ويقفون عند استراقهم للسمع من السماء ، وكيف قد حيل بينهم وبينه مع بعثة النبى ﷺ ، ويحاولون إيجاد علاقة – تحت ما أسموه بـ « شياطين الشعر » – بين الشعر – باعتباره فناً – وهذا العالم المجهول من ناحية الإلهام. ونلمح فى صورهم وتشبيهاتهم – من خلال أوجه الشبه تحديداً – طرفاً مما كانوا يعتقدونه فى الجان؛ كالقوة الخارقة والبأس الذى لا حدود له ، والصوت المبهم كالصفير أو العزيف ، والتلون – وقد يفهم منه القدرة على التجسد فى أشكال مختلفة – وعدم الثبات ، والسرعة الفائقة وشدة العدو . ويختفى أو يكاد – مع تمكن العقيدة الصحيحة – الحديث عن السعالى والغيلان ، على كثرة ما تردد ذكرها فى أشعار الجاهليين .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

١ - **أساس البلاغة** لجار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى - ط ٣ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٨٥ م .

٢ - **الاستيعاب فى معرفة الأصحاب** لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر - ت . على محمد البجاوى - دار الجيل - بيروت سنة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.

٣ - **أسد الغابة فى معرفة الصحابة** لعز الدين بن الأثير أبى الحسن على بن محمد الجزرى - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.

٤ - **الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين** للخالديين أبى بكر محمد وأبى عثمان سعيد ابنى هاشم - ت . السيد محمد يوسف - القاهرة جـ١ سنة ١٩٥٨م ، جـ٢ سنة ١٩٦٥ م .

٥ - **الاشتقاق** لأبى بكر محمد بن دريد - ت . عبد السلام محمد هارون - ط ٣ - مكتبة الخانجى - القاهرة - بدون تاريخ .

٦ - **أشعار الجن** - مجدى محمد الشهاوى - ط ١ - مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

٧ - **الإصابة فى تمييز الصحابة** لأحمد بن على بن حجر العسقلانى - ت . عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض - ط ١ - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

٨ - **الأصنام** لهشام بن محمد بن السائب الكلبى - ت . د . محمد عبد القادر أحمد وأحمد محمد عبيد - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة سنة ١٩٩٣ م .

٩ - **الأضداد** لأبى حاتم السجستانى - ت . محمد عبد القادر أحمد - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة سنة ١٤١١ هـ ١٩٩١م .

١٠ - **الأضداد** لمحمد بن القاسم الأنبارى - ت . محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - بيروت سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

١١ - **الأغانى** لأبى الفرج الأصفهانى - ت . إبراهيم الإبيارى - دار الشعب - القاهرة سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م .

١٢ - **الأمالى** لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٥م .

١٣ - **الأمالى** لأبى عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى - عالم الكتب (بيروت) ، ومكتبة المتنبى (القاهرة) - بدون تاريخ .

١٤ - **أمالى المرتضى** للشريف المرتضى على بن الحسين الموسوى العلوى - ت . د . محمد أبو الفضل إبراهيم - ط ١ - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٣٧٣هـ ١٩٥٤ م .

١٥ - **أنساب الأشراف** لأحمد بن يحيى المعروف بالبلاذرى - الجزء الأول ت . د . محمد حميد الله - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٧م / القسم الثانى من الجزء الرابع ت . ماكس شلوسنجر - القدس سنة ١٩٣٨م / الخامس ت . غويتاين - القدس سنة ١٩٣٦م / الحادى عشر - غريغزولد سنة ١٩٨٣م . وسائر الأجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٠٣ تاريخ .

١٦ - **الأنساب** - لعبد الكريم بن محمد بن المنصور السمعانى - مكتبة المثنى - بغداد سنة ١٩٧٠م .

١٧ - **أنوار الربيع فى أنواع البديع** لصدر الدين بن معصوم المدنى - ت . شاكر هادى شكر - ط ١ - مطبعة النعمان - النجف الأشرف سنة ١٩٦٩م .

١٨ - **البداية والنهاية** لعماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى - ط ٢ - دار الغد العربى - القاهرة سنة ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م .

١٩ - **بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب** لمحمود شكرى الألوسى - شرحه وصححه محمد بهجة الأثرى - ط ٣ - دار الكتب الحديثة - القاهرة - بدون تاريخ .

٢٠ - **البيان والتبيين** لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - ت . عبد السلام هارون - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - بدون تاريخ .

٢١ - **بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأى منهن وأشعارهن فى الجاهلية وصدر الإسلام** لأبى الفضل أحمد بن أبى طاهر - صححه وشرحه أحمد الألفى - مطبعة مدرسة والدة عباس الأول - القاهرة سنة ١٣٢٦هـ ١٩٠٨م .

٢٢ - **بهجة المجالس وأنس المُجالِس وشحذ الذاهن والهاجس** لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى - ت . محمد مرسى الخولى - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٩٦٩ م .

٢٣ - **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى - دار الغد العربى - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .

٢٤ - **تاريخ الخلفاء** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى - ت . محمد محيى الدين عبد الحميد - ط ١ - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة سنة ١٣١١هـ ١٩٥٢ م .

٢٥ - **تاريخ الرسل والملوك** لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - ت . د . محمد أبو الفضل إبراهيم - ط ٤ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٩ م .

٢٦ - **تاريخ الصحابة الذين روى عنهم الأخبار** لأبى حاتم محمد بن حبان البستى - ت. بوران الضناوى - ط ١ - دار الكتب العلمية- بيروت سنة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

٢٧ - **تاريخ اليعقوبى** - أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الإخبارى - المكتبة المرتضوية - النجف سنة ١٣٥٨ هـ .

٢٨ - **التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة** لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى القرطبى - المكتبة التوفيقية - القاهرة - بدون تاريخ .

٢٩ - **التعريف فى الأنساب والتنويه لذوى الأحساب** لأحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعرى القرطبى - ت . د . سعد عبد المقصود ظلام - دار المنار - القاهرة سنة ١٩٩٠ م .

٣٠ - **التعليقات والنوادر** لأبى على هارون بن زكريا الهجرى - ت . د . محمود عبد الأمير الحمادى - ط ٢ - دار الشئون الثقافية العامة « آفاق عربية » - بغداد سنة ١٩٨٧ م .

٣١ - **تعليق من أمالى ابن دريد** - ت . د . السيد مصطفى السنوسى - ط ٢ - مكتبة الآداب - القاهرة سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م .

٣٢ - **تفسير القرآن العظيم** لعماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى - مكتبة دار التراث - القاهرة - بدون تاريخ .

٣٣ - **تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن)** لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٣٣ - ١٩٤٩ م .

٣٤ - **التنبيه والإشراف للمسعودى** - عنى بتصحيحه ومراجعته عبد الله إسماعيل الصاوى - دار الصاوى للطبع والنشر والتأليف - القاهرة سنة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م.

٣٥ - **جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام** لأبى زيد محمد بن أبى الخطاب

القرشى - ت . على محمد البجاوى - دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة سنة ١٩٨١م .

٣٦ - **جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى** لأبى محمد على بن سعيد بن حزم - ت . د . إحسان عباس ، د . ناصر الدين الأسد - دار المعارف - القاهرة - بدون تاريخ .

٣٧ - **جوهر الكنز** لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبى - ت . د . محمد زغلول سلام - منشأة المعارف - الإسكندرية - بدون تاريخ .

٣٨ - **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى - مكتبة الخانجى - القاهرة سنة ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م .

٣٩ - **الحماسة البصرية** لصدر الدين على بن الحسن البصرى - ت . مختار الدين أحمد - ط ٣ - عالم الكتب - بيروت سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م .

٤٠ - **خاص الخاص** لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى - دار مكتبة الحياة - بيروت - بدون تاريخ .

٤١ - **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** لعبد القادر بن عمر البغدادى - ت . د. عبد السلام محمد هارون - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

٤٢ - **الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور** لزينب بنت على بن حسين بن عبيد الله العاملى - ط ١ - المطبعة الأميرية ببولاق - القاهرة سنة ١٣١٢ هـ .

٤٣ - **دقائق الأخبار فى ذكر الجنة والنار** لعبد الرحيم بن أحمد القاضى - دار النصر للطباعة والنشر ومكتبتها - القاهرة - بدون تاريخ .

٤٤ - **ديوان أبى الأسود الدؤلى** - ت . عبد الكريم الدجيلى - ط ١ - شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة - بغداد سنة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م .

٤٥ - **ديوان الإمام على** - ت . د . محمد عبد المنعم خفاجى - دار ابن زيدون (بيروت) ومكتبة الكليات الأزهرية (القاهرة) - بدون تاريخ .

٤٦ - **ديوان أمية بن أبى الصلت** - ت . فردريك - ليبزج سنة ١٩١١ م .

٤٧ - **ديوان حسان بن ثابت** - ت . د . سيد حنفى حسنين - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٣ م .

٤٨ - **ديوان الحطيئة** - ت . نعمان محمد أمين طه - ط ١ - مكتبة الخانجى - القاهرة سنة ١٩٨٧ م .

٤٩ - **ديوان حميد بن ثور الهلالى** - ت . عبد العـزيز الميمنى - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٣٧١ هـ .

٥٠ - **ديوان الخوارج** - جمعه وحققه د . نايف معروف - ط ١ - دار المسيرة - بيروت سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣ م .

٥١ - **ديوان شعر الخوارج** - جمعه وحققـه د . إحسان عباس - ط ٤ - دار الشروق - بيروت سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .

٥٢ - **ديوان دريد بن الصمة** - ت . د . عمر عبد الرسول - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٥ م .

٥٣ - **ديوان سحيم** - ت . عبد العزيز الميمنى - ط ٢ - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٥ م .

٥٤ - **ديوان الشماخ بن ضرار الذبيانى** - ت . د . صلاح الدين الهـادى - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٨ م .

٥٥ - **ديوان عبد الله بن رواحة** - جمعه وحققه حسن محمد باجودة - مكتبة دار التراث - القاهرة سنة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م .

٥٦ - **ديوان كعب بن مالك الأنصارى** - ت . د . سامى مكى العانى - ط ١ - مكتبة النهضة - بغداد سنة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م .

٥٧-**ديوان المزرد بن ضرار الذبيانى** - ت . خليل إبراهيم العطية - بغداد سنة ١٩٦٢م .

٥٨ - **ديوان المعانى** لأبى هلال العسكرى - دار الجيل - بيروت - بدون تاريخ .

٥٩ - **ديوان النابغة الجعدى** - نشر عـبد العزيز رباح - المكتب الإسـلامى - دمشق سنة ١٩٦٤ م .

٦٠ - **ديوان الهذليين** - القسم الأول ت . أحمد الزين ، والقسمان الثانى والثالث ت . محمود أبو الوفا-الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥م .

٦١ - **الذخائر والأعلاق فى آداب الـنفوس ومكارم الأخلاق** لأبى الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلى الإشبيلى - القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ .

٦٢ - **الردة** لأبى عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدى - ت . د . محمود عبد الله أبو الخير - دار الفرقان - الأردن سنة ١٤١١هـ ١٩٩١ م .

٦٣ - **الروض الأنف** لأبى القاسم عـبد الرحمن بن عـبد الله بن أحمـد بن أبى الحسن الخثعـمى السهيلى (ومـعه كتاب السـيرة النبوية لابن هشام) قـدم له وعلق عليه

وضبطه طه عبد الرءوف سعد - مؤسسة مختار للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٩٧٣ م .

٦٤ - **زهر الآداب وثمر الألباب** لأبى إسحق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى - ت . على محمد البجاوى - ط ١ - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٣٧٢هـ ١٩٣٥ م .

٦٥ - **الزهرة** لأبى بكر محمد بن داود الأصبهانى - ت . د . إبراهيم السامرائى - ط ٢ - مكتبة المنار - الأردن سنة ١٤٠٦ هـ ١٩٦٥م .

٦٦ - **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشىء من فقهها وفوائدها** - محمد ناصر الدين الألبانى - ط ٤ - المكتب الإسلامى - بيروت سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

٦٧ - **سمط اللآلى** لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى - ت . د . عبد العزيز الميمنى - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٣٦ م .

٦٨ - **سير أعلام النبلاء** لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى - حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط - ط ٧ - مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م .

٦٩ - **السيرة النبوية** لابن هشام - ت . مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى - ط ٢ - مكتبة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة سنة ١٩٥٥ م .

٧٠ - **سيرة ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** لابن الجوزى - ت . د . حمزة النشرتى ،عبد الحفيظ فرغلى ،د . عبد الحميد مصطفى - المكتبة القيمة - القاهرة سنة ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م .

٧١ - **شاعرات العرب** - جمعه وحققه عبد البديع صقر - ط١ - المكتب الإسلامى - بيروت سنة ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

٧٢ - **شاعرات العرب فى الجاهلية والإسلام** - جمعه ورتبه ووقف على طبعه بشير يموت - ط ١ - المكتبة الأهلية - بيروت سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م .

٧٣ - **شرح ديوان الحماسة** لأبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى - ت . محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م .

٧٤ - **شرح ديوان الحماسة** للمرزوقى - نشره أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٥٣ م .

٧٥ - **شرح ديوان الخنساء بالإضافة إلى مراثى ستين شاعرة من شواعر العرب** - دار التراث - بيروت سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .

٧٦ - **شرح ديوان كعب بن زهير** - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٥٠ م .

٧٧ - **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى** - ت . د . إحسان عباس - الكويت سنة ١٩٦٢ م .

٧٨ - **شرح السيرة النبوية رواية ابن هشام** لأبى ذر بن محمد بن مسعود الخشنى - صححه بولس برونله - دار الكتب العلمية - بيروت - بدون تاريخ .

٧٩ - **شرح نهج البلاغة** لابن أبى الحديد - ت . د . محمد أبو الفضل إبراهيم - ط ٢ - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م .

٨٠ - **شعراء إسلاميون** - جمعه وحققه د . نورى حمودى القيسى - ط ٢ - مكتبة النهضة العربية - بيروت سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م .

٨١ - **شعراء مقلون** - جمعه وحققه د . حاتم صالح الضامن - ط ١ - مكتبة النهضة العربية - بيروت سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

٨٢ - **شعر خفاف بن ندبة السلمى** - جمعه وحققه د . نورى حمودى القيسى - ساعدت جامعة بغداد على نشره - مطبعة المعارف - بغداد سنة ١٩٦٧ م .

٨٣ - **شعر الدعوة الإسلامية فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين** - جمعه وحققه عبد الله ابن حامد الحامد - الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية - الرياض سنة ١٣٦١هـ ١٩٧١ م .

٨٤ - **شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم** - ت . د . سعود محمود عبد الجابر - ط ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

٨٥ - **شعر عبد الله بن الزبعرى** - ت . د . يحيى الجبورى - مؤسسة الرسالة - بيروت - بدون تاريخ .

٨٦ - **شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى** - ت . مطاع الطرابيشى - ط ٣ - مكتبة دار البيان - دمشق سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .

٨٧ - **شعر النعمان بن بشير الأنصارى** - ت . د . يحيى الجبورى - ط ٢ - دار القلم للنشر والتوزيع - الكويت سنة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥ م .

٨٨ - **الشعر والشعراء** لابن قتيبة - ت . أحمد محمد شاكر - دار الحديث - القاهرة سنة ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .

٨٩ - **صحيح مسلم** بشرح الإمام محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى - إعداد مجموعة من الأساتذة بإشراف على عبد الحميد أبو الخير - ط ٣ - دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م .

٩٠ - **صفة الصفوة** لابن الجوزى جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن على الجوزى - صنع فهرسه عبد السلام محمد هارون - ط ١ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م .

٩١ - **طبقات فحول الشعراء** لمحمد بن سلام الجمحى - ت . محمود محمد شاكر - دار المدنى بجدة سنة ١٩٧٤ م .

٩٢ - **الطبقات الكبرى** لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمى البصرى المعروف بابن سعد - ت . د . حمزة النشرتى ،عبد الحفيظ شلبى ،د . عبد الحميد مصطفى - المكتبة القيمة - القاهرة سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م .

٩٣ - **الطرائف الأدبية** - صححه وخرجه وعارضه على النسخ المختلفة وذيله عبد العزيز الميمنى - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٣٧ م .

٩٤ - **العقد الفريد** لأبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى - ت . محمد سعيد العريان - ط ٢ - دار الفكر - بيروت سنة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م . وطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢ م .

٩٥ - **العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده** لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى - ت. محمد محيى الدين عبد الحميد - ط ٥ - دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة- بيروت سنة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

٩٦ - **عيار الشعر** لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوى - ت . د . محمد زغلول سلام - منشأة المعارف - الإسكندرية سنة ١٩٨٠ م .

٩٧ - **عيون الأخبار** لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٢٥ م .

٩٨ - **الفاخر** لأبى طالب المفضل بن سلمة بن عاصم - ت . عبد العليم الطحاوى - مراجعة محمد على النجار - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة١٩٧٤م.

٩٩ - **الفتنة ووقعة الجمل** لسيف بن عمر الضبى الأسدى - جمعه وصنفه أحمد راتب عرموش - ط ٦ - دار النفائس - بيروت سنة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

١٠٠ - **فتوح البلدان** لأبى الحسن أحمد بن يحيى البلاذرى - مراجعة رضوان محمد

رضوان - دار الهلال ومكتبتها - بيروت سنة ١٣٥٨ هـ ١٩٧٨ م .

١٠١ - **فحولة الشعراء** لأبى حاتم السجستانى - ت . د . محمد عبد القادر أحمد - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة سنة ١٤١١ هـ ١٩٩١ م .

١٠٢ - **الفرق بين الفرق** لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى - ت . محمد محيى الدين عبد الحميد - مكتبة دار التراث - القاهرة - بدون تاريخ .

١٠٣ - **الفهرست** لأبى الفرج محمد بن إسحق المعروف بابن النديم - نشر فلوجل - ليبزج سنة ١٨٧٢ م .

١٠٤ - **القاموس المحيط** لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى - المطبعة الحسينية - القاهرة سنة ١٣٣٠ هـ .

١٠٥ - **القصاص والمذكرون** لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى - ت . د . محمد لطفى الصباغ - ط ١ - المكتب الإسلامى - بيروت سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

١٠٦ - **الكامل** لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد - ت . د . محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة - دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - بدون تاريخ. وطبعة مؤسسة المعارف - بيروت سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

١٠٧ - **الكامل فى التاريخ** لعز الدين بن الأثير الجزرى - صحح أصوله الأستاذ عبد الوهاب النجار - إدارة الطباعة المنيرية - القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ .

١٠٨ - **كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون** لحاجى خليفة - دار الفكر - بيروت سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .

١٠٩ - **لباب النقول فى أسباب النزول** لجلال الدين السيوطى - ت . د . حمزة النشرتى ،عبد الحفيظ فرغلى ، د . عبد الحميد مصطفى - المكتبة القيمة - القاهرة -بدون تاريخ .

١١٠ - **لسان العرب** لأبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصرى - ت. عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلى - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٩ م .

١١١ - **متن البخارى بحاشية السندى** لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - بدون تاريخ .

١١٢ - **المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر** لأبى الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصلى - ت . محمد محيى

الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت سنة ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م .

١١٣ - **المجازات النبوية** للشريف الرضى - طبعة الحلبى - القاهرة سنة ١٩٥٥ م .

١١٤ - **مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة** - محمد حميد الدين الحيدر آبادى - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٤١ م .

١١٥ - **المحاسن والمساوئ** لإبراهيم بن محمد البيهقى- عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبى - طبع بمطبعة السعادة - القاهرة سنة ١٣٢٥هـ ١٩٠٦م .

١١٦ - **المحبر** لأبى جعفر محمد بن حبيب -ت .د.إيلزة ليختن ستيتر - جمعية دائرة المعارف العثمانية -حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦١هـ ١٩٤٢ م .

١١٧ - **مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى** لابن منظور محمد بن مكرم - ت . د . طه الحاجرى وآخرون - الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٦٦م .

١١٨ - **مختارات شعراء العرب** - هبة الله بن علي أبو السعادات المعروف بابن الشجري ت . علي محمد البجاوي - ط ١-دار الجيل - بيروت سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

١١٩ - **مراتب الوجود وحقيقة كل موجود** لعبد الكريم بن إبراهيم الجيلي - دار الطباعة المحمدية - القاهرة - بدون تاريخ .

١٢٠- **مراثى النبى ﷺ** - جمعها وحققها د.محمد أبو المجدعلي - ط١- مكتبة الآداب - القاهرة سنة ١٩٩٦م .

١٢١- **مروج الذهب ومعادن الجوهر** للمسعودى - ت . محمد محيى الدين عبد الحميد- ط ٤ - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة سنة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .

١٢٢ - **المستطرف فى كل فن مستظرف** لشهاب الدين محمد بن أحمد بن أبى الفتح الأبشيهى - شرحه ووضع هوامشه د . مفيد محمد قميحة - ط ١ - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م .

١٢٣ - **المصون فى سر الهوى المكنون** لأبى إسحق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى - ت . د . محمد عارف محمود حسين - ط ١ - مطبعة الأمانة - القاهرة سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م .

١٢٤ - **المعارف** لابن قتيبة - ت . د . ثروت عكاشة - ط ٢ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٩ م .

١٢٥ - **معانى القرآن** لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء - ت . نجاتى النجار - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٥٥ م .

١٢٦ - **معجم الأدباء** لياقوت الحموى - دار إحياء التراث العربى - بيروت سنة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨ م .

١٢٧ - **معجم البلدان** لياقوت الحموى - ت . فريد عبد العزيز الجندى - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م .

١٢٨ - **معجم الشعراء** لأبى عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى - ت . عبد الستار أحمد فرج - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٩٦٠ م .

١٢٩ - **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** لأبى عبيد الله بن عبد العزيز البكرى - ت . مصطفى السقا - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥١ م .

١٣٠ - **معجم المطبوعات العربية والمعربة** - جمعه ورتبه يوسف إلياس سركيس - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - بدون تاريخ .

١٣١ - **معجم النساء الشاعرات فى الجاهلية والإسلام** - إعداد عبد مهنا - ط ١ - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م .

١٣٢ - **المغازى** لمحمد بن عمر بن على الواقدى - طبع كلكتا - الهند سنة ١٨٥٥ م .

١٣٣ - **المفضليات** للمفضل بن محمد بن يعلى الضبى - ت . أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون - ط ٨ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٩٣ م .

١٣٤ - **مقدمة ابن خلدون** - عبد الرحمن محمد بن خلدون - ت . د . على عبد الواحد وافى - ط ١ - لجنة البيان العربى - القاهرة سنة ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨ م .

١٣٥ - **الملل والنحل** لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى - ت . أمير على مهنا وعلى حسن فاعور - ط ٥ - دار المعرفة - بيروت سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م .

١٣٦ - **مناقب آل طالب** للمازندرانى - قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عده نسخ خطية لجنة من أساتذة النجف الأشرف - المكتبة الحيدرية - النجف سنة ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م .

١٣٧ - **من الضائع من معجم الشعراء** للمرزبانى - د . إبراهيم السامرائى - ط ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

١٣٨ - **المؤتلف والمختلف** للآمدى - مكتبة القدسى - القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ .
١٣٩ - **الموشح** لأبى عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى - ت . على محمد البجاوى - دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - بدون تاريخ .
١٤٠ - **نسب قريش** لأبى عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيرى - ت . ليفى بروفنسال - ط ٣ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٢ م .
١٤١ - **نقد الشعر** لأبى الفرج قدامة بن جعفر - ت . كمال مصطفى - ط ٣ - مكتبة الخانجى - القاهرة سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م .
١٤٢ - **نهاية الأرب فى فنون الأدب** لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٣٧٤هـ ١٩٥٤ م .
١٤٣ - **الوافى بالوفيات** لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى - نشر ريتر - استنبول سنة ١٩٣١ م .
١٤٤ - **الوحشيات (وهو الحماسة الصغرى)** لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى - ت . عبد العزيز الميمنى الراجكوتى وزاد فى حواشيه محمود محمد شاكر - ط ٣ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٧ م .
١٤٥ - **الورقة** لأبى عبد الله محمد بن داود بن الجراح - ت . د . عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج - ط ٢ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٦ م .
١٤٦ - **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لأبى العباس شمس الدين أحمد بن أبى بكر ابن خلكان - ت . د . إحسان عباس - دار صادر - بيروت سنة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .
١٤٧ - **وقعة صفين** لنصر بن مزاحم المنقرى - ت . د . عبد السلام محمد هارون - ط٣ - مكتبة الخانجى - القاهرة سنة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

* ثانياً : المراجع :

١ - **أثر الإسلام فى الشعر فى عصر الرسول والخلفاء الراشدين** - د . السيد عبد القادر عويضة - ط ١ - مطبعة الأمانة - القاهرة سنة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م .
٢ - **أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثانى الهجرى** - د . عبد الحسيب طه حميدة - الزهراء للإعلام العربى - القاهرة سنة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م .
٣ - **الأدب العربى فى الجاهلية والإسلام** - عمر رضا كحالة - المطبعة التعاونية - دمشق

سنة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م .

٤ - **الأدب العربى فى عصر صدر الإسلام** - د . محمد عرفة المغربى - ط ١ - دار الطباعة المحمدية - القاهرة سنة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥ م .

٥ - **الأدب فى عصر النبوة والراشدين** - د . صلاح الدين الهادى - ط ٣ - مكتبة الخانجى - القاهرة سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

٦ - **الأسس النفسية للإبداع فى الشعر خاصة** - د . مصطفى سويف - ط ١ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٥١ م .

٧ - **الإسلام والحضارة العربية** - محمد كرد على - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٥٩ م .

٨ - **الإسلام والشعر (دراسة موضوعية)** - د . إخلاص فخرى عمارة - مكتبة الآداب - القاهرة سنة ١٩٩٢ م .

٩ - **الإسلام والشعر** - د . سامى مكى العانى - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت سنة ١٩٨٣ م .

١٠ - **الإسلام والشعر** - د . محمد أبو المجد على - دار المروة للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .

١١ - **الإسلام والشعر** - د . يحيى الجبورى - مطبعة الإرشاد - بغداد سنة ١٩٦٤ م .

١٢ - **الأصوات اللغوية** - د . إبراهيم أنيس - مكتبة نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٤٧م .

١٣ - **الأعلام** - خير الدين الزركلى - ط ٩ - دار العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٩٠م .

١٤ - **أعلام النساء** ١ : ٨ - على محمد دخيل - ط ٣ - الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت سنة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .

١٥ - **أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام** - عمر رضا كحالة - ط ٥ - مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

١٦ - **بناء لغة الشعر** - چون كوين - ت . د . أحمد درويش - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٠ م .

١٧ - **تاريخ أدب العرب** - مصطفى صادق الرافعى - مطبعة الاستقامة - القاهرة سنة ١٩٤٥ م .

١٨ - **تاريخ الآداب العربية** - كارلو نالينو - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

١٩ - **تاريخ آداب اللغة العربية** - جرجى زيدان - طبعة جديدة راجعها وعلق عليها د . شوقى ضيف - دار الهلال - القاهرة - بدون تاريخ .

٢٠ - **تاريخ الأدب العربى** - ريجيس بلاشير - ت . إبراهيم كيلانى - دار الفكر - بيروت سنة ١٩٥٦ م .

٢١ - **تاريخ الأدب العربى** - كارل بروكلمان - ت . عبد الحليم النجار - ط ٥ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٣ م .

٢٢ - **تاريخ الأدب العربى فى صدر الإسلام والعصر الأموى** - السباعى بيومى - ط ٢ - القاهرة سنة ١٩٣٥ م

٢٣ - **تاريخ الإسلام** - حسن إبراهيم حسن - ط ٤ - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة سنة ١٩٥٨ م .

٢٤ - **تاريخ التراث العربى** - فؤاد سزكين - ت . د . محمود فهمى حجازى - إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - السعودية سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣ م .

٢٥ - **تاريخ التمدن الإسلامى** - جرجى زيدان - طبعة جديدة راجعها وعلق عليها د . حسين مؤنس - دار الهلال - القاهرة سنة ١٩٦٨ م .

٢٦ - **تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية** - يوليوس فلهوزن - ت . محمد عبد الهادى أبو ريدة - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٥٨ م .

٢٧ - **تاريخ الشعر السياسى إلى منتصف القرن الثانى** - د . أحمد الشايب - ط ٥ - دار القلم - بيروت سنة ١٩٦٧ م .

٢٨ - **تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى** - د . نجيب محمد البهبيتى - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٥٠ م .

٢٩ - **تاريخ العرب** - فيليب حتى - ت . محمد مبروك نافع - مطبعة العالم العربى - القاهرة سنة ١٩٤٩ م .

٣٠ - **تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام** - د . محمد على أبو ريان - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية سنة ١٩٨٦ م .

٣١ - **تاريخ النقائض فى الشعر العربى** - د . أحمد الشايب - مكتبة النهضة المصرية -

القاهرة سنة ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م .

٣٢ - **تاريخ اليهود فى بلاد العرب** - إسرائيل ولفنسن - مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٩٢٧ م .

٣٣ - **التأويل والتأويل المفرط** - امبرتو إكو - ت . ناصر الحلوانى - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .

٣٤ - **التركيب اللغوى** للأدب - د . لطفى عبد البديع - مكتبة نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٢٧ م .

٣٥ - **تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه** - طوبيا العنيسى - دار العرب - القاهرة سنة ١٩٦٥ م .

٣٦ - **التفسير النفسى للأدب** - د . عز الدين إسماعيل - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٣ م .

٣٧ - **حركات التجديد فى الأدب العربى** - أبحاث ومقالات لمجموعة من الدارسين - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٩٧٩ م .

٣٨ - **الحركات السرية فى الإسلام رؤية عصرية** - د . محمود إسماعيل - مؤسسة روز اليوسف - القاهرة سنة ١٩٧٣ م .

٣٩ - **حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ** - د . عبد الله التطاوى - دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٩٩٢ م .

٤٠ - **حركة الحياة الأدبية بين الجاهلية والإسلام** - د . سعيد حسين منصور - دار المعارف - القاهرة سنة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .

٤١ - **حسان بن ثابت** - د . محمد طاهر درويش - ط ٢ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٦ م .

٤٢ - **حسان بن ثابت شاعر الرسول** - د . سيد حنفى حسنين - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٩٦٤ م .

٤٣ - **الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية** - فون كريمر - ت . مصطفى طه بدر - دار الفكر العربى - القاهرة سنة ١٩٤٧ م .

٤٤ - **الحياة الأدبية فى عصر صدر الإسلام** - د . محمد عبد المنعم خفاجى - ط ١ - دار الكتاب اللبنانى - بيروت سنة ١٩٧٣ م .

٤٥ - **الحياة الأدبية فى مكة فى القرن الأول الهجرى** - د . زكى عابدين غريب - ط ١

- دار المعارف - القاهرة سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

٤٦ - **الحياة الأدبية فى البصرة إلى نهاية القرن الثانى الهجرى** - د . أحمد كمال زكى - ط ١ - دار الفكر - دمشق سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م .

٤٧ - **حياة الشعر فى الكوفة إلى نهاية القرن الثانى للهجرة** - د . يوسف خليف - دار الكتاب العربى للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .

٤٨ - **الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية** - د . محمد عمارة - دار الهلال - القاهرة سنة ١٩٨٣ م .

٤٩ - **الخوارج والشيعة** - يوليوس فلهوزن - ت . عبد الرحمن بدوى - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة سنة ١٩٥٨ م .

٥٠ - **دراسات فى الأدب الإسلامى** - د . محمد أحمد خلف الله - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٤٧ م .

٥١ - **دراسات فى الشعر العربى (تحليل لظواهر أدبية وشعراء)** - د . محمد مصطفى هدارة - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية سنة ١٩٨٣ م .

٥٢ - **دراسات فى نقد الأدب العربى من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث** - د . بدوى طبانة - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

٥٣ - **دلالة الألفاظ** - د . إبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة سنة ١٩٧٦م.

٥٤ - **رؤية جديدة فى دراسة الأدب العربى فى عصر صدر الإسلام** - د . سعيد حسين منصور - مؤسسة العهد - الدوحة - قطر سنة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

٥٥ - **شعر الرثاء فى صدر الإسلام** - د . مصطفى عبد الشافى الشورى - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٦ م .

٥٦ - **شعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى فى صدر الإسلام** - د . محمد أبو المجد على - ط ١ - دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع - الإسكندرية سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .

٥٧ - **الشعر العربى من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجرى (النشأة والتطور)** - د . محمد مصطفى هدارة - ط١ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

٥٨ - **شعر الفتوح الإسلامية فى صدر الإسلام** - د . النعمان عبد المتعال القاضى - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م .

٥٩ - **الشعر فى الإسلام** - د . أحمد فؤاد الغول - ط ١ - دار لوران للطباعة والنشر - الإسكندرية سنة ١٩٧٩ م .

٦٠ - **الشعراء المخضرمون** - د . عبد الحليم حفنى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٨٣ م .

٦١ - **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه** - د . يحيى الجبورى - ط٣ - مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .

٦٢ - **شعرنا القديم والنقد الجديد** - د . وهب أحمد رومية - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م .

٦٣ - **الشعر والتجربة** - أرشيبالد مكليش - ت . سلمى الخضراء الجيوسى - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .

٦٤ - **الشعر واللغة** - د . لطفى عبد البديع - مكتبة نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٦٩م .

٦٥ - **الشعر والنغم** - د . رجاء عيد - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٩٧٥م .

٦٦ - **الصيغ البديعى فى اللغة العربية** - د . أحمد إبراهيم موسى - دار الكاتب العربى - القاهرة سنة ١٩٦٩ م .

٦٧ - **صدر الإسلام** - جورج غريب - دار الثقافة - بيروت - بدون تاريخ .

٦٨ - **الصورة الأدبية** - د . مصطفى ناصف - مكتبة مصر - القاهرة سنة ١٩٥٨ م .

٦٩ - **الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغة** - د . جابر أحمد عصفور - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٠ م .

٧٠ - **الصورة والبناء الشعرى** - د . محمد حسن عبد الله - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨١ م .

٧١ - **العروض والقافية (دراسة فى التأسيس والاستدراك)** - محمد العلمى - ط ١ - دار الثقافة - الدار البيضاء سنة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣ م .

٧٢ - **العصر الإسلامى** - د . شوقى ضيف - ط ٤ - دار المعارف - القاهرة - بدون تاريخ .

٧٣ - **عضوية الموسيقى فى النص الشعرى** - د . عبد الفتاح صالح نافع - ط ٢ - مكتبة المنار - الأردن سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

٧٤ - **العقيدة والشريعة فى الإسلام** - أجناس جولد تسيهر - ت . محمد يوسف موسى وعبد العـزيز عبد الحق وعلى حسن عبد القـادر - دار الكاتب المصرى - القاهرة سنة ١٩٤٦ م .

٧٥ - **الغلو والفرق الغالية فى الحضارة الإسلامية** - د . عبد الله سلوم السامرائى - ط١ - دار واسط للنشر - بغداد سنة ١٩٨٢ م .

٧٦ - **فجر الإسلام** - أحـمد أمين - لجنة التـأليف والتـرجمـة والنشر - القـاهرة سنة ١٣٤٧هـ ١٩٢٨ م .

٧٧ - **الفن ومذاهبه فى الشعر العربى** - د . شوقى ضـيف - ط ١٠ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٨ م .

٧٨ - **قضايا الشعر فى النقد العربى** - د . إبراهيم عبـد الرحمن - مكتبة الشـباب - القاهرة سنة ١٩٧٧ م .

٧٩ - **قضايا النقد الأدبى المعاصر** - د . محمد زكى العشماوى - الهـيئة المصرية العامة للكتاب بالإسكندرية سنة ١٩٧٥ م .

٨٠ - **كعب بن مالك الأنصارى حياته وشـعره (دراسة تحليلية نقدية)** - د . عبد المنعم أحمد يونس - ط ١ - مطبعة الأمانة - القاهرة سنة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

٨١ - **الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والإسلام** - د . أحمد حجـازى السقا - دار النهضة العربية - القاهرة سنة ١٩٧٨ م .

٨٢ - **المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول** - د . شكرى فيـصل - ط ٣ - دار العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٧٣ م .

٨٣ - **مجتمع المدينة فى عهد الرسول ﷺ** - د . عبد الله بن عـبد العزيز بن إدريس - الناشر : عمـادة شئون المكتبـات بجامعة الملك سـعود - الرياض سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .

٨٤ - **المدائح النبوية فى الأدب العربى** - د . زكى مبارك - مطبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م .

٨٥ - **مداخل الشعر** (باختـين - لوتمان - كـوندراتوف) - ت . أمينة رشـيـد وسيـد البحراوى - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .

٨٦ - **مدخل إلى علم العلامـات فى اللغة والمسرح** - عصـام الدين أبو العلا - الهيـئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .

٨٧ - **مدخل إلى مناهج النقد الأدبي** - مجموعة من الكتاب - ت . د . رضوان ظاظا - المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - الكويت سنة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .

٨٨ - **المديح النبوى فى القرن الأول الهجرى** - د . على صافى حسنين - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة سنة ١٣٨٧ هـ ١٩٦٨ م .

٨٩ - **المذهب الدهرى عند العرب** - حسنى يوسف الأطير - ط ١ - دار البيان - القاهرة سنة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

٩٠ - **المعنى الشعرى فى التراث النقدى** - د . حسن طبل - مكتبة الزهراء - القاهرة سنة ١٩٨٥ م .

٩١ - **مكانة الشعر فى مسيرة الحياة الأدبية فى صدر الإسلام** - د . حسن بشير - ط ١ - الدار السودانية للكتب بالخرطوم ومكتبة الخانجى بالقاهرة سنة ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م .

٩٢ - **منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات** - محمد الأمين الشنقيطى - مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٩٧٨ م .

٩٣ - **نظرية التلقى (مقدمة نقدية)** - روبرت هولب - ت . د . عز الدين إسماعيل - ط ١ - النادى الأدبى الثقافى بجده سنة ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م .

٩٤ - **نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة** - د . أمجد الطرابلسى - ت . إدريس بلمليح - ط ١ - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء سنة ١٩٩٣ م .


المحتوى

رقم الايداع ١٤٣٠٦/ ٩٧
الترقيم الدولى I.S.B.N
977- 200- 191- 8